

**سيكولوجيا  
الطفولة والمراهقة**

تصميم الغلاف  
عبد العزيز محمد

حسين سباهي

# سيكولوجيا الطفولة والمراهقة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبر  
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

## مُقَدِّمَةٌ

هذا الكتاب يتناول علم النفس من حيث استخداماته في حياتنا، والمنافع التي تنعكس إيجابياً علينا بتعلم مصطلحاته، والإحاطة بمفاهيمه ومحتواه، وعلم النفس اليوم أيديولوجياً كالأيديولوجيات، بل هو من أهمها، وهو أيديولوجيا القرن الحادي والعشرين والقرون التالية، وبه تتحقق مقولة لقدماء اليونان «اعرف نفسك» وعلم النفس علم محيطي يتناول كل نواحي الحياة الإنسانية، ويشمل هذا العلم أيضاً كل النشاطات الإنسانية، وكذلك التفكير والسلوك في البيت، والمدرسة، والشارع، والمجتمع.

وسوف نعالج موضوعات علم نفس الطفل في مباحث هذا الكتاب واضعين نُصَبَ أعيننا مسألة هامة تتعلق بنمو الطفل في مرحلة الطفولة الأولى، والتعرف على الطرق والمبادئ الصحيحة المتعلقة بدراسة الطفل، وبعلم نفس الطفل، ومشاكل التربية العملية.

وسنحاول منذ البدء الوقوف من الأطفال موقفاً مقبولاً، لا ينطوي على الفتور واللامبالاة، ولا على الهوى والاندفاع، بل على اللطف والتفهم الرحيم، وذلك باكتساب المقدرة على ملاحظة سلوك الطفل ملاحظة موضوعية بتطبيق مبادئ علم النفس على مشاكل الطفولة، ويجب ألا ننسى أن دراسة علم نفس الطفل هي علم من العلوم، لكن يجب أن نتذكر في الوقت ذاته أن الأطفال كائنات بشرية، وأن لكل طفل قيمته الذاتية، يجب أن نتذكر دائماً أن للفرد البشري قيمته وحرمة.

ومن المفيد أن يقف المربي على الأقل على طرف من تاريخ علم نفس الطفل الحديث أي دراسة الأطفال دراسة سيكولوجية علمية.

إن علم النفس الذي يسعى لتنظيم المعلومات المتوافرة عن أصل سلوك الطفل وبوادره هو ميدان حديث نسبياً من ميادين المعرفة. وتؤكد الأمم والشعوب على اختلاف مستوى تقدمها ونموها وعلى اختلاف نظمها الاجتماعية ضرورة العناية بالثروة البشرية الممثلة في الأجيال الصاعدة فيها، وبالتالي تؤكد العناية بالعملية التربوية.

وحينما أفردت الهيئات الجامعية قسماً خاصاً لعلم النفس التعليمي أو التربوي، كانت المهمة الأولى له هي تحديد مجالات هذا العلم، وتخطيط بعض الحدود التي تفصل بينه وبين العلوم السلوكية أو النفسية الأخرى، حتى يكون لهذا القسم مشكلاته العلمية وأبحاثه ومقرراته، وتخصصاته، وبالاختصار كان لا بدّ من تحديد ميادانه تحديداً دقيقاً يساعد علماء النفس التربوي على تحديد مجالات بحثهم الدقيقة.

وهنا يجب علينا أن نفكر في أنواع المعارف والميول وعادات التفكير التي يتميز بها علماء النفس والمربين أو غيرهم من الذين كانوا ناجحين في دراسة الطفل والذين يفهمون الأطفال فهماً حقيقياً:

١- إن الذين يفهمون الأطفال يعتقدون بأن لجميع ألوان سلوك الطفل أسباباً أساسية، وهم لذلك يعتقدون بأن سلوك الطفل يمكن دائماً تعليقه وفهمه إذا أمكن معرفة خبراته الماضية، وإذا أمكن تحليل ظروف حياته الحاضرة، وإذا لم تغب عن الذهن حاجاته ورغباته المستقبلية.

٢- والذين يفهمون الأطفال لا يهملون أيّ طفل بداعي أنه ميئوس منه أو أنه عديم القيمة، بل يعتبرون كل طفل كائناً بشرياً له قيمته وأنه جدير بالمساعدة لكي يبلغ أقصى نموه المقدر له، وليستطيع المساهمة في خدمة المجتمع الذي يعيش فيه.

٣- والذين يفهمون الأطفال ينتبهون إلى أن كل طفل هو إنسان فريد يختلف عن جميع الأطفال الآخرين، إنه يختلف عنهم من نواح كثيرة: كحجم

جسمه وطاقته وسرعة نموه واستقراره الانفعالي (العاطفي) وقدراته العقلية وعدد تجاربه وطبيعتها وبيئته وصلاته بوالديه، ولكونه يختلف عن الآخرين هذا الاختلاف يعتقد هؤلاء بأنه يجب ألا يُعامل معاملة مماثلة تماماً لمعاملة أي طفل آخر، وأن طابعه الفردي الخاص يجب أن يظل دائماً موضع الاعتبار بقدر الإمكان.

٤- والذين يفهمون الأطفال يعترفون بأن الأطفال عندما يجتازون مراحل النمو المختلفة ينبغي عليهم أن يجابها بعض المشاكل المشتركة ويحلوها: كتعلم المشي والقراءة والانسجام مع الآخرين، وكاختيار مهنة من المهن أو مصادقة الناس والاستقلال عن أسرهم، ويعلمون أن الأطفال عندما يحلون هذه المشاكل يسلكون في الغالب سلوكاً يخالف رغبات الراشدين ومقاييسهم.

٥- والذين يفهمون الأطفال تتوافر لديهم معرفة ناجعة للحقائق المشتركة التي تتعلق بالقوى التي تنظم الكائن البشري ودوافعه وتعلمه وسلوكه، وللحصول على هذه الحقائق اطلعوا على علم الحياة والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس.

٦- وهم يحاولون استخدام الطرق الموضوعية بقدر الإمكان للوصول إلى أحكام صحيحة على الأطفال، إن مثل هؤلاء الناس لا يستعجلون في استنتاجاتهم ولا يخضعون لانفعالاتهم بل يجمعون كل الحقائق الممكنة ويزنونها بعناية قبل أن يصدرها أي حكم من الأحكام، فإذا نحن استطعنا، كمربين، ومعلمين، أن نتحلى بهذه الميزات آنفة الذكر، أمكنها أن تساعدنا كثيراً لكي نصبح أفراداً ناجحين في مهمتنا كما نشتهي.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أن علم نفس الطفل ظهر نتيجة للاهتمام الذي أبداه الإنسان بالطفل منذ القديم وقد اتصل الاهتمام بالطفل بالعملية التربوية نجد ذلك في كتابات الأقدمين التي وصلت إلينا منذ بدء عهد الإنسان بالكتابة، إلا أن دراسة الطفولة دراسة منظمة وفق أسس ومناهج علمية لم تحصل إلا منذ زمن قصير يعود إلى القرن الثامن عشر.

وأول ما نجده من كتابات حول هذا الموضوع قريبة من الأفكار العلمية الحديثة والمعاصرة عن الطفل هو كتاب «إميل» للمفكر التربوي السويسري الشهير «جان جاك روسو» ومن بعد لدى «بستالوتزي وفرويل» وسواهما، إذ إن هؤلاء لفتوا الانتباه إلى خصوصية مرحلة الطفولة وطبيعتها المميزة عن شخصية الراشد ودعوا إلى قلب طرائق التعامل مع الأطفال، وعندما استقل علم النفس أواخر القرن التاسع عشر - كما أسلفنا - ساعد ذلك على تطور الدراسات الخاصة بالطفولة ودعمها سواء من حيث طرق البحث أو من حيث سعة الموضوع.

وهكذا أصبحت حضارة الشعب تقاس بمدى حسن استعماله للثروة البشرية الكامنة في أبنائه. وتوجيه سلوكهم الوجهة الإنشائية التي تسهم في تقدم الإنسانية، وقد وضعت النظم التعليمية للعناية والإشراف على هذا التوجيه الإنساني، والأسرة والمدرسة هما الوسيلة التي اصطنعها المجتمع لنقل الحضارة ونشر الثقافة وتوجيه الأبناء الوجهة الاجتماعية الرصينة، كي يكتسبوا من العادات الفكرية والعاطفية والاجتماعية التي لا تساعدهم فحسب على التكيف الصحيح في المجتمع بل كذلك على التقدم بهذا المجتمع، فالأسرة والمدرسة هما المؤسستان اللتان اصطنعهما المجتمع للإشراف على عملية التنشئة الاجتماعية.

وهذا الكتاب يلقي بعض الضوء على علم نفس الأطفال والناشئة، وهو محاولة متواضعة، والحمد لله الذي لا إله إلا هو، خلق ما لا نعلم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وهكذا نضع العلم في خدمة المجتمع.

حسين سباهي



## نشأة الشخصية عند الطفل. . .

### ونموه بين الكينونة البدئية والشخصية المكتسبة

يحتل علم النفس مكانة هامة في حياة الفرد المعاصر وحياة المجتمع المتقدم فقد أصبحت الثروة البشرية مقياساً لتقدم المجتمعات لذلك تتسابق الدول إلى العناية بهذه الثروة الكامنة في أطفالها ليسهموا في تقدم الإنسانية.

وتتطلب هذه النظرة الإنسانية من الإنسان أن يفهم نفسه ويعرف واقع سلوكه وقدراته واستعداداته وميوله وسماته الشخصية لأن هذه المعرفة تجعله أكثر كفاية وقدرة في حياته وتتطلب أيضاً أن يفهم غيره كي يستطيع التعامل معهم ومساعدتهم.

لذلك نود أن نطلع على أهم ما يتعلق بالشخصية من حيث نشأتها عند الطفل ونموه بين الكينونة البدئية «في سنوات ما قبل المدرسة» والشخصية المكتسبة وأثر العوامل الاجتماعية في بناء الشخصية.

إن الاهتمام بالمرحلة الأولى من حياة الإنسان يبقى على الدوام اهتماماً شديداً وأنيباً معاً، ومردّ ذلك بالنسبة إلى العلم هو أن الحالة النفسية تتطور تطوراً شديداً خاصة في الأعوام الأولى من الحياة.

ولقد ألفت كتب كثيرة حول الفترة الأولية لتكون الشخصية، استهدف واضعوها بيان أهمية هذه الفترة واستيضاح القوانين الأساسية لتطور الطفل في ظل ثقافة معينة وإلى وضع نظام للتربية استناداً إلى هذه القوانين.

ويعود هذا الاهتمام لدى الأهل إلى محبتهم لولدهم الآخذ في النمو، فهم يرغبون في أن يروه مرحاً معافى، ناضجاً في كل مراحل حياته القادمة،

ويعود أيضاً إلى أن فهم كيفية نمو البنية يساعد على فهم كيفية أداء هذه البنية لوظائفها عندما تأخذ شكل النضج، هذا فضلاً عن الحاجة العملية للتنبؤ بشخصية الراشد - واضطراب الشخصية - من خلال معرفة الخبرات الحياتية للطفل وقوانين تطوره الأساسية.

سنحاول من خلال هذه الزاوية أن نقلي الضوء على نشأة شخصية الطفل ونموه متحدّثين عن الولادة وخصائص المولود حديثاً، وعن تطور نفسية الطفل في سنوات ما قبل المدرسة وحاجته إلى مخالطة الناس ومعاشرتهم، موضحين مراحل هذا التطور وكيفية حل بعض المشاكل التي قد تعترض نمو الطفل وتنشئته التنشئة السليمة.

إن ولادة الطفل تمثل تحولاً هاماً في نمط حياته، حيث ينتقل فجأة من عالم داخلي مغلق إلى عالم خارجي مليء بالمشكلات والتحديات وظروف جديدة تماماً من البيئة الهوائية ذات العدد اللامتناهي من المهيجات المتبدلة غالباً، ذلك العالم الذي يفرض عليه أن يرتقي من مخلوق عاجز إلى شخصية عاقلة.

وتتراوح فترة الولادة الحديثة بين خمسة وسبعة أيام وخلال هذا الوقت يكون الطفل الصغير آخذاً في الشفاء من التحول الفيزيولوجي الذي سببته الولادة ومباشراً في إقامة توازن مع بيئته فقط، إن الكثير من أنواع السلوك التي يبيدها المولود الجديد كالرضاعة والبحث عن حلمة الثدي، أو الملاحقة البصرية لضوء متحرك لا تستخدم القشرة الدماغية، بل تحدث بواسطة أقسام الدماغ الأسبق تكويناً، ومع ذلك فإن المولود الجديد هو عضوية قادرة على نحو ملحوظ، منذ اللحظة الأولى التي يبدأ فيها بالتنفس، على الرؤية والسمع والشم وهو حساس للألم واللمس وإلى أي تغيير في وضعه وهو مستعد بيولوجياً لمواجهة معظم الإحساسات الأساسية لنوعه منذ لحظة الولادة.

### **الخصائص العامة للمولود حديثاً:**

إن حياة الطفل في الظروف الجديدة تضمنها الآليات الفطرية، فهو يولد مع استعداد معين من جانب الجهاز العصبي للتكيف مع الظروف الخارجية

وبعد الولادة مباشرة تبدأ المنعكسات التي تؤمّن عمل الجهازين الأساسيين للجسم «التنفّس، الدورة الدموية» بالعمل.

يمكن للمرء أن يلاحظ في الأيام الأولى من حياة الرضيع أنّ تهيج الجلد يثير لدى الرضيع تشنّجاً، وتألّؤ الضوء أمام وجهه يثير تقطيب الحاجبين والاشتداد الحاد لسطوع الضوء يثير تضيقاً لبؤبؤ العين.. تلك المنعكسات تدعى بالمنعكسات الوقائية، إنها موجهة نحو تخفيف مفعول المهيجات.

وبالإضافة إلى ردود الأفعال الدماغية يمكن أن نلاحظ لدى المولودين الجدد ردود أفعال موجهة نحو الاتصال بالمهيج وهو ما يعرف بالمنعكسات الاستهدائية، فقد ثبت بالمعاينات أن مصدر الضوء الشديد يثير لدى الطفل في فترة الأيام الثلاثة الأولى استدارة الرأس: ففي غرفة بمشفى التوليد تكون رؤوس معظم المولودين الجدد موجهة في اليوم المشمس باتجاه الضوء شأنها شأن دوار الشمس، كما برهن على أنّ طبيعة المولودين الجدد في الأيام الأولى تتبع مصدر الضوء المتحرك ببطء، إن المحلل البصري يُعدّ العضو الوحيد من نوعه المزود بردود أفعال استهدائية منذ لحظة الولادة. والنشاط الاستهدائي ليس فطرياً بالولادة... ففي عملية التخالط مع الكبار يكتسب الطفل مزايا بشرية بحتة كحب الاطلاع والطموح إلى كسب المعارف وتبيان الحقيقة. وفي المراحل المبكرة من التطور تتكون الأعمال الاستهدائية أولاً على أساس منعكسات الدفاع الفطرية وثانياً على أساس الانطباعات عن العالم الخارجي وثالثاً على أساس أعمال خاصة ينظمها الكبار.

إنّ ملامسة طرفي الشفتين والخدين تثير لدى الطفل الجائع منعكس التفقيش عن الطعام فيدير رأسه باتجاه مصدر التهيج ويفتح فمه، وتتكشف لدى الطفل بضعة ردود أفعال فطرية أخرى، كمنعكس المص، فالطفل يبدأ بالحال مص ما يدخل إلى فمه، ومنعكس القبض، فبمجرد ملامسة الكف تثير ردة فعل التثبيت، ولامسة بطن القدم تثير ردة فعل الارتداد «الزحف».

إنّ فالطفل مسلح بكمية معينة من المنعكسات غير المشروطة التي تظهر في أيام حياته الأولى، وفي حين كان الجنين قبل الولادة ينمو على

حساب جسم الأم، فإن جسم الطفل ينتقل بعد الولادة إلى التنفس الرئوي وإلى ما يسمى بالأكل بواسطة الفم. وهذا التكيف يجري بصورة انعكاسية، وبعد أن تمتلئ الرئتان بالهواء تبدأ منظومة كاملة من العضلات في القيام بحركات تنفس رتيبية، وتجري التغذية بواسطة منعكس المص، والأفعال الغريزية المنخرطة في منعكس المص تكون في بادئ الأمر غير متناسقة بعد فيما بينها، فأثناء الامتصاص يَشْرُقُ الطفل بالحليب وتنقطع أنفاسه، وتخور قواه بسرعة، ويتسم بأهمية كبيرة أيضاً، تكوّن الآلية الانعكاسية لتنظيم حرارة جسم الطفل الذي يأخذ في التكيف شيئاً فشيئاً مع تغيير درجات الحرارة.

إن الولادة هي الفترة الوحيدة في حياة الإنسان، التي يكون فيها بالإمكان معاينة ظهور أشكال السلوك الفطرية الغريزية في شكلها البحت والموجهة نحو تلبية الحاجات العضوية. غير أن هذه الحاجات لا يمكنها أن تشكل أساس التطور النفسي، إنها فقط تؤمن بقاء الطفل على قيد الحياة.

لقد أثبتت أبحاث علماء النفس أن الخاصة الأساسية للوليد هي الإمكانيات غير المحدودة لاستيعاب الخبرة الجديدة واكتساب أشكال ملازمة لطبيعة الإنسان. إن الحاجة إلى تلقي الانطباعات مرتبطة في أصولها بالمنعكسات الاستهدائية وهي تتطور تبعاً لاستعداد أعضاء حواس الطفل لتلقي هذه الانطباعات. وعلى الرغم من أن عضوي البصر والسمع لدى الطفل المولود حديثاً يدخلان حيز العمل منذ اليوم الأول للحياة، فإن عملهما غير متقن بتاتاً. فردود الأفعال البصرية يستثيرها فقط الضوء الموجود على مسافة قريبة، وردود الأفعال السمعية تستثيرها فقط الأصوات الحادة وعلى امتداد الأسابيع والأشهر الأولى من حياة الطفل يتحسن البصر والسمع، ويبدأ الطفل يتبع الأشياء المتحركة بعينه، وفيما بعد يبدأ في تثبيت النظر على أشياء غير متحركة ويأخذ بالاستجابة لأصوات غير حادة ولا سيّما لصوت الراشد.

ويبدأ الطفل في الحال تقريباً بتوجيه الانتباه إلى الوجوه البشرية فقد بينت الأبحاث أن الطفل ينظر إلى الأجسام البيضاء الشكل ذات العلام

البشرية نظرات متكررة أكثر مما ينظر إلى الأجسام نفسها ذات الوضع المختلط، وبإمكان الأطفال منذ الأيام الأولى لحياتهم أن يميزوا أصواتاً وروائح متنوعة، ولدى المواليد حديثي الولادة حاسة سمع حادة فالحديث والغناء الخافتان يجتذبانهم وهم يكفون عن الاضطراب ويركزون انتباههم في أصوات مطمئنة لشخص راشد.

والصوت المرتفع، والنبرة القوية من الصوت يدفعان الطفل إلى التخوف والارتجاف والبكاء. إن الخاصية الهامة للمولود تكمن في أنّ تطور البصر والسمع يجري لديه بصورة أسرع من تطور حركات الجسم، وهذه الخاصية تميز الطفل عن صغار الحيوان التي تكتمل لديها - بالدرجة الأولى - الحركات. وتطور عمل جهازي البصر والسمع وتحسن ردود الأفعال نحو المهيجات الخارجية يجريان على أساس نضوج الجهاز العصبي لدى الطفل ودماعه بالدرجة الرئيسية. إن وزن دماغ المولود يشكل ربع وزن دماغ إنسان راشد. وعلى الرغم من أن كمية الخلايا العصبية فيه هي الكمية نفسها التي لدى الراشد، فإن هذه الخلايا غير متطورة بصورة كافية، ومن الخطأ الظن بأن نضوج الدماغ يستطيع بحد ذاته أن يضمن تطور أعضاء حواس المولود. إن هذه التطور يجري تحت تأثير الانطباعات الخارجية التي يتلقاها الطفل، زد على ذلك أن نضوج الدماغ نفسه أمر مستحيل دون هذه الانطباعات، فالشرط الذي لا بدّ منه للنضوج الطبيعي للدماغ في فترة ما بعد الولادة هو تمرين أعضاء الحواس «أعضاء الاستقبال» ودخول الدماغ إشارات متنوعة من العالم الخارجي يتم الحصول عليها بواسطة هذه الأعضاء. وكل ذلك يقودنا إلى ضرورة معرفة الشخصية... إذن ما هي الشخصية؟

كل صفة تميز الشخص عن غيره من الناس تؤلف جانباً من شخصيته، فذكاءه وقدراته الخاصة وثقافته وعاداته ونوع تفكيره وآراؤه ومعتقداته من مقومات شخصيته، كذلك مزاجه ومدى ثباته الانفعالي ومستوى طموحه وما يحمله في أعماقه من مخاوف وعقد مختلفة وما يتسم به من صفات اجتماعية وخلفية كالصدق أو الكذب، التسامح أو التشرد، الانطواء أو الانبساط، هذا كله

إلى ما يتميز به من صفات جسمية كالقوة والجمال ورشاقة الحركات وحدة الحواس، وبذلك نستطيع أن نُعرّف الشخصية: بأنها جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تمييزاً واضحاً، وهذا الشعور بالذات أو الشعور بالشخصية يمر بمراحل نمو عند الطفل تسمى «مراحل نمو الشعور بالشخصية» وهذه المراحل هي:

### ١ - مرحلة اللاتغاير:

وهي المرحلة التي تبدأ فيها الحياة بجوانبها المختلفة. ففي مراحل العمر الأولى يصعب على الطفل أن يميز بين ذاته والبيئة المحيطة به، ففي هذه المرحلة يكون شعور الرضيع محصوراً بالإحساسات الحشوية والإحساسات السطحية التي تثيرها المنبهات الخارجية دون أن يدرك حقيقة هذه الإحساسات ومصدرها، وتستغرق هذه المرحلة الشهور الأربعة أو الخمسة الأولى من الحياة. وفي هذه المرحلة تكون استجابات الطفل منعكسة ومقيدة بالحاجات العضوية. فهو لا يدرك حدوداً فاصلة بين جسمه والبيئة الخارجية، ولا يميز بين أجزاء جسمه كونها أجزاء جسمه بل يمص أصابع قدمه مثلاً كما يمص أي شيء آخر يمس فمه. ويمكننا القول إنه في هذه المرحلة لا يوجد لدى الطفل أي شعور بالشخصية.

### ٢ - مرحلة التمايز النفسي أو الشعور بالشخصية:

في مراحل العمر الأولى - كما أسلفنا - تكون انفعالات الطفل استجابات كلية عامة غير محدودة وغير واضحة، وخلال مراحل النمو المختلفة فإن نوعاً من التخصص والتمايز يأخذ في النمو بحيث تتحول الاستجابات الانفعالية البدائية غير المحددة إلى استجابات أكثر تنظيماً. ويصبح الفرد نفسه أكثر قدرة على التحكم والضبط في إصدار استجاباته، وهذا يؤدي إلى مزيد من التخصص في ألوان السلوك المدفوع، حيث يمكن له أن يؤجل أو يعدل استجاباته. كما تنمو قدرته على حماية نفسه من الآثار المحيطة لبعض المثيرات. ويصبح شيئاً فشيئاً معتمداً في الضبط والتحكم على قيم ومعايير لا تأتيه من الخارج، بل تصبح له

قيمه ومبادئه التي هي جزء مكمل ومميز لذاته، فقدرة الفرد على تمييز نفسه عن الآخرين وعمّا حوله من أشياء هي عملية نمائية مضطربة حيث يزداد لديه نمو الشعور باستقلال الهوية، وتزداد قدرته على تنظيم انفعالاته وألوان سلوكه، وبذلك يغدو قادراً على التنظيم والتحكم في علاقة شخصيته بالبيئة الخارجية عامة. وعليه يمكن إجمال مؤشرات التمايز النفسي أو الشعور بالشخصية بما يلي:

- أ- مدى النمو الحادث من مفهوم الذات وتفصيلها وتمييزها عمّا حولها.
- ب- مدى النمو الحادث من فهم الذات الجسمية والشعور بالشخصية المستقلة.
- ج- مدى النمو الحادث في أساليب السلوك الدفاعي وأساليب التحكم والضبط الانفعالي.

غير أن هذه المؤشرات منها ما يبرز أثره ويثقل وزنه حين نحكم على شخصية فرد من الأفراد، فحدة الحواس أو القدرة على التذكر لدى الفرد أو مهارته اليدوية أو استعداده الدراسي لا يكون لها في العادة وزن كبير إذا قيست إلى قدرته على التعامل مع الناس، أو على ضبط نفسه أو اتزانه الانفعالي، أو مسابرة المعايير الاجتماعية والخلقية في البيئة، بل إن الذكاء نفسه قد يحجب أثره ووقعه ما يتسم به الفرد من سمات اجتماعية وخلقية، فالدنيا تزخر بأذكاء فشلوا وتضاعلت شخصياتهم في أعين الناس من جراء سوء علاقاتهم بالناس، وبعبارة أخرى فمظهر الشخصية البارز هو المظهر الاجتماعي، لذا تعرّف الشخصية أحياناً بأنها مجموع صفات الشخص كما تبدو في علاقاته مع الناس.

### سمات الشخصية:

نحن نحكم على شخصيات الناس في حياتنا اليومية أحكاماً عامة نخرج بها من انطباعات عامة فنقول إن فلاناً ذو شخصية قوية أو جذابة أو مسيطرة أو مهزوزة، فنعرّف السمة بأنها ميل ثابت إلى نوع معين من السلوك أي يبدو أثره في عدد كبير من المواقف المختلفة، فالسيطرة استعداد أو ميل للظهور أو التسلط في أكثر المواقف التي تعرض للسيطر.

والمثابرة استعداد للاستمرار في العمل رغم صعوبته وجفافه في مواقف كثيرة يختلف فيها نوع العمل والشخص الذي نسميه بالأمانة ليس الشخص الذي يتصرف بأمانة في جميع المواقف والظروف على اختلافها بل هو الذي ينصرف بأمانة في عدد كبير منها وفي ظروف أتيح له فيها أن يكون غير أمين.

### السمات الشعورية واللاشعورية:

هناك سمات واضحة ظاهرة يشعر الفرد بوجودها كسمات الصداقة أو ضبط النفس أو الروح الاجتماعية وأخرى بعيدة الغور لا شعورية مكبوتة لا يفتن الفرد إلى وجودها أو لا يدرك الصلة بينها وبين سلوكه كالرغبات والعواطف والمقاصد والمخاوف المكبوتة وهي سمات يصدر عنها سلوك يتسم بما يتسم به كل سلوك صادر عن الكبت وتنقسم هذه السمات المكبوتة إلى قسمين:

١- السمات العصابية المنطلقة: وهي سمات تبدو في صورة سلوك بعيد عن انطلاق المكبوت كانطلاق الخوف المكبوت في صورة قلق وانطلاق البغض المكبوت في صورة عدوان أو الخجل المكبوت في صورة حيرة وتردد، وارتباك... إلخ، ومن خصائص هذه السمات العصابية أنها تتعارض مع الخلق المعهود للشخص كالتلميذة المهذبة التي تضبط متلبسة بكتابة خطابات قذرة.

٢- السمات العصابية العكسية: هي سمات تبدو في صورة سلوك هو نقيض السلوك الذي يصدر عن انطلاق المكبوت عادة فكم من مظاهر للرحمة تخفي وراءها باطناً من القسوة وكم من مستبشر ضاحك يخفي وراء استبشاره انضباطاً دفيناً، ومن خصائص السمات العكسية أنها مسرفة دائماً لأن عليها أن تحجر السمة المضادة حجراً تاماً ولا تدع الفرد يشعر بوجودها البتة.



## طراز الشخصية:

اهتم الإنسان منذ القدم بتصنيف من يعاشرونه من الناس إلى شخصيات مختلفة يرجعها إلى طرز معينة ويقصد بالطراز (TYPE) فئة أو صنف من الأفراد يشتركون في نفس الصفات العامة وإن اختلف بعضهم عن بعض في درجة تسميتهم بهذه الصفات.

- الطرز المزاجية: والتي تقسم الناس وفق المزاج الغالب لديهم إلى:

١- الطراز الدموي: صاحبه متفائل، مرح، نشيط، ممتلئ الجسم، سهل الاستثارة، لا يهتم إلا باللحظة الحاضرة ولا يأخذ الأمور جداً.

٢- الطراز الصفراوي: قوي الجسم، طموح، عنيد، وأهم ما يميزه حدة الطبع وسرعة الغضب.

٣- الطراز السوداوي: متأمل بطيء التفكير لكنه قوي الانفعال، ثابت الاستجابة، يجد صعوبة في التعامل مع الناس وأهم ما يميزه الانطواء والتشاؤم.

٤- الطراز البلغمي: بطيء الاستثارة والاستجابة، خامل بليد، ضحل الانفعال، بدين، يميل إلى الشره.

- الطرز الجسمية: ويمكن تصنيف الناس بحسب الطراز الجسمي إلى:

١- الطراز المكتنز: وهو القصير السمين ويتميز صاحبه بالمرح والانبساط والصراحة وسرعة القلب.

٢- الطراز الواهن: وهو الطويل، النحيل ويتميز صاحبه بالانطواء والاكتئاب.

٣- الطراز الرياضي: ويتميز بالنشاط والعدوان.

## أثر العوامل الاجتماعية على الشخصية:

١- أثر ثقافة المجتمع: للمجتمع والثقافة المميّزة له صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنهم من أفراد.

٢ - **التطبيع الاجتماعي:** حيث لا يولد الطفل اجتماعياً وعلى المجتمع أن يأخذ في صقله وترويضه وتعليمه حتى تظهر إنسانيته من ثنايا طبيعته الحيوانية وتسمى هذه العملية التي يتم بها تكييف الفرد - وخاصة الطفل - مع بيئته بعملية التطبيع الاجتماعي. إنها عملية تربية وتعليم يقوم بها الآباء والمعلمون وغيرهم من الذين يمثلون ثقافة المجتمع.

٣ - **أثر الأسرة في الطفولة المبكرة:** كانت الأسرة ولا تزال أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي ونقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل.

### **خلاصة ونتيجة:**

من المتفق عليه أن الإنسان كائن بيولوجي وفي الوقت نفسه هو كائن اجتماعي وأن له طبيعة موروثية. وإن كان الاتفاق على تحديدها ليس كاملاً. فكل نظرية من نظريات الشخصية تعطي أحد العوامل وزناً أكثر من غيره فبعض النظريات تعطي للعامل البيولوجي الدور الأهم والأكبر في تحديد الشخصية بينما تفعل نظريات أخرى عكس ذلك فتبعد هذا العامل كلياً أو جزئياً لتؤكد دور الخبرة والبناء الاجتماعي. فبينما يؤكد «فرويد» على الطبيعة البيولوجية للإنسان وينظر لنمو الشخصية على أنه مرتبط بالمعطيات البيولوجية عندما يتحدث عن مرحلة فمية ومرحلة شرجية ومرحلة تناسلية، نجد «بياجيه» يركز على العكس من «فرويد» على النمو المعرفي أي العمليات العقلية المميزة للنمو من الطفولة حتى الرشد ويحدد المراحل التي يتطور خلالها التفكير العقلي مفترضاً وجود مرحلتين أساسيتين هما: المرحلة الحسية - الحركية، والمرحلة التصورية.

بينما رفض «إريك فروم Eric Fromm» النظرية النفسية الجنسية كما هي عند «فرويد» ونظر إلى الشخصية باعتبارها نتاج القوى الثقافية. على أنه على ضوء المعرفة الحديثة يكون من المتعذر طرح الموضوع في صورة إما العوامل البيولوجية وإما العوامل الاجتماعية فحتى في

الحيوانات ذات السلوك الغريزي، والتي كان يعتقد إلى وقتٍ قريبٍ أن سلوكها هذا تحدده الميكانزمات العصبية والهرمونية، اتضح أنها تعتمد تماماً على الضوابط البيئية والعمليات البيولوجية.

أي أن هناك تفاعلاً مستمراً بين القوى البيولوجية والبيئية «الطبيعية» منها والاجتماعية» في تشكيل الشخصية. وأن إحدى هذه القوى لا تعمل مستقلة عن الأخرى بل تتفاعلان معاً وتؤثر إحداهما في الأخرى بالتبادل. وفي مجال الإنسان يأتي الوليد البشري في العالم الاجتماعي مزوداً بقدر ملحوظ من الخصائص البيولوجية والاستعدادات التي تؤثر في كيفية استجابة البيئة الاجتماعية له، كما أن البيئة الاجتماعية تؤثر بدورها في الطريقة التي سيتم بها النضج البيولوجي. لذلك فعندما نتكلم عن العوامل البيولوجية، أو عن المحيط الطبيعي، أو العوامل الاجتماعية كمحددات للشخصية يجب أن نتذكر أنها جميعاً متفاعلة متكاملة تشكل محددات الشخصية لا واحدة منها فقط.

فالعوامل البيولوجية تعمل في إطار العوامل الاجتماعية والمحيط الطبيعي وكذلك فإن العوامل الاجتماعية تعمل دائماً في إطار نظام بيولوجي خاص من خلال المؤسسات الموجودة في المجتمع.



## مشكلات الطفولة

### وأثرها في تكوين الشخصية لدى الأبناء

يتمحور النمو باتجاه صاعد نحو استكمال الطفل وظيفته في الحياة ليصبح ذاك الإنسان القادر على القيام بمتطلبات هذه الحياة، وعندما يتم النضج في اكتماله النهائي للإنسان يتوقف نهائياً في عمر معين ليبدأ في الانحدار من جديد ويُرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم من بعد علم شيئاً، والنمو حالة كلية شاملة للعضوية الإنسانية يتقدم بتناغم وانسجام بين جميع مكونات هذه العضوية النفسية والعقلية والجسدية، وعادة يقاس النمو النفسي والعقلي لدى الطفل من خلال قياس نموه الجسدي، ذلك أن أي اختلال في التكامل بين الطرفين يؤدي إلى الإعاقة التي تقدم للمجتمع إنساناً ناقصاً يشكل عبئاً عليه، وفي سبيل هذا القياس وُضعت جداول لمرحلة ما قبل المدرسة تقيس النمو العقلي والنفسي بالنمو الحركي، فهناك نضج حركي لا بد أن يبيده سلوك الطفل لكي يتم الحكم على تكامل نموه نفسياً وعقلياً، فالعقل السليم في الجسم السليم.

قدّم علماء النفس الكبار، ممن تركوا بصمات بارزة على مسيرته نظريات حول طبيعة النمو، وهكذا تكونت مدارس معروفة تستند إلى طبيعة مراحل هذا النمو، واتفق الجميع على تقسيمه إلى مراحل، فليس الطفل راشداً صغيراً، إن عقله وتكوينه النفسي ينموان بتناغم مع نموه الجسدي مما يجعل من سمات النمو أنه حالة كلية وليست جزئية، الطفل ينمو كله بكل أجزائه وتكويناته الظاهرة والخفية، هذا النمو ينتقل من العام إلى الخاص، فالدماغ على سبيل المثال ينمو كجهاز للسيطرة قبل نمو وظائفه الدقيقة كالنقير

والتأمل والإبداع، ثم يتسم النمو بأنه يتدرج من المجلد إلى المفصل، فالحركة مثلاً تنمو باتجاه استخدام الطفل للجسم بكامله أولاً قبل أن يتمكن من تقنية استخدام أصابعه والسيطرة عليها وصولاً إلى القبض على الأشياء أو الاستناد بأصابع قدميه على الأرض عندما يصل إلى مرحلة المشي، كل ذلك يتم عبر مراحل زمنية لا بدّ من عبورها.

يتسم النمو بالاستمرارية من خلال الوحدة التامة في الشخصية، فالنمو النفسي والانفعالي والعقلي متصلان بوثاقة بالنمو الجسدي ومستمران صعوداً وهبوطاً في حركة دائمة طول العمر، ليكوّنا ما اصطُح على تسميته بالشخصية التي تميز إنساناً عن الآخر، أما العلاقات بين أطراف أو عناصر النمو فهي علاقات إيجابية دائماً منسجمة غير متضادة أو متناقضة أبداً، فهناك علاقات إيجابية بين نمو الدماغ مثلاً ونمو الذكاء وما يتصل به من تفاصيل كالمحاكمة وحل المشكلات وغير ذلك.

وهكذا يرتبط نمو عضو ما في الجسم بنمو وظائفه ونمو الجسم كله معاً بانسجام ومرحلية دقيقة ونظام عجيب، هو نظام الإنسان ذاته، المسيطر على هذا العالم والمتقدم معه وبه إلى آفاق ليس لها حدود.

وشخصية الطفل تتحدد جوهرياً في السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل تتحكم بها الوراثة، وتوجهها التربية إلى غايتها، وفيها الكثير من النظريات، والتي تفيد بأن الشخصية نظام كامل من النزعات الثابتة نسبياً، جسمية ونفسية تميز فرداً معيناً وتُفرز الأساليب المميزة لسلوكه التكيفي مع المحيط، وهذه الشخصية موحدة ممتدة متبادلة التأثير مع المحيط: ويأتي تأثير الوراثة فيها من زاوية اكتمالها في بداية الطفولة «المرحلة قبل المدرسية» حيث يقع الإنسان تحت تأثير والديه مباشرة: إيجاباً وتربية.

ويذهب علماء نفس الشخصية إلى أن شخصية الفرد تربو على مجموع صفاته وخصائصه، وهم بذلك يشبهون كثيراً علماء نفس الهيئة الذين يذهبون إلى أن الكلّ يربو على مجموع أجزائه، إن الشخصية عبارة عن جميع قدرات

الفرد متكاملة في عمل، وشخصية الإنسان هي الصورة الكلية لسلوكه المنظم كله، ولا سيّما كما تبدو باستمرار لزملائه، وعلى هذا فالشخصية فعالة لا راكنة وهي تمثل بصورة خاصة عمل الفرد في المواقف الاجتماعية.

ليست الشخصية والخُلق شيئاً واحداً، فالخُلق أحد مظاهر الشخصية ويشمل بصورة خاصة الصفات والخصائص ذات الطابع الأخلاقي، لذلك تكون الشخصية على العموم أفضل كلما كان خُلقها أفضل، ولكن يمكن أن يكون الشخص ذا خُلق ممتاز، مع أن عناصر أخرى في سلوكه تكون غير مرغوب فيها في الصلات الاجتماعية، لذلك نميل إلى القول بأن الشخص صالح إلا أن شخصيته غير سارة.

إن من الملاحظ أن تكوين الجسم ووظائفه ثم مواهب الفرد وقابلياته العقلية هي من بين العوامل الهامة التي تؤثر في شخصية الفرد، وهذه العوامل هي بعض عناصر وراثه الفرد التي تعين بعض التعيين ما سيكون عليه، كما تضع بعض الحدود في طريقه، ولكن ظروفه البيئية: كحالته الاقتصادية والاجتماعية، وتكوين أسرته وأساتذته ورفاقه، كل هذه تؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين شخصيته، وهي قد تؤثر تأثيرها الحسن أو تأثيرها السيئ في عاداته التي سيكون لها أهميتها العظيمة في حياته عندما يصير راشداً.

لقد أظهرت البحوث أن الصغار الذين يفدون من بيوت وأسر راقية يكونون على الأرجح شرفاء وموثوقين وطموحين ونشيطين وعفويين وطيبين المعشر، بينما الوافدون من بيئات أفقر بُدءاء غير منتبهين، لا يحافظون على الدوام بانتظام، كُسالى مُهملين، وربما كان لموقف الأبوين من الطفل الصغير ومن مشاكله أهم العوامل البيئية، فالطفل والمراهق يحتاجان كثيراً إلى المعونة الثابتة الدائمة تأتيهما من الأسرة التي تتمتع بالانسجام والحب والتفهم.

إن المدرسة والبيت لا يعجزان عن القيام بدورهما في إنماء شخصية الطالب وتعديلها، والتربية والتعليم قد يساعدان الطفل في اكتساب الصفات المستحبة في الشخصية، وذلك بتوفيرهما الفرص التي تمكنه من النجاح في

التعبير عن ذاته، وإرشاده إلى كيفية ضبط النفس، وتعليمه كيف يكون عاداته وأفكاره وسلوكه الانفعالي والاجتماعي تكويناً سليماً.

والمراهق يحتاج بصورة خاصة إلى التشجيع في أغلب الأحيان على الشعور بالثقة بالنفس والرضا عنها، وتوجيه المراهق الأولاد الجديدة الجذابة يفيد شخصيته النامية فائدة عظيمة، ويحرز المدرس والمرشد أحسن النجاح في هذا التوجيه إذا هما استعملا الطرق الإيجابية البناءة، أما التوبيخ والاستهزاء والإمعان في القسوة والسيطرة الفظيعة فإنها كلها تهدم شخصيات الطلاب في سنوات تكوينها.

إن الشخصية في الطفولة تنمو وتزدهر في جو عائلي ومدرسي يتقبل فيه الطفل كما هو ويُمنح فيه من الحب والتشجيع ما يُمكنه من تنمية استقلاليته في أسرع ما يمكن أن يسمح به نمو وتطور ثقته بنفسه.

الأسرة هي أهم عوامل التنشئة الاجتماعية وهي أقوى خلايا المجتمع تأثيراً في تكوين شخصية الفرد وتوجيه سلوكه، وتختلف الأسرة من حيث الطبقة الاجتماعية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وللوالدين في إطار الأسرة أساليب خاصة من السلوك تجاه أولادها في المناسبات المختلفة التي يكون فيها الأولاد طرفاً سواء أكانت هذه المناسبات داخل المنزل أم خارجه وهذه الأساليب هي التي نجلها في كلمة المعاملة، فإذا لاحظنا قساوة الأب في عقابه الذي يوقعه بابنه فنحن أمام شكل من أشكال المعاملة وإذا رأينا المصارحة بين الأم وابنتها فنحن أمام أسلوب من أساليب المعاملة وتمثل هذه الأساليب مكانة هامة في تكوين شخصية الأبناء وأساليب تكيفهم ويبقى الكثير من آثارها فيهم لتظهر مجدداً في معاملتهم لأولادهم فيما بعد، ومن أجل ذلك جعلت المعاملة، موضوعاً للعديد من الدراسات في تحديد مفهومها وأنواعها والعوامل التي تؤثر فيها وأساليبها وانعكاساتها على الشخصية بكل جوانبها النفسية والانفعالية والاجتماعية والعقلية والجسدية.



## تعريف المعاملة وأنواعها:

المعاملة هي السلوك الذي يتبعه الآباء مع أولادهم خلال المواقف المختلفة التي تحصل في هذه الحياة داخل المنزل وخارجه والتي يكون الطفل عضواً فيها، وتعرف أيضاً بأنها موقف الأبوين من رغبات الطفل وأشكال الثواب والعقاب التي يحققان بها ما يريدان من الطفل.

لنأخذ مثلاً: طفل عمره خمس سنوات أراد الخروج مع والديه رافضاً البقاء كسائر إخوته في المنزل، ما هو سلوك الأبوين تجاه هذا الموقف؟ هناك من يلجأ إلى تأنيبه وضربه، ومنهم من يلجأ إلى مناقشته وإقناعه، ومنهم من يلجأ إلى التجاوب معه، ولكن ما هو السلوك الصحيح؟ من خلال عرض الموضوع سيتضح السلوك الصحيح الذي يجب أن يتبعه الآباء مع أبنائهم للإسهام في تنمية شخصيتهم بكافة جوانبها.

## أنواع المعاملة:

١ - المعاملة القاسية: وتتسم بمضايقه الطفل وتخويفه وتمنع تحقيق رغباته وتقيده حريته، هذا وتستعمل العقوبة مع الطفل لردعه وإسكات حاجته وتتجلى العقوبة بالزجر والتهديد والضرب.

٢ - المعاملة اللينة: تتجسد في تلبية كل ما يطلبه الطفل وعدم تقييد حريته ويطلق على الطفل الذي يعامل هذه المعاملة صفة الطفل المدلل والإفراط في الدلال يؤدي إلى خلق شخصية فوضوية غير مبالية عند الطفل.

٣ - المعاملة المعتدلة: وهي المعاملة الصحيحة التي تعتمد على المزج بين العقل والعواطف ويلجأ إليها الأبوان عند توجيه النصح والإرشاد للطفل والمناقشة معه ومحاولة إقناعه، وبهذا يساهمان في تكوين شخصية سليمة وصحيحة عند بلوغه سن الرشد، وإذا لم يفهم الطفل بالإرشاد والتوجيه يلجأ الأبوان إلى تأنيبه بحرمانه من الأمور المحببة إليه أحياناً وذلك لإعادته إلى الطريق الصحيح.

## العوامل ذات الأثر في معاملة الوالدين لأبنائهم:

هناك عدة عوامل لها تأثير هام في طريقة معاملة الوالدين لأبنائهم ومن أهم هذه العوامل:

١ - **المعاملة والمستوى التعليمي للأبوين:** يقصد بالمستوى التعليمي أي درجة التعليم التي حاز عليها الفرد ومدى اطلاعه على الأمور العلمية والأدبية والاجتماعية، ومن المعروف أن لكل أب أو أم مستوى تعليمي معين يتدرج من أدنى درجة وهي الإلمام بالقراءة والكتابة إلى أعلى درجة من درجات التسلسل العلمي، إن ارتفاع المستوى التعليمي للأبوين يسهم في تغيير نظرتهم لشؤون الحياة وطريقة سلوكهما مع أبنائهما وتكيفهما مع مجتمعهما ورأيهما في مستقبل أبنائهما، وقد بينت إحدى الدراسات أن هناك علاقة بين المستوى التعليمي للأبوين وبين أساليب معاملتهما، فإن الأبوين المتعلمين يستعملان الأساليب المعتدلة في المعاملة بينما يستعمل الأبوان الجاهلان أساليب القسوة والعنف مع أولادهما، ففي حال وقوع مشاجرة بين الإخوة في الأسرة يستعمل (٤٥%) من الآباء الجاهلين أسلوب العقاب الجسدي للمعتدي بينما لا يستعمل هذا الأسلوب من الآباء المتعلمين إلا (١٧%) منهم ويلجأ (٤٩%) من هؤلاء إلى النصح والإرشاد.

٢ - **المعاملة والمستوى الاقتصادي للأبوين:** يتفاوت المستوى المادي من أسرة إلى أخرى نتيجة اختلاف المهن التي يمارسونها، وهذا التفاوت يؤثر على مستوى معيشتها وبالتالي على طرق معالجتها للأمور.

فالفقر مثلاً يؤدي إلى إهمال الطفل وعدم العناية به، إذ نجد أن الطبقات الدنيا تقطع صغارها مبكراً وتزداد من جهة أخرى نسبة استخدام القسوة في التعامل مع أبنائها أكثر من الطبقات الوسطى.

ووجد في دراسة أجرتها «دولجرو جينابس» أن الأهل في الأسرة ذات المركز الاجتماعي الاقتصادي المتوسط أو المرتفع يميلون إلى مناقشة

أبنائهم وشرح الموقف لهم وإقناعهم بعكس الأهل في الأسرة ذات المركز الاجتماعي والاقتصادي المنخفض الذين يميلون إلى عقاب الطفل وضربه والقسوة عليه.

ويلاحظ (olsom) أنه من الممكن أن يعامل الأبوان من الطبقة الدنيا أبناءهما معاملة تتيح لهم مزيداً من الحرية.

غير أن انخفاض الدخل والموارد المالية يسهم في زيادة معاناة الأسرة ووقوعها في الفاقة والحرمان من المأكل والملبس الكافيين بعكس أبناء الطبقة الوسطى.

ويتحدث «بولبي» عن الإهمال كعامل من عوامل فشل الأسرة في رعاية الطفل ويذكر أن الفقر وسوء تدبير ميزانية الأسرة كانا من أسباب إهمال الطفل بدنياً وانفعالياً.

٣- المعاملة والوضع الاجتماعي للوالدين: إن المقصود بالوضع الاجتماعي هو مركز الأبوين في المجتمع ودرجة تكيفهما مع المجتمع واحترام الناس لهما. واتساع علاقتهما الاجتماعية أو ضمورها، فقد يكون الأب موظفاً هاماً أو زعيماً سياسياً أو دينياً في شريحة له مركزه ودوره، ويحظى باحترام الناس وتقديرهم وقد يكون شخصاً عادياً لا يزدريه الناس لكنهم لا يمنحونه مكانة خاصة.

ويحسن بنا أن نميز بين الوضع الاجتماعي والمستوى الاقتصادي إنهما مفهومان مختلفان، والدليل على اختلافهما أنه قد يكون الفرد فقيراً لكنه يتمتع بمركز مرموق بين الناس، أو بالعكس غنياً ولكن لا تقدره هذه الشريحة.

أما تأثير الوضع الاجتماعي في المعاملة فيمكن القول بأنه يسهم في تحديد سلوك الأفراد فيتخذون مواقف سلوكية تناسب وضعهم.

ولما كانت معاملة الوالدين لأبنائهما جزءاً من سلوكهما فإنهما يتأثران بما يكون عليه وضعهما الاجتماعي.

إن استعمال الصراحة في معاملتهما مثلاً يرتبط بذلك الوضع فالأم التي تنتمي إلى أسرة متدنية المركز قد تلجأ إلى أسلوب المواربة في معاملتها لطفلها بحضور أم من أسرة رفيعة المستوى حيث تظهر بالمظهر اللائق وهذا يخلق عند الطفل ازدواجية تسبب تشتته واضطرابه لذلك لا بدّ من توافق المعاملة وثباتها في الطريق القويم.

فمن غير المعقول أن يعامل الطفل بطريقة النصح والإرشاد ثم تُغيّر المعاملة إلى الضرب والقسوة لأن التغيير سيسبب اضطراباً في شخصية الطفل بكافة جوانبها النفسية والاجتماعية والعقلية والانفعالية في المستقبل.

٤ - المعاملة والبيئة الاجتماعية: ينقسم المجتمع الإنساني إلى بيئات اجتماعية متعددة لكل بيئة نظامها وخصائصها المميزة التي تتجلى في نمط أفرادها ونظمهم الاجتماعية مما يجعل لكل بيئة نظاماً سلوكياً يتبعه أفرادها.

وهناك دراسات فيما يخص العلاقة بين المعاملة والبيئة الاجتماعية قام بها «ماليونوسكي» التي تبين ارتباط المعاملة بالبيئة الاجتماعية، إذ يلاحظ أن الأسرة «التروبرياندية» تختلف عن الأسرة في المجتمعات المدنية المتمدنة فالأبوة فيها تخلو من ممارسة السلطة على الأبناء، ونقف عند مسألة الفطام إذ لا تلجأ إليه الأم إلاّ عندما يفضل الطفل غذاء آخر بينما نجد الأم المعاصرة المتمدنة تحدّثه بشكل مفاجئ ومبكر مما يرهق الطفل.

### صرامة الآباء وقسوتهم وأسباب هذا الأسلوب ونتائجه:

هناك بعض الآباء يظهر قساوة في معاملته لأطفاله وتأخذ هذه القساوة مظاهر مختلفة من الأوامر والنواهي والانتقادات والعقوبات والمقاومة لرغبات الأطفال لدرجة أن كلمة «لا» تكون دائماً على لسان هذا الطراز من الآباء إذا ما أقدم أبناؤهم على عمل من الأعمال أو طلبوا مطلباً لا يجد قبولاً لديهم.

إن مثل هؤلاء الآباء يتصفون بالقسوة في معاملتهم لأبنائهم لأن أسلوب تربيتهم يقوم على السيطرة والتحكم الزائد فضلاً عن أنهم في كثير من الأحيان يطلبون من أبنائهم القيام بأعمال صعبة وشاقة كما يُحمّلونهم المهام

والمسؤوليات منذ سن مبكرة مما يجعلهم يشعرون بالعجز والقصور، وإذا ما اعترض معترض على هذا الأسلوب من المعاملة أجاب هؤلاء الآباء بأنهم يفعلون كل ذلك لصالح أبنائهم ولكن هذه التربية التي تقوم على العنف والقسوة تحرم الطفل من إشباع الكثير من حاجاته النفسية.

### أسباب هذا الأسلوب في المعاملة:

١- إن معاملة الوالدين لأطفالهم تتأثر إلى حد كبير بما مرَّ معهم من تجارب أيام كانوا أطفالاً منهم في بعض الأحيان يعكسون ما لاقوه من معاملة أيام طفولتهم وصباهم. فإذا كانت هذه المعاملة قائمة على الصرامة والقسوة نجدهم يعاملون أطفالهم بنفس المعاملة.

٢- يكون الضمير اللاشعوري «الذات العليا» لدى بعض الآباء قوياً جداً لدرجة التزمّت، والضمير اللاشعوري هنا يكون قد امتص معايير صارمة، وهم لذلك يحاولون تطبيق هذه المعايير على أطفالهم فنجدهم لذلك يكثر من إبداء النصح لأولادهم في مناسبة وغير مناسبة كما يجدون في كل هفوة يرتكبونها جريمة لا تُغتفر.

٣- في بعض الأحيان نجد القسوة صادرة عن الأم يرجع السبب إلى أن الأم وهي طفلة فقدت أمها تاركة لها مجموعة من الإخوة الصغار مما جعلها تتحمل المسؤوليات والأعباء وهي صغيرة وعندما تكبر نجدها تتخذ لنفسها اتجاهاً في معاملة أطفالها يقوم على السلطة القاسية ومتأثرة بما اكتسبته من خبرات مبكرة خلال فترة طفولتها.

٤- كذلك الأب السكّير أو المدمن يكون من أقسى الآباء على أبنائه لأنه غير راضٍ عن نفسه أو لأنه فاشل، لذلك يطلب الكمال عند أبنائه.

### نتائج القسوة في المعاملة:

١- المغالاة في تطبيق معايير الأدب والخضوع والميل إلى الاستكانة والخشوع والطاعة في غير موضعها يؤدي بالطفل إلى عدم القدرة على المناقشة وإبداء الرأي.

٢- يحتاج هؤلاء الأطفال الدافع إلى التلقائية كما أنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على غيرهم وخاصة على والديهم بمعنى أنهم لا يستطيعون التصرف في أي أمر من الأمور دون الأخذ برأي الوالدين أو من يكبرهم من الأبناء فهم دائماً بانتظار ما يقال لهم دون أن يحاولوا أن يتصرفوا من جهتهم في أمر من الأمور ولا يبادرون إلى القيام بأي عمل من الأعمال وبذلك تلتغي شخصيتهم.

٣- عدم القدرة على التمتع بالحياة وقضاء وقت الفراغ فأمثال هؤلاء الأطفال يفكرون في المسؤوليات وفي العمل على الدوام ولا يعطون أنفسهم فرصاً للاستمتاع بمباهج الحياة.

٤- كذلك قد يكون من نتائج قسوة الآباء على أبنائهم شعور الأبناء بفقدان الثقة بالنفس والعجز والقصور عند مواجهة المواقف مهما تكن درجة صعوبتها ومرجع ذلك إلى أن الطفل يتعود أن يكون تابعاً لا متبوعاً.

### العقاب الجسدي وآثاره:

عرّف العديد من العلماء العقاب بأنه «المثير المنتج للألم»... ففي عملية التنشئة الاجتماعية يعاقب الوالدان أطفالهما سواء قصدوا ذلك أم لم يقصدوا ويمكن طرح هذه المسؤولية على النحو التالي «إذا كانت الفضيلة تحمل ثوابها في ذاتها فإن عملية إكسابها مفعمة بالعقوبات» ولا يقوم الآباء بضرب وصفع أطفالهم فقط بل يصرخون في وجوههم ويعزلونهم ويهددونهم أحياناً بعدم حبهم لهم وذلك في حالات الغضب الدنيا وبعضهم يقوم بتوجيه ألفاظ قاسية باستمرار بسبب سوء سلوك أطفالهم. وقد أجريت التجارب لمعرفة ما إذا كان العقاب الجسدي يؤدي إلى إزالة سلوك معين أم لا ومعرفة أثر العقاب على الطفل ككائن بشري حساس وعاقل وقد أثارت مسألة العقاب الجسدي نقاشاً وجدلاً بين الباحثين ويستشهد كل من «سيرز» و«ماكوني» و«ليفين» بأقوال إحدى الأمهات التي اعتادت استخدام العقاب

الجسدي كتقنية أساسية لضبط سلوك طفلها «نعم كنت أضربه باستمرار وفي كل وقت أواجهه فيه كان يغدو على نحو أسوأ في نهاية الأسبوع ولا أدري ما إذا كان يواظب على المدرسة أم لا ولكن كان يغدو في نهاية الأسبوع على نحو لا يطاق حيث أقوم بضربه وكان يعود إلى السلوك نفسه في نهاية الأسبوع الثاني».

إن اتجاهات الناس - الاختصاصيون ضمنهم - نحو العقاب الجسدي هي اتجاهات متناقضة ويشرح الدكتور «ألن فروم» الاختصاصي في العلاج النفسي الأسباب التي تؤدي إلى الاعتقاد بأن الضرب للطفل سياسة انهزامية وفيما يلي الأسباب:

- ١- إذا قمت بضرب الطفل فسيخاف منك ويكرهك.
- ٢- سيتعلم الطفل الطاعة العمياء عوضاً عن فهم المعايير الأخلاقية وتقبلها.
- ٣- إن التعبير عن المزاج السيئ أثناء الضرب يعطي الطفل مثلاً سيئاً لمحاكاته.
- ٤- يشكل استخدام الضرب القاسي أدنى التقنيات التربوية مهارة وأصالة.
- ٥- قد يثبت الضرب السلوك السيئ للطفل أكثر مما يعمل على إزالة هذا السلوك.
- ٦- إن هدف الانضباط تعديل الرغبات وليس مجرد تعديل السلوك.

ويرى بعض علماء النفس أن المزج بين العقاب الجسدي والنفسي يؤدي إلى أفضل النتائج، ويقولون بأن الأطفال الذين يتلقون هذا النوع من العقاب يصبحون أكثر واقعية وانضباطاً ويرى «سيول» أن الأم التي تستطيع الامتناع عن الضرب يمكن أن تعبر عن غيظها بأشكال أخرى كاللتمسك المستمر أو دفع الطفل للشعور بالألم العميق إلا أن «سيول» لا يدافع عن الضرب بل يرى أنه أقل خطراً من التقبل المستمر للطفل لأن الضرب ينقي الجو بالنسبة للوالد والطفل على حد سواء، ويقول بهذا الصدد: إن العقاب السليم هو العقاب

الفعل الذي يبدو صحيحاً بالنسبة للوالدين ويتوقف ذلك على طبيعة الوالدين وطبيعة الطفل ونوع السلوك المرتكب.

إن حرمان الطفل من الامتيازات التي يتمتع بها هو أفضل أنواع العقاب ملائمة للأطفال في السن المدرسي، وإذا كان هذا العقاب عادلاً فسينمي شعور الطفل بالعدالة.

### أثر المعاملة السيئة في تكوين الشخصية:

تؤثر معاملة الوالدين السيئة سلباً على شخصية أبنائهم بكل جوانبها النفسية والانفعالية والاجتماعية وتجعلهم غير قادرين على التكيف مع المجتمع، فالأب المتسلط المتجهم العصبي المزاج يثير مخاوف أطفاله ليؤمن تلبية طلباته وهذا الجو المشبع بالتوتر والانفعال سيؤثر سلباً على الشخصية في الطفولة والمراهقة والرشد ويؤدي إلى عدم التوازن النفسي والانفعالي والاجتماعي فيقبل الأبناء على الحياة وقد امتلأت نفوسهم بالحقد والعصيان.

### اقتراحات وتوصيات حول المشكلة المطروحة:

- ١- أن تكون الدرجة التعليمية للزوج قريبة مما هي عند الزوجة كي لا يحدث التفاوت في التفكير والتضارب في أساليب تربية الأطفال.
- ٢- إقامة المحاضرات حول طرق وأساليب التربية الصحيحة ودعوة الأمهات والآباء لحضورها.
- ٣- نشر الكتب التي تتحدث عن كيفية رعاية الطفل وتربيته.
- ٤- استخدام وسائل الإعلام وخاصة التلفاز وعرض البرامج التربوية التي تهدف إلى توجيه الوالدين إلى أساليب التربية الصحيحة.
- ٥- إرسال الأطفال إلى دور الحضانة ورياض الأطفال والاهتمام الأكثر في هذه الدور نظراً لأهميتها في بناء شخصية الطفل بكافة جوانبها، لما للسنوات الخمس الأولى من أهمية وتأثير في حياة الطفل المستقبلية.



٦- عدم معاملة الطفل على أنه رجل مصغر والعمل على تفهم حاجاته وقدراته ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.

٧- عدم اللجوء إلى السخرية من الطفل ونقده أمام الغير إذ يؤلّد هذا السلوك اهتزازاً في شخصية الطفل وفقده ثقته بنفسه ويظهر عليه الخجل والتردد.

وأخيراً نقول إن بناء شخصية سوية للطفل يعتمد على جو الأسرة الذي يجب أن يكون مشبعاً بالحب والرعاية والعطف والعدالة، هذا من جهة، أما من جهة أخرى يعتمد هذا البناء لشخصية الطفل على تفهم الوالدين للطفل والصبر عليه ومعاملته بروية مدركين حاجاته وقدراته، وبذلك ينتقل الأطفال من مرحلة إلى أخرى بنجاح ويصبحون أعضاء فاعلين في المجتمع.



## سلوك الطفل

### من منظور علم النفس

يُثير اهتمام الأهل مسائل عدة في تربية أطفالهم، ومما تشمله تلك المسائل، مسألة إكساب الطفل الدقة والأناقة والترتيب، عبر أشكال مختلفة من النظام والسلوك الشخصي الذي يفترض أن يقوم الأهل بتحقيقها، وصولاً إلى ذلك السلوك المقبول اجتماعياً والمرغوب به لدى الأهل، ومما يحقق للطفل نظاماً من السلوك يساعده في مواجهة مختلف أوجه النشاط التي يمارسها في حياته المقبلة. وبالعودة إلى المعاجم وغيرها من المصادر اللغوية نجد أن كلمتي الفوضوية وعدم الترتيب مترادفتان حيث تعنيان، عدم الاهتمام، التشويش، عدم الأناقة، الافتقار إلى الدقة والترتيب. ويمكن لنا في هذا المجال أن نطرح الأسئلة الثلاثة الآتية:

- ١- إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الطفل فوضوياً وغير مرتب؟
- ٢- إلى أي مدى يمكن أن نحكم على الطفل بأنه لا مبال فيما يتعلق بمظهره وحاجياته؟
- ٣- وأخيراً إلى أي مدى يمكن أن يحافظ الطفل على هندامه مرتباً وأنيقاً بحيث لا يتسخ ويفقد هندامه بسرعة؟

إن الأطفال الصغار فوضويون بشكل عام، إلا أن ما نتحدث عنه كمشكلة حياتية يعاني منها الأهل هو الفوضوية إلى درجة كبيرة جداً، أكثر من المعتاد. والأهل الذين يتوقعون من الطفل أكثر من طاقته يشعرون غالباً بالغضب وخيبة الأمل. أما التوقعات الواقعية والوعي بطبيعة نمو الطفل وسلوك من هم

في مثل سنه فتساعد الأهل كثيراً في حل المشكلة، وعلى أية حال كثيراً ما يكون واضحاً من الوهلة الأولى متى يكون الأطفال غير مرتبين بشكل عادي وغير مبالين فيما يتعلق بملابسهم وألعابهم وأدواتهم المدرسية أو بمظهرهم العام، وكذلك تكون عادات القذارة واضحة عندما لا يغتسل الطفل، ويستمتع بكونه قذراً، أو عندما يتسخ بشدة، ومن المؤشرات الأخرى على وجود مشكلة الفوضوية وعدم الترتيب هو عندما تتفاقم الحالة وتصبح ضارة أو غير صحية، ولا يستطيع الطفل أن يجد الأشياء أو الموجودات الخاصة به.

وتقع بين المراهقين وأهلهم خلافات كثيرة حول موضوع الترتيب، المراهقون يقولون لأهلهم إن معظم من هم في عمرهم فوضويون مثلهم، وإن على الأهل تركهم وشأنهم.

وكثيراً ما يسمع الآباء من أطفالهم أنهم رجعيون ومتسلطون، والبعض من الآباء يسمع عبارات مثل «سوف ألبس بالطريقة التي تعجبني وأبقي غرفتي على الشكل الذي أحبه، وأنا لا أهتم بما يقتنع به الآخرون». لقد أصبحت الفوضى لدى كثير من المراهقين صفة تلازم سلوكهم، وتؤثر على تكيفهم مع الأهل خصوصاً، بحيث تصبح مشكلة يدور الحوار والصراع بشأنها، ويأخذ هذا الحوار أو الصراع أشكالاً قد تصل أحياناً إلى حدود غير مقبولة وتعبّر عن عدم تكيف سوي، مما يخلق توتراً وعدم استقرار فيما بين الأطفال والأهل. وتعتبر الفوضى لدى كثير من المراهقين علامة تدل على الاستقلالية وشارة تقدير أو وسيلة للتوحد مع جماعة الرفاق.

وأسباب هذه المشكلة عديدة ومتباينة تبعاً للفروق الفردية والبيئات التربوية المتعددة والمختلفة ومن هذه الأسباب:

١ - التعبير عن الغضب أو الرغبة في الاستقلال: إن تعبير «أحب أن أظهر كما أريد» كثيراً ما يُسمع منذ الطفولة الباكرة وخلال سنوات المراهقة فالمظهر الشخصي هو أحد المجالات الأساسية للتعبير عن الذات. وبما أن معظم الآباء يركزون على ضرورة الترتيب والنظافة، فإن كثيراً من الأبناء يطورون سلوك الفوضوية والقذارة كوسيلة لفرض استقلاليتهم وتأكيدهم.

وكلما أصر الوالدان على الترتيب والنظافة، كلما قرر كثير من الأبناء القيام بالأشياء على طريقتهم الفوضوية الخاصة بهم. وحينما يصمم الآباء على مواقفهم تجاه شؤون حياة أطفالهم، يبحث هؤلاء الأطفال عادة عن وسائل لإظهار تفردهم وتميزهم عن غيرهم. وهكذا يمكن القول إن تطوير أسلوب عدم التنظيم والإهمال في تناول كثير من المهام هو مؤشر على الرغبة في الاستقلال.

٢- رفض تحمل المسؤولية: إن قيمة الترتيب والنظافة يجب أن يتم اكتسابها من خلال التعلم. وهناك أسباب متعددة تجعل الأطفال يرفضون القيام بدورهم في الاهتمام بأنفسهم وأكثر الأمور وضوحاً هو رفض الطفل - حديث المشي - التخلي عن اعتماديته، فهو حيناً يستمتع بالقدارة وعدم الترتيب، وهناك انتقال من الاستمتاع الطفلي بالقدارة إلى الارتياح الأكثر وضوحاً للنظافة والترتيب مع النمو والنضج.

٣- الافتقار إلى مهارات الترتيب: هناك أسباب عديدة لافتقار بعض الأطفال للمهارات اللازمة للطفل كي يكون نظيفاً ومرتباً، فبعضهم لم يسبق له أبداً أن تعلم كيف يكون مرتباً، وربما يكون قد نشأ في بيت فوضوي وغير مرتب أو حتى في إطار ثقافة لا تعطي للنظافة قيمة. كما قد يكون الآباء ليسوا نماذج لهذا النوع من السلوك المنظم، لكن الوضع الأكثر شيوعاً هو الحالة التي يكون فيها الأبوان من النوع المهتم والمرتب نسبياً، ولكن أطفالهم فوضويون. وهؤلاء الأطفال غير المنظمين ربما كانوا قد تلقوا حماية زائدة ولم يتعلموا أبداً مهارات التنظيم باستقلالية، وكان آباؤهم قد اهتموا بكل شيء ولم يتوقعوا منهم التصرف باستقلالية أبداً. وأكثر المواقف صعوبة هو حيث يقول الآباء لأطفالهم بأنهم يتوقعون منهم الاعتناء بغرفهم وفي الوقت نفسه ينقلون لهم شعوراً بأنهم ما زالوا غير قادرين على القيام بذلك، وهذه التعليمات المزدوجة تعتبر هدامة وتؤدي

إلى الكثير من التوتر وعدم الانسجام والنتيجة هي طفل لم يطور المهارات اللازمة لإعداد وتنظيم غرفته أو حاجياته الشخصية أو ملابسه، وهناك أطفال لا يملكون الدافعية الكافية لتعلم مهارات التنظيم والأغلب أن تعلم واستخدام سلوك النظافة والترتيب لديهم لم يلق تعزيزاً إيجابياً من الأبوين. ويمكن اتخاذ مجموعة من التدابير الوقائية لمشكلة الفوضوية وعدم الترتيب أهمها:

١ - **التدريب المبكر والمستمر:** يمكن تعليم الطفل في سن مبكرة أن يشارك في إعادة ألعابه إلى الصندوق المخصص لها. إن الترتيب البسيط لنوع معين من الألعاب في مكان واحد سوف يؤدي إلى تكون عادة وضع الأشياء في مكانها المخصص. ومن الجدير بالذكر أن قوة تأثير الوالدين كونهما نموذجاً للنظافة والترتيب لا تقل أهمية عن تعليم الطفل النظافة والترتيب وفي تدريب الأطفال على النظافة والترتيب يجب القيام بالمهام بشكل جماعي فكلما زاد التفاعل بين الطفل وباقي أفراد الأسرة كلما كان ذلك أفضل. فذهاب أفراد الأسرة معاً للسوق وشراء المنظفات اللازمة للبيت وغيرها يمكن أن يكون خبرة جيدة وطبيعية بالنسبة للأطفال. كما أن المكافأة التي يقدمها الأبوان والإشادة بسلوك الطفل تعتبر ضرورية جداً في جميع المهارات التي تتضمن العناية بالنفس.

٢ - **تعليم الطفل الاهتمام بالآخرين:** كثيراً ما يتمنى الآباء أن تكون لدى أبنائهم رغبة ذاتية في النظافة والترتيب. إلا أن النظافة والترتيب ليستا غريزة فطرية، فالأطفال ينظفون أنفسهم من أجل إرضاء الآخرين ولذلك فإن غرس فكرة الاهتمام بالآخرين في نفس الطفل هي تدبير وقائي يحول دون تطوير قذارة مفرطة. يجب أن يتعلم الطفل أن إسعاد الآخرين ضروري كما أنه يمكن أن يكون مريحاً

للشخص ذاته، فترتيب الغرفة وتنظيف الجسم يسعد الأبوين ويصبح فيما بعد عادة تبعث على الرضا الشخصي. وبالطريقة نفسها يمكن للطفل أن يتعلم التمييز عن طريق إسعاد الأبوين بتنظيف غرفته عند توقع حضور ضيوف إلى المنزل، فقد تكون غرفة الطفل غير مرتبة في أوقات ثم تتظف وترتب إذا كان ذلك مهماً للأبوين أو الطفل.

وعلى الأبوين إظهار الاهتمام برغبات بعضهما البعض بالإضافة إلى الاهتمام الصادق بأطفالهما. وبذلك فقط يمكن أن يتطور لدى الأطفال اهتمام حقيقي بالآخرين منذ سن مبكرة، فالأب الذي يقضي وقتاً طويلاً في إصلاح لعبة طفله أو في التحدث إليه عن ألعابه المفضلة ويبيدي اهتماماً به ويكون من الطبيعي عندئذ أن يهتم الطفل بإرضاء والديه بأن يكون أكثر نظافة وترتيباً، وبذلك يسود جو من التعاون حيث يهتم الأفراد ببعضهم بعضاً ويتعاونون عن طريق إظهار سلوك التفهم والمساعدة.

أما مسألة علاج «مسألة الفوضوية» وعدم الترتيب فيما لو كانت متشكلة لدى الطفل، فيمكن أن تكون عبر مجموعة إجراءات نذكر أهمها:

أ- تعليم ومكافأة سلوك النظافة والترتيب.

ب- إتاحة الفرصة للطفل كي يظهر استقلالته وتحمله المسؤولية إذ من الواجب أن يتوقف الأبوان عن جمع الحاجيات خلف الطفل منذ سن السادسة، حيث إن الاهتمام بالحاجيات يجب أن يصبح مسؤولية الطفل. وبما أن السبب الرئيسي للفوضوية والقذارة هو الرغبة في الاستقلالية ورفض تحمل المسؤولية وجب إيجاد منافذ لتحقيق ذلك. فمثلاً يمكن للطفل أن يتعلم الاستقلالية وتحمل المسؤولية عن طريق تكليفه بمهام مناسبة مع إعطائه أجراً يعتمد على الإتمام الناجح للمهمة، والمهم هو أن تعطي الأطفال والمراهقين مسؤولية واستقلالية حسب طاقتهم.

ج- وهناك أساليب خاصة تستخدم لمشكلات خاصة: إذ إن الطفل غير البارع، البطيء، الفوضوي، الذي لا يستطيع أن يجد أشياءه، بحاجة إلى مساعدة وليس إلى النقد، ومجرد بذل المزيد من الجهد أو المحاولة أكثر لن يجعله أكثر نظافة ومثل هؤلاء الأطفال بحاجة إلى ما هو أكثر من الأساليب التي وضعت بشكل عام لحالات عامة. وعلى أية حال فإن هؤلاء الأطفال بحاجة إلى المزيد من التوضيح المحسوس، ومزيد من التشجيع والثناء، بل هم بحاجة إلى ما هو أكثر من ذلك وهو المزيد من التفهم لجوانب الضعف عندهم. إن لوم هؤلاء الأطفال على عجزهم الحقيقي لا يعتبر عديم الجدوى فقط وإنما يؤدي إلى مزيد من الجدل بينهم وبين الأهل، كما يؤدي إلى تكوين مفهوم سلبي عن الذات لدى الطفل. إن هؤلاء الأطفال يفكرون بأنفسهم على أنهم سيئون وغالباً ما يتصرفون بطريقة تثبت هذه الصورة، وقد يجد بعض الآباء صعوبة في امتداح الطفل الفوضوي بسبب التحسن البسيط الذي يظهره، كما أن الذي يعاني من مشكلات بسيطة في الإدراك لا يستطيع أن يجد ما يبحث عنه، وهذا يحتاج إلى تخطيط وتنظيم خاص جداً بحيث يتعلم أين يضع الأشياء وكيف يجدها.



## الأطفال

### وأنماط الهيبة التربوية للأسرة

الأسرة هي البوتقة التي تصهر الطفل فتتقي سلوكه ورغباته من كل شائبة من شأنها أن تعيق صحته النفسية فيما بعد، وإن الأم والأب مفوضان مُطلقاً الصلاحية من قبل المجتمع لتربية أعضائه وهما مسؤولان أمام المجتمع عن ذلك وعلى هذا ترتكز الهيبة التربوية للأسرة في عيون الأطفال كيف تتكون هذه الهيبة الأسرية وكيف تُنظَّم؟ هذا ما سنحاول البحث فيه مشيرين أثناء ذلك إلى الأنماط والنماذج الخاطئة وما ينبغي أن يكون.

يميل أولئك الآباء والأمهات الذين لا يطيعهم أبناؤهم إلى التفكير بأن الهيبة الأسرية هبة من الطبيعة فإذا لم تكن هذه النعمة موجودة فلا يمكن صنعها ويبقى هؤلاء الآباء والأمهات يبحثون عن النصيحة والموعظة لدى أولئك الذين منَّ الله عليهم بتلك النعمة.

في الحقيقة يخطئ أولئك الآباء والأمهات فالهيبة التربوية للأسرة يمكن تكوينها وتنظيمها بشكل فعال وبدون تعقيد في كل أسرة ولكن الذي يحصل في كثير من الأحيان ويشديد الأسف أن محاولات تنظيم الهيبة التربوية للأسرة تقوم على أسس كاذبة أو واهية أو خادعة، فعلى سبيل المثال يسعى الأهل كي يصبح أبناؤهم مطيعين لهم... ولا يضعون غير هذا الهدف لنشاطهم التربوي مع أولادهم، وهذا الخطأ بعينه، فالهيبة الأسرية على شكل طاعة عمياء لا ينبغي أن تكون الهدف، بل ينبغي أن يكون الهدف هو التربية السليمة من كل الجوانب، وهذا ما ينبغي أن يتوجه إليه سعي جميع الآباء والأمهات، وإلا فإننا كثيراً ما نشاهد الحالة التالية:

يستطيع الأهل تربية أبنائهم على الطاعة التامة والصادقة ولكن الأبناء ينشؤون مطوعين منقادين لا رأي لهم ولا حول في الحياة الاجتماعية القادمة. هناك العديد من النماذج الكاذبة والخادعة للهيئة التربوية الأسرية سنتطرق بهذا البحث لأبرزها وأهمها عسى أن نستطيع تكوين صورة حقيقية للهيئة التربوية الأسرية المثلى.

١ - **هيئة القمع (الإرهاب):** وهي أخطر أنواع الهيئة التربوية وأكثرها ضرراً على مجمل التربية ويتصف بها على الغالب الآباء أكثر من الأمهات إذا كان الأب في تعامله مع أسرته (دائم الصراخ - دائم النرفزة - ويزمجر كالرعد على كل شاردة وواردة - وعلى كل سؤال يجيب بنزاقة وحماسة - وعلى كل تصرف من الأبناء يلوح أو يستخدم العصا أو النطاق - على كل ذنب اقترفه الأبناء ويفرض العقوبة الجسدية والمادية القاسية) فإن ذلك الأب هو صاحب الهيئة القمعية الإرهابية التي تجعل الأسرة (الأم والأبناء) دائماً في أجواء مشحونة بالقلق والخوف. إن ضرر هذه الهيئة القمعية لا ينحصر في مصدر هلع ورعب للأطفال بل كونه أيضاً يُسقط دور الأم التربوي التي تتحول أغلب الأحيان إلى طفل وتتعرض أغلب الأحيان للأذى عندما تدافع عن أولادها و تحميهم أو كما يحدث على الغالب تتحول هذه الأم إلى التغطية والتستر على أخطاء أولادها وتصرفاتهم مما يُسقط هيبتها الشخصية لدى أطفالها من ناحية ويزيد من تردي الحالة التربوية في مثل هذه الأسرة.

إن هذا النمط يغرس في أذهان الأطفال الأشياء السلبية التالية:

الخوف الدائم من المستوى الأعلى وبالتالي يتعود الأطفال على الكذب ويتربون على الجبن وعدم القدرة على مواجهة أخطائهم كما يربي في سلوكهم البلادة وعدم التقدير السليم للمواقف والأحداث ومن أولئك الأطفال يتسرب إلى المجتمع أولئك الفاشلون والهيّابون للمشاكل الاجتماعية المختلفة الذين يبكون طيلة حياتهم تحت تأثير القمع والإرهاب الذي مورس عليهم أثناء طفولتهم.

يمكن أن يُلاحظ هذا النمط في سلوك أولئك الآباء غير المثقفين والذين لا يملكون أية قاعدة تربية نظرية.

٢- **هيئة الفارق (التعالى):** يقتنع كثير من الآباء والأمهات وبشكل جازم بأنه لكي يكون الأطفال أكثر طاعة وسمعاً ينبغي على الأهل أن يكونوا أقل ديمقراطية في الحديث مع أطفالهم وأكثر بعداً عن مشاكلهم وحياتهم اليومية وفي حال الضرورة لتدخلهم يكون ذلك التدخل على شكل أوامر وتعليمات على صيغة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين.

على الغالب يصادف هذا النمط في الطبقة المثقفة «الأنتلجنسيا» والأرستقراطية التي يملك فيها الأب مكتباً خاصاً في المنزل يعتبر بمثابة حرم مقدس لا يجوز للأبناء الاقتراب منه ويطل هو نفسه من هناك كأنه قديس أو ملاك.

يتناول ذلك الأب على الغالب طعامه بشكل منفرد بعيداً عن أطفاله ويستريح أمام التلفزيون أو في الحديقة أو على البحر وفي المنتجع بشكل منفرد بعيداً عن أسرته وأطفاله وتتم علاقته مع الأولاد عن طريق الأم وعلى الغالب عن طريق الخدم والمربين.

يمكن لأمهات من هذا النمط أن يتميزن بنمط حياة خاصة لا دخل للأطفال فيه حيث يكون للأم اهتمامها وأفكارها وعملها وأصدقائها ويبقى الأطفال على الغالب في رعاية الجدة أو المربيات. هذا النمط لا يمكن أن يكون ذا أثر تربوي في حياة الأطفال الذين ينشؤون ويتربون تحت تأثير العوامل التربوية الأخرى «المدرسة - النادي - العمل...»

٣- **هيئة التفاخر (المباهاة):** وهو نوع من أنماط هيئة الفارق «التعالى» والذي يعتبر أكثر ضرراً وخطورة على العملية التربوية الأسرية.

من المعروف أن كل فرد له دوره وواجباته تجاه الأسرة والمجتمع عموماً لكن أفراد هذا النمط يعتبرون أنفسهم الأكثر أهمية في هذا المجتمع ويحاولون إبراز ذلك في كل شاردة وواردة في سلوكهم أمام أطفالهم والآخرين من حولهم.

هؤلاء يتبجحون في المنزل بأعمالهم وأشغالهم ومردوديتها للأسرة والمجتمع وعلى الغالب لا يستطيعون ذلك في عملهم (لأن حجم دورهم هناك معروف للجميع) ولا حديث لهم إلا التباهي بإمكاناتهم ومنجزاتهم ويتعاملون مع الآخرين على أنهم في المستويات الأدنى منهم بكثير.

يحدث أن يأخذ الأطفال في الأسرة بنمط والدهم ويبدوون بالتباهي والمفاخرة بالدهم مع اعتزاز بأنفسهم أمام أصدقائهم ورفاقهم ويتراشق كلامهم عادة بكلمات تفخيم للأب: «أبي عالم - أبي كاتب - أبي مدير - أبي مهم - أبي مسؤول...» أما هذه الحالة «المباهاة والتفاخر» عند الأمهات فتكون في مجال «الثياب - الحلي - العطور - النزاهات - والإجازات على البحر وفي المصايف - أنواع الطعام - مستويات الأصدقاء والمعارف» حيث تغرس الأم في أذهان أطفالها بهذا التباهي نوازع الانسلاخ والتعالي على الآخرين وخاصة الأصدقاء والأقران.

٤- هيبة الوعظ الفوقي والمكابرة: في هذه الحالة يعير الآباء مزيداً من الاهتمام للأبناء ويصغون كثيراً لأطفالهم وهم بذلك يعتقدون أن الأطفال ينبغي أن يسمعوا كل كلمة من الأهل مع الانحناء وأن كلمات الأهل مفاهيم مقدسة.

وغالباً ما تتسم أوامر وتعليمات الأهل بالصوت الرقيق الهادئ والواعظ وبمجرد إعطائها ينبغي أن تتحول إلى قوانين، مثل هؤلاء الآباء يخافون كثيراً من مجرد تفكير أولادهم بأن والدهم أو أمهم لا يملكان الإرادة الصلبة ولذلك يتخذون قراراتهم بدون تبرير فمثلاً يقول الأب «غداً سيهطل المطر لذلك لا يجوز المشوار للأطفال» وحتى لو لم يهطل المطر في الغد فإن القرار قد اتُخذ ويمنع المشوار نهائياً ويصادف أحياناً أن يكون مثل هؤلاء الآباء قد أخذوا مواقف مسبقة من قضية ما. مثلاً فيلم سينما معين وبالتالي يتخذون قرارهم بأن السينما ليست لازمة لأبنائهم وهذا الأمر يمكن أن يُسقط على استخدام الفيديو أو التلفزيون والكتب والمجلات والرفاق والأصدقاء.

مثل هؤلاء الآباء يعاقبون أبناءهم لأسباب مختلفة لكنهم لاحقاً يكتشفون أن تلك العقوبة ليست في محلها ولكنهم لا يجدون حاجة أو مبرراً لتعديل العقوبة (فالعقوبة اتخذت وهذا ما يجب أن يتم ويتحقق من أجل السمعة التربوية للأهل).

يحب مثل أولئك الآباء ملء وقتهم بالانشغال بقضايا أسرهم وسلوك أطفالهم ومراقبة حركاتهم وتصرفاتهم ويتحولون بالتالي إلى صياغة الأوامر والتعليمات الجديدة والمتبدلة في كل ساعة، أما حياة الأطفال واهتماماتهم وحتى نموهم الجسدي والعقلي فلا يحسب له الأهل حساباً حيث يظلون أطفالاً في نظر الأهل يحتاجون دائماً للقهر والزجر والتوجيه.

٥- هبة الإلحاح السلبي: في هذه الحالة يُفعم الآباء حياة الطفولة بالنصائح الحرفية والمواعظ التعليمية المدرسية. فبدلاً من أن يوجه الأب لطفله بعض الكلمات التلميحية أو حتى في صيغة مزحة بسيطة؛ يجلس الأب طفله أمامه ويبدأ معه حديثاً مقرباً إياه بالمزيد من الكلمات الواعظة والتسفيه وأحياناً بتوجيه بعض النصائح.

مثل هؤلاء الآباء يفتتعون بأنه بالتوبيخ والتقريع تتلخص الموهبة التربوية، وفي مثل هذه الأسر تكون السعادة قليلة ولا يمكن أن تلحظ الابتسامة على أفواه أفرادها في الوقت الذي يحاول فيه الآباء بكل قواهم أن يُظهروا طيبة التعامل مع أطفالهم وأن يكونوا في نظرهم كباراً وواعين ولكنهم ينسون أن الأطفال ليسوا بالغين وأن لهم حياتهم الطفولية وأن هذه الحياة يجب أن تحترم وأن يعيشها الأطفال كما ينبغي وليس كما يريد الآباء. فالأبناء عادة يعيشون في أجواء أكثر حساسية وانفعالية من البالغين وأنهم أقل من الكبار قدرة على النقاش والإقناع بصحة سلوكهم وتصرفاتهم وأن طريقة التفكير لديهم يجب أن تمر بمراحل متدرجة وببطء حتى يتم استيعاب الفكرة المطروحة. ولذلك نرى غالباً أن إلحاح الأهل يمر بدون أن يترك أثراً في أذهان ووعي أطفالهم وبالتالي فإن غيرية الأهل الفاتكة لا تعطي للأطفال أية سمعة أو هبة.

٦ - هيبة الحب للأهل: تعتبر الهيبة الخاصة بحب الأهل من أكثر الأنماط.

خداعاً وانتشاراً في التربية الأسرية. فكثير من الأهل يفتتون بأنه لكي يسمع الأبناء الآباء ويطيعونهم فإن على الأهل أن يبرزوا على الدوام الحب الأبوي لأبنائهم «الكلمات اللطيفة الناعمة - النصح الأبوي - الملاحظة» وإذا كان الطفل لا يسمع أو لا يطيع والديه فإن الأهل على الغالب يُسمعونه الكلمات التالية: «أنت لا تحب البابا أو الماما» وعلى الغالب لا يرتاح الأهل وتبدو التعابير على وجوههم بمجرد النظر إلى سلوك أطفالهم. في مثل هذه الأسر يتفاخر الأهل وخاصة أمام أطفال الأصدقاء والجيران بالقول «إن طفلي حباب جداً وهو يحبني ويعطيني كثيراً».

في مثل هذه الأسر تطفو المشاعر الناعمة الخادعة حيث يتم التستر على المشاعر الحقيقية ويمر بالقرب من اهتمام الطفل كثير من الأمور التي ينبغي على الطفل أن يعمل تجاهها بخلاف قناعته ولكن إرضاء وإكراماً وحباً وامتنالاً للأهل.

هنا تنمو الأناية الأسرية «الأب والأم» ولا يتولد في الحقيقة ذلك الحب الذي يريه الأهل في سلوك الأبناء ويكتشف هؤلاء الأبناء إلى أي مدى يمكن الكذب على الأهل ومخادعتهم بالألفاظ الجميلة والتعابير الملساء.

يكسب الأطفال في هذه الأسر منذ سن الطفولة الباكر طريقة كسب وريح الآخرين ولكن الطفل يتعلم أيضاً أن يكون حبه هشاً وكاذباً ومصلياً ونفعياً.

أحياناً يصادف أن ينمو في مثل هذه الأسر أهمية حب الأهل وتسقط بالتالي أي قيم للحب واحترام الآخرين الذين يعاملون كغرباء أو أعداء ويفقد أطفال مثل هذه الأسر الصداقة الحقيقية والروح الرفاقية ولا ينم تعاملهم مع الآخرين عن ذوق ولا أدب اجتماعي.

إن هذا النوع من الهيبة «كون سلوك الأبناء مبني على أساس إرضاء الأهل وإكراماً لهم من أخطر أنواع الهيبة التربوية للأسرة» فهو ينمي نزعات الخداع والكذب وأغلب الأحيان يكون أول ضحاياهم هم الأهل أنفسهم.

٧- هبة الطيبة (البساطة): إنه نوع من السمعة والهيبة التربوية للأسرة التي لا تتبع عن قناعة، ففي هذه الحالة تنظم طاعة الأطفال من خلال حب الأهل لهم. والذي لا يتصف بالأمور المعتادة من «تقبيل وملاطفة وتدليل» وإنما يتصف بأن الأهل ينظرون إلى طفلهم على أنه ملاك مسموح له بكل شيء ولا شيء مأسوف عليه أمام الطفل ومن أجل الطفل. وبالتالي يبدو الأهل في عيون الأطفال طبيين جداً وبالتالي فإنهم رائعون.

في مثل هذه الأسرة يخاف الأهل ويتجنبون أي خلاف أو نقاش عائلي بشأن الأطفال وأنهم يقدسون عالم الطفل وهم جاهزون للتضحية في سبيل أن تكون الأمور على ما يرام وخاصة أمام الأطفال.

وهنا الطامة الكبرى حيث يتحول الأطفال إلى سادة أمرين موجّهين لأهلهم الذين يبدون عدم مقاومة رغبات أطفالهم الأمر الذي يفسح المجال أمام طموحات أولئك الأطفال.

في أحيان قليلة يسمح الأهل لأنفسهم ببعض المعارضة ولكن على الغالب في أوقات متأخرة وعندما يكونون بالفعل قد أصبحوا على الهامش ولا حول لهم ولا قوة.

٨- هبة الصداقة: أحياناً وحتى قبل أن يولد الأطفال نجد بعض الأهل يعلنون ويتعاقدون فيما بينهم بأن يعاملوا أبناءهم على شكل أصدقاء. بشكل عام هذا الأمر جيد ولكن مع ذلك يبقى الأب والأم في نظر الأبناء أولئك العجائز غير المقبولين في الصداقة وكذلك لا ينسى الأب والأم دورهم التربوي الناجح في هذه الصداقة أيضاً. والأمر هنا يصبح على الشكل التالي: لا ينسى الأبناء أنهم مستعدون لكي يكونوا أصدقاء فعليين وليسوا متلقين بشكل دائم لنصائح الكبار بل يعتقد الأبناء «في أجواء الصداقة الحقيقية» أنهم قادرين على إسداء النصائح للكبار وعلى خلاف آراء الأهل الذين لا يتقبلون ذلك.

على الغالب تظهر مثل هذه الحالات في الأسر التي يصبح أبنائها أعلى من أهلهم من الناحية العلمية والثقافية والاجتماعية والسلطوية. ويمكن أن يُلاحظ هنا إنكار للصدقة التي كانت قائمة وعلى العموم فإن هذا الأمر يقوم على الاحترام المتبادل.

٩- هبة المقايضة (الثمن): من أسوأ أنواع الهيبة التربوية للأسرة أن يكون السماع والطاعة رهناً بالهدايا أو الوعود المادية أو المعنوية. لا يخجل بعض الآباء من مداعبة أطفالهم بالقول «إذا سمعت مني كذا وكذا فسوف أشتري لك كذا وكذا... أو غيرها قائلاً: إذا عملت كذا وكذا سأذهب بك إلى الحديقة أو إلى البحر...» قطعاً لا يجوز أن نعدم في الأسرة الثواب والعقاب «الثناء - الحرمان» ولكن ليس بطريقة المساومة على الطاعة والسماع في الأسرة وإنما على حسن العلاقة مع الأهل والصدق والاحترام والنجاح... فمثلاً يمكن الثناء على التفوق الدراسي أو تنفيذ عمل ناجح ولكن لا يجوز بأي شكل إعلان الجائزة أو الهدية سلفاً ولكن بعد تحقيق النجاح أو التفوق وإلا تعود الأطفال على السلوك المشروط بالثواب والعقاب المناسب.



## النمو الإبداعي وطرق تربيته لدى الطفل

يحتل الإبداع مكانه مرموقة في ميدان علم النفس تكاد تتفوق على موضوعات في غاية الأهمية كالتعليم الذاتي والتعليم المبرمج والاضطرابات النفسية وما إلى ذلك... لقد اهتم العلماء منذ زمن طويل بظاهرة الإبداع باعتبارها تفوقاً وامتيازاً في مجال من المجالات، ولكن الاهتمام الآن يركز على الإبداع في سبيل تفجير الطاقات الكامنة لدى الإنسان، وتنمية روح الاختراع والابتكار لدى الأفراد الموهوبين في سبيل منفعة المجتمع والبشرية عامة وقد حاول «غليفورد»، في بحوثه الباكرة عن الإبداع التي بدأها منذ منتصف القرن العشرين، أن يعرّف الإبداع تعريفاً بسيطاً فقال:

«إن الإبداع، بمعناه الضيق، يشير إلى القدرات التي تكون مميزة للأشخاص المبدعين. إن القدرات الإبداعية تحدد ما إذا كان الفرد يملك القدرة على إظهار السلوك الإبداعي إلى درجة ملحوظة. ويتوقف إظهار الفرد المالك للقدرات الإبداعية على نتائج إبداعية أو عدم إظهاره مثل هذه النتائج بالفعل، يتوقف على صفاته الإثارية والطبيعية... إن مشكلة عالم النفس هي الشخصية الإبداعية».

إن شخصية الفرد هي النمط الفرد لملامحه. ويتجلى الإبداع من خلال السلوك. ويشمل السلوك الإبداعي - فيما يشمل - الاختراع والتصميم والاستنباط والتأليف والتخطيط. والأشخاص الذين يظهرون مثل هذه الأنواع من السلوك وإلى درجة واضحة هم الذين يوصفون بالمبدعين.

## تعريف الإبداع:

هو قدرة الشخص على خلق حلول لمشكلات مطروحة أو اختراع جديد، أو اكتشاف علاقة ما تربط بين شيئين أو أشياء مجردة أو محسوسة، كذلك فهو القدرة على تشكيل أو نظم عمل فني أو أدبي يثير الإعجاب.

## دوافع الإبداع:

هي نزعة الفرد لتحقيق ذاته وإظهار إمكاناته للجميع وتجسيدها بوضوح، والرغبة في التوسع والتمدد والتطور والنضوج والتعبير عن الكيان أو الذات والحيلولة دون أن يكون كل ذلك مدفوناً تحت رواسب وطبقات من المشاكل والعقد النفسية التي تمنع ظهوره، وتسليط الضوء عليه. إن هذه النزعة والرغبة هما بالضبط الدافع الأولي للإبداع، ويساعد على ذلك أن يكون الفرد ذا تفكير جدي ونقي ونظرة تأملية ثابتة ومعدل ذكاء عال، ذلك أن كل مبدع ذكي وليس بالضرورة أن يكون الذكي مبدعاً، ويضاف إلى كل ذلك أن يكون الفرد متحرراً في سلوكه ومواقفه، وصفة التحرر هذه مهمة جداً لعملية الإبداع، فقد أثبتت الدراسات أن المبدع لا يهتم كثيراً بالانطباع الذي يتركه عند الآخرين أو بردود أفعالهم على تصرفاته.

## مراحل تشكل الإبداع:

١- مرحلة الإعداد والتحضير: هي تركيز الذهن والجهد باتجاه موضوع محدد والتعرف على الحقائق والمصطلحات والمعلومات المتعلقة به، ومن ثم تنظيم التفكير وتوجيه الانتباه إلى عناصر الموضوع وتسلسلها.

٢- مرحلة الحضانة: لا يتوقف الفكر عن العمل في هذه المرحلة، ولكن التفكير هنا يصبح لا شعورياً حيث يقوم المبدع بالاسترخاء النفسي أو يشتغل بمشكلة أخرى بعيدة عن الموضوع الأول، مما يؤدي إلى أن تتضج المعلومات في المرحلة بشكل هادئ.

٣- مرحلة الإشراق والإلهام: وهنا تبدأ الأفكار بالظهور تلقائياً وبشكل سريع ومتلاحق، وتشكل بمجموعها جملة ناجحة من عمليات التداعي التي تنتج في النهاية بلحظة الإشراق والتي تجعل المبدع ينسى لحظات تعبهِ وتفكيرهِ السابقة ويستمتع بإنجازه.

٤- مرحلة التحقق: وهي مرحلة تجسيد وإظهار الإبداع الجديد عن طريق العمل الإرادي وباستخدام القواعد والأحكام الرياضية والمنطقية للتأكد من صحة الإنجاز المتحقق.

### طرق تربية الإبداع وتنميته:

أشرنا قبل قليل إلى أن الذكاء لا يكفي للوصول إلى الإبداع، ولا بدّ من عوامل أخرى مساعدة لتحقيق هذا الهدف، ويمكن إجمال طرق مساعدة الفرد للوصول إلى مرحلة الإبداع في حال كانت الاستعدادات متوفرة بما يلي:

١- توفير المكان المناسب الذي يستطيع تحمل واستيعاب كثرة أسئلة المبدعين وغرابة سلوكهم وتفوقهم على أقرانهم.

٢- احترام هذه الأسئلة والتعامل معها بشكل جدي وتشجيع المبدعين والأخذ بيدهم حتى تتحرر قدراتهم وتتطلق إمكانياتهم.

٣- مساعدة الأهل على استيعاب طفلهم المبدع وجعله محبوباً من الناس بحيث لا يبدو غريباً أو شاذاً بسبب تفوقه، وبالتالي يصبح تكيفه سهلاً.

٤- يجب إعطاء المبدع الاستقلال والحرية، لأنه بحاجة لأن يتوصل إلى إبداعه بجهوده الخاصة، والاستقلال والحرية خاصتان ضروريتان للشخصية المبدعة.

٥- احترام الأهل للطفل المبدع وإشعاره بأنهم يثقون به ثقة تامة وبأنه قادر على القيام بالأعمال المطلوبة بشكل صحيح، وأن يحاول الأهل أن يكونوا مثلاً وقدوة لأبنائهم.

## كيف نهى الفرد ليكون مبدعاً؟

«الإنسان ابن بيئته» ولا يشذ عن هذه القاعدة المبدعون، ولذلك فإن الشروط المحيطة هي العامل الحاسم الذي يمكن أن يقدم للمجتمع شخصاً مبدعاً، وتشمل الشروط المحيطة عدة جوانب أهمها:

١ - البيت والأهل: يرى كثير من علماء النفس أن غالبية المبدعين كانوا ممن رأوا في ذويهم المثل والقدوة، كذلك فإن الأهل يجب أن يلاحظوا إمكانات أطفالهم الإبداعية، والطفل الذي يحاول العبث بجهاز ما في المنزل ربما يدل ذلك على شخصية مبدعة، في الوقت الذي يجعل الأهل يصدونه ويقمعونه خوفاً من تخريب هذا الجهاز، وهنا يجب معالجة الموقف بحيث لا يتم قمع الطفل ولا تقع أضرار نخشاها، وأيضاً توفير الهدوء والمعاملة الجيدة والغرفة المناسبة حسب الإمكانيات المتوفرة.

٢ - المدرسة: على إدارة المدرسة والمدرسين ملاحظة الأطفال الموهوبين والأخذ بيدهم وضرورة مراعاة الفروق الفردية بينهم وبين زملائهم، ذلك أن التفوق قد يشكل سبباً للاضطرابات النفسية وعامل إعاقة لموهبة المبدع، حيث يشعر بأنه مختلف عن بيئته و غريب عن أجوائه، كما أنه قد يلقي معاملة سيئة من رفاقه، ويفترض بالمدرس أن يعالج مثل ذلك ويوفر المناخ والمعاملة المناسبة للطفل الذي يرى شخصاً مبدعاً في المستقبل.

٣ - المجتمع: يجب على الدولة مراعاة ومساعدة المبدعين من حيث توفير الإمكانيات المادية المطلوبة لرعايتهم وتحقيق مخترعاتهم وابتكاراتهم ومنحهم الفرص لإثبات قدراتهم والمحافظة عليهم من الظاهرة المسماة «هجرة العقول».

## النمو الإبداعي للطفل:

يقول العالم الأمريكي (غروان) إنه بالرغم من إمكان النظر إلى النمو الإبداعي على أنه مشابه لأي نوع آخر من أنواع النمو، أي أنه

مستمر وإنه ينمو مع نمو الطفل، فإن هذه النظرة تشبه المراحل التي قال بها (فرويد) و(بياجيه) عن النمو النفسي والعقلي. ويحدد «غروان» هذه المراحل بما يلي:

١- فترة الكمون: وهي المراحل «١-٤-٧» وفيها يتعرف الطفل على الأشياء من حوله.

٢- فترة الهوية: المراحل «٢-٥-٨» وفيها يقوم الطفل والحدث والراشد بالتساؤل عن هويته.

٣- فترة الإبداع: «٣-٦-٩» وفي المرحلتين ٣-٦ اللتين تعالجان مسألة الحب ينتقل الإنسان من حب الذات إلى حب الوالد من الجنس الآخر إلى حب الناس من الجنسين إلى حب فرد من الجنس الآخر. أما المرحلة «٩» فهي ممكنة الحدوث عند معظم الناس وفيها يحب الإنسان كل الناس ويرى «غروان» أن الحب ضروري من أجل الابتكار والخلق جسدياً وعقلياً... وفي المرحلة «٣» ينمو الإبداع حين يمتلك الإنسان ضبط محيطه من خلال العلاقات الحبية مع الوالد من الجنس الآخر. وفي المرحلة «٦» فإن الإبداع عند المراهقين يتزايد بصورة سوية من خلال إلهام الحب: حب المراهقين لسواهم، وحب الآخرين لهم ولا سيّما حب شخص من الجنس الآخر.

أما (تور رانس) فقد وجد هو ومعاونوه أن عدم الاستمرار هو ما يميز قدرات التفكير الإبداعي وأن ثمة فترات واضحة من التذني في قدرات التفكير الإبداعي تحدث خاصة عند الأطفال في الأعمار: «٣-٩-١٣-١٧» وأن أسوأها يحدث في عمر «٩ سنوات» أوفي الصف الرابع من صفوف المدرسة الأمريكية، ذلك العمر الذي تحدث فيه أسوأ الاضطرابات في الشخصية ومشكلات السلوك ومصاعب التعلم.

في نهاية هذا البحث يمكننا التساؤل عما إذا كان يستطيع كل إنسان أن يكون مبدعاً، إن الواقع الاجتماعي يقر بأن الناس ينظرون إلى المبدع على أنه مجنون حتى يتمكن من إثبات إبداعه في حال قدرته على التغلب على مثل هذه المصاعب، ومع ذلك فكل إنسان يرغب في أن يكون مبدعاً هو أو ابنه أو أخوه ويعمل جاهداً في سبيل ذلك، وتقول مبادئ التعلم الأساسية أن الناس لو عززوا حين يقومون باستجابات إبداعية فسوف يظهرون المزيد من السلوك الإبداعي فيما بعد استناداً إلى مبدأ التعميم ومن الثابت والمعروف أن الفرد المبدع كثيراً ما يصاب بالإحباط نتيجة لخوفه من أن ينظر الناس إلى فكرته الجديدة على أنها سخيفة ولا تستحق الاهتمام، وهنا فإن المبدع إذا فقد إصراره على أفكاره الجديدة فإنه لن يفكر بطريقة إبداعية أبداً.

إن التربية قادرة على لعب دور كبير وفعل الكثير في هذا المضمار مع أن استخدام التربية في سبيل ذلك، وخاصة في البلدان النامية، ما زال دون الآمال المعقودة.

## سيكولوجية الطفولة

### وأهمية التنشئة الاجتماعية في منظور علم النفس للقااية من نوبات الغضب وعلاجها عند الأطفال

نوبة الغضب هي انفجار عنيف للغضب، ويتجلى الغضب الشديد في فقدان السيطرة التام الذي يلاحظ في الصراخ، والشمم وتكسير الأشياء والتدحرج على الأرض. والأطفال الأصغر قد ينفجرون أو يتبولون في ملابسهم أو يحبسون أنفاسهم وفي حالات نادرة قد يهاجم الطفل الراشد جسدياً بالضرب أو الركل. وتعتبر نوبات الغضب بين صغار الأطفال أمراً طبيعياً ولكنها نادراً ما تكون علامة على وجود اضطراب انفعالي خطير. وتنتشر نوبات الغضب في عمر «٢-٤» سنوات عندما يُظهر الأطفال لأول مرة نزعة سلبية أو استقلالية، ومع عمر «٥-١٢» سنة يصبح بإمكانهم التعبير عن أفكارهم لفظياً، وتميل نوبات الغضب إلى التناقص. وتحدث بشكل متقطع في بداية سن المراهقة. وهناك قلة من الأفراد لا يتركون هذا السلوك مع تقدمهم بالعمر وتستمر نوبات الغضب عندهم وتظهر في سلوك الصراخ، والضرب، وقذف الأشياء وذلك في مرحلة الرشد.

وقد تكون تنشئة الطفل أقل عسراً لو أنها كانت مهمة لا تتعدى تهذيب الخصائص التي تجدي على الفرد حين يحاول أن يكيف حياته، وأن يستأصل آفة الميول المرذولة التي تقف عثرة في سبيل نموه.

غير أن الشخصية المتكاملة لا تقوم بأكملها على ما يمكن أن يسمى بالميول الاجتماعية مثل الحب والتعاطف والأمانة والإيثار، إذ إن الفرد يستشعر من الأمور ما هو أكثر سداجة من تلك كانفعالات الغضب والكرهية والغيرة.

فالشخصية المتزنة التي تفيض كفاية وسعادة إن هي إلا مزيج متناسق؛ من هذه الانفعالات ومن تلك الخصائص الخلقية، ويصدر عنه ضبط النفس وعادات التوافق. فإذا كان المرء من هذا الطراز كان من المألوف أن يقدر في تصرفاته ما يمس منها غيره سواء أكان ذلك في المنزل أم في المجتمع أم في العمل، حتى يصبح موقفه ووجوده بين أصدقائه وجيرانه وزملائه في عمله أصلاً لازماً من الأصول التي يقوم عليها المجتمع. كما تشيع في علاقاته الهناءة ويصدر عنها الرضا والخير.

ومن ثم لم نكن بصدد مشكلة نرجو من حلها استئصال ميل غريزي كالغضب، بل أن نصطنع التربية والتدريب وأن نساعد الطفل بذلك على ضبط ذلك الميل حتى يتمكن الصغير من السيطرة عليه، بدلاً من أن يسيطر الميل على الصغير. وإذا أردنا أن تكون لهذه السيطرة قيمتها وجدواها وجب أن تكون صادرة من نفس الطفل لا مفروضة عليه من الخارج. وما الغضب الذي يكبت يوماً بعد يوم خوفاً من العقاب إلاّ انفعال حبيس يتراكم ويشتد حتى يصل إلى حد الانفجار، وإذا به كالألة الفتاكة تتفجر دون توقع أو انتظار.

ولا ينبغي أن يفوت الآباء أن الإغراق في الاهتمام بتنشئة الطفل فيه من الخطر الداهم قدر ما في إهمال ذلك، وأن هناك من الميول التي تتنافى وأصول الحياة الاجتماعية ما يظهر من الطفل أثناء نموه مع أنها في الواقع دليل على سويته وسلامة ميوله، فما أشد تفاهة الصبي الذي لا يغضب لشيء، وما أكثر غياب الطفل وبلادته إذا لم تظهر إرادته بعصيانه الأوامر أحياناً، بل ما أعجب طفلاً لم يدفعه حبه للاستطلاع في بعض الأحيان إلى الإلتلاف والتحطيم. وما أتفه عقلية الفتى الذي لا يُعْمَلُ خياله ويقيم العوالي والقصور، بل أحياناً لنجد أن الطفل الذي تخلو نفسه من نوازع الخطيئة والشر إن هو إلاّ امرؤ تلبّد، لا يستجيب لما يحيط به، وقد خلت نفسه مما يقوم بنفوس الناس ويدفعها إلى العمل والنشاط.



ومع هذا فإن الغضب قد يصير قوة تطغى وتعسف بحياة الفرد، لأنه انفعال شديد وهو العلة لكثير من أنواع التشرذم التي قد يرتكبها الأطفال، وهو الدافع إلى ارتكاب نسبة غير صغيرة من الجرائم الخطيرة في حياتهم بعد ذلك، وهو أحد خصائص الشخصية التي ينالها الصقل والتهديب أبداً من أولئك الذين يحنون على الطفل ويعنون بأمره. ونحن في هذا البحث نعرض لظروف البيئة ومواقف الآباء التي تؤدي إلى إثارة نوبات الغضب عند أطفالهم حتى يصل الأمر بهم إلى الإدمان والشذوذ، مع طرق الوقاية وسبل العلاج. كثيراً ما يثور الغضب إذا عطل أي ميل من الميول الغريزية أو سدت أمامه السبل. فما أكثر ما نرى طفلاً صغيراً يثور غاضباً على الكتل الخشبية التي لا تريد البقاء واحدة فوق أخرى، أو على قطاره الصغير إذا رفض المسير والحركة، وإذا بالصغير يشرع في كسرها وتحطيمها لأنه عجز عن تركيبها أو دفعها إلى الحركة وفقاً لرغبته، والكبير حذو الصغير يبدو من كليهما الغضب إذا وقفت أمام رغباته عقبة أو جرحت كبريائه واعتزازه بنفسه. بل إن الخوف إذا لم يجد له متنفساً في الهرب قد يؤدي إلى إثارة الغضب، ومثل ذلك في الحيوان إذا سُدَّت أمامه السبل. فالغضب إذن ينتج عن عدة أسباب في البيئة التي يعيش فيها الفرد وقد يظهر على أشكال كثيرة متباينة.

وقد يكون غضب الطفل في بعض الأحيان رد فعل طبيعي على المواقف الواضحة وضوحاً لا خفاء فيها كثيراً، كحالة الغضب التي تأتي ويكون جل عوج الطفل فيها استجابة على إحناق أخته الصغيرة إياه...، وفيما يتصل بسلوك الأطفال لا ينبغي أن نكتفي من أن فعلاً معيناً كان مظهراً من مظاهر الغضب، بل يجب إلى ذلك أن نحدد السبب الذي أثار الغضب إذا استطعنا ذلك. فلو أنه قد عرضت علينا مشكلة طفل قد دأب منذ أسبوعين على تحطيم زجاج النوافذ، ووجدنا أنه لم يكن يحطم الزجاج إلا عند غضبه وهياجه، كان علينا بعد ذلك أن نكشف الظروف والأحوال التي تحيط به

فتؤدي إلى إثارة انفعال الغضب. فقد نجد في هذه الحالة بالذات أن الغضب كان نتيجة من نتائج الغيرة. على أنه قد يستثار كذلك إذا شعر الصغير بعدة أمور أخرى مثل:

السخط على عقاب يعتقد الطفل أنه لا يستحقه، أو مثل الخيبة في دروسه أو ألعابه. ولهذه النقطة أهمية أساسية في دراسة مشكلات الأطفال التي يشيع فيها الغضب، لأن لب الأمر ليس الغضب في ذاته إذ إنه ليس سوى علامة تنذرنا بالخطر وتدفعنا إلى البحث عن الأسباب العميقة التي تبعث إليه.

ويعتمد ضبط الغضب على تكوين بعض أشكال الكف والمنع، فإذا أردنا أن ينشأ الطفل إنساناً نافعاً يحكم قياد نفسه كان من اللازم أن نغرس فيه منذ مطلع أيامه تلك القوى التي تكفه وتمسك زمامه. وأهم ما ينبغي أن يتعلمه الطفل هو أن الميل الطبيعي إلى الانتقام والأخذ بالتأثر لا يجديه نفعاً. ومن مظاهر الغضب الشائعة في الأطفال ما يسمى بنوبات الطبع، وهو انفجار لا يمكن ضبطه يدفع إلى الرفس والصياح، بل هو مظاهر تمثيلية بدنية تدل على حنق الطفل. وعلى خلاف هذا نجد بعض الأطفال إذا غضبوا لازمتهم الكآبة والعبوس.

والموقف الثاني هو أكثر الموقفين إيذاء للطفل، لأنه كثيراً ما ينتهي به إلى الهم وإلى ضروب من الهواجس المريضة التي يشيع فيها الضغن، حتى لقد تدفع تلك الميول بالطفل شيئاً فشيئاً إلى الانطواء حول ذاته، وتؤدي إلى ضياع طاقته في أفكار مخبوءة عما يقع به من مظالم وهمية، وما يحل به من اضطهادات هي نسيج خياله.

وهكذا يصير الطفل مرير النفس محنقاً من الحياة. ومع هذا فإن نوبات الطبع تنتهي في العادة إلى مظهر من مظاهر السلوك الممقوتة تبقى حيناً ما ثم يصفو الجو ويعتدل الطفل حتى تحين ظروف أخرى تدعو إلى إثارة الغضب.

ويقول الاختصاصي النفسي ألبرت تريشمان (AIBERTTRIESHMAN) إن نوبة الغضب ليست حادثة هدامة فردية، وإنما هي سلسلة أحداث، متطورة

خلال مراحل مختلفة تبدأ بالمرحلة الأولى المألوفة لكل أب وتعرف بمرحلة التذمر والدمدمة: (RUMBIING GRUMBLING) حيث يبدأ الطفل بالدمدمة والتذمر، ويظهر عليه النكد ويدور في البيت مقطباً، ولا شيء يرضيه، بغض النظر عن النشاط الذي تقترحه.

فالطفل يتوتر وينزعج وتتفجر نوبة الغضب لديه لدى تعرضه لأي استنزاز أو نقد من قبل الأبوين، وعند ذلك يصرخ الطفل، ويحطم الأشياء وإذا قاوم الطفل جهود أبويه للسيطرة على انفعاله، فقد يزيد من معارضته لأقوال والديه أو أفعالهم.

فإذا قلت للطفل اهدأ فإنه يصرخ، لأن هذه المرحلة هي مرحلة (لا... لا) ومن الأفضل أن تقول للطفل في هذه الحالة «ستصبح مسؤولاً عن نفسك - رجلاً مثلاً - عندما يصبح بإمكانك وقف كل هذا الصراخ» عندها تبدأ نوبة الغضب بالهدوء والزوال تدريجياً ويحل الاكتئاب محل العدوان أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي يقول فيها الطفل «اتركني وحدي» حيث يصبح الطفل فيها حزيناً وهادئاً، ومع أنه لا يريد التفاعل مع والديه إلا أنه قد يقبل كأساً من الشاي أو الماء. وفي الأخيرة مرحلة بقايا نوبة الغضب أو ما بعد نوبة الغضب يكون فيها الطفل متعباً محمر الوجه، ومستعداً لمتابعة نشاطه العادي. وقد يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث. هذا ومن الجدير ذكره أن الطفل يلغي نوبة الغضب إذا شعر بأن والديه يعتبرانها حالة هيجان حول قضية تافهة، وهكذا يبدأ الطفل بالقيام بمحاكمة عقلية بدلاً من الاندفاع في ثورة غضب أعمى كما تميل فترة غضبه التي تعقب ثورة الغضب إلى القصر، هذا ما يميز سلوك الطفل في مراحل نموه ونضجه المتكاملة انفعالياً وعقلياً وجسدياً... ومن علامات النضج أيضاً ردود الفعل الهادئة عند الطفل بعد نوبة غضب والتعبير عن الندم والمحبة للوالدين. وعندما تصبح نوبات الغضب طريقة مفضلة عند الطفل لحل مشكلاته وبشكل دوري فإنها تعكس

مشكلة سلوكية خطيرة، تحتاج إلى الإرشاد النفسي اللازم حرصاً على عدم تطورها إلى اضطراب يتبدى بأنماط سلوك غير سوية تحتاج للعلاج النفسي. إن التكيف مع غضب الأطفال يمكن أن يكون محيراً ومزعجاً ومثيراً للقلق عند الأيوين، ومصدراً لإثارة الغضب عندهما.

### الأسباب:

الغضب أمر طبيعي، وسلوك سوي عند الطفل، غير أن اتجاهه وشدته تأخذ اتجاهاً منطقياً عبر مراحل النمو المختلفة التي تتسم بالنمو الطبيعي أو السوي، ويعتبر رد فعل غريزي للإحباط أو للتعرض للهجوم أو لعدم تلبية توقعاتنا. وتبعاً لأشلي مونتاجو (ASHLEY MONTAGUE) فإن المزاج السيئ هو بشكل عام نتيجة للإحباط وليس لفعل خاطئ. ومن العوامل الأخرى تعرض الأطفال لمشاهدة الراشدين أنفسهم وهم يظهرون نوبات غضب بسهولة. وعدم قدرة الأطفال على إدراك متى يشعرون بالانزعاج أو الإحباط، وبالتالي غير قادرين على نقل هذه المشاعر للآخرين إلا بعد أن ينفجروا في نوبة غضب شاملة.

وليس هذا سوى قليل من الأسباب الجلية التي تؤدي إلى نوبات الطبع لكنه لا بد أن نذكر أن هناك أسباباً أكثر خفاء ودقة قد لا تبدو بمثل هذا الوضوح في كل حين. ولنفرض مثلاً أن الطفل كان يلعب هادئاً ينفذ خطة كان قد رسمها لنفسه وهو يتوق إلى إتمامها، فإذا به - بكلمة من أحد الكبار الذين لا يحفلون بما يدور في ذهنه - يطالب بأن يوقف كل خطته وجهوده أو أن يطرحها جانباً، سواء أمكنه أن يدرك الحكمة في ذلك أو لم يمكنه.

أمن الغريب إذن يعبر عن حنقه على أعنف منوال يستطيع به التعبير عنه؟

وقد لا يكون تقلب المزاج في الصغار إلا انعكاساً لعدم الاستقرار عند آبائهم. أنتفجر أنت غاضباً؟ أيدفعك طفلك إلى الحنق إذا أساء أدهه؟ ألا تزال به قائلاً «كفى» و«لا» حين لا يستلزم الأمر ذلك حقاً؟ ليس من المجدي أن تحاول فرض الطاعة بالصياح في وجه الطفل كما يفعل كثير من الآباء، فإنما يثيره هذا ويزيد هياجه ويجعله من ثم أعسر قياداً. ولا يعوز الطفل وقتاً طويلاً حتى يعرف مواطن الضعف في أهله، وحتى يحدد تحديداً دقيقاً قدر ما ينبغي من رفس وصراخ وعويل للحصول على الغاية التي يهدف إليها. فإذا هيا الآباء أنفسهم لاتخاذ ما ينبغي إزاء ذلك من مسلك حازم موحد، وإذا هم أوتوا من الشجاعة ما يدفعهم إلى التسليم بأنهم هم الآخرون في حاجة إلى تعلم ضبط النفس، فسرعان ما ينتهي الأمر بالفوز في المعركة. ويغلب أن يكون الطفل الذي تلازمه هذه النوبات الحادة غير مستقر الانفعالات بطبعه، وأن يكون من الطراز الذي يعجز عن مواجهة المقدار المألوف من الجهد والتوتر دون أن يلحق به إجهاد بالغ، وليست نوبات الطبع سوى عرض من أعراض كثيرة للإجهاد العصبي عند الأطفال. إذ غالباً ما يسبق تلك النوبات اضطراب في النوم، وتأفف في الأكل، وتلمس للأخطاء التافهة، أو شكاوى من حيث زملائه في اللعب، أو ظلم أبويه ومعلميه. ويعني هذا أن الطفل في حاجة إلى قدر أكبر من الراحة والنوم، ثم إلى فرصة أسنح وأوسع للعب خلال صحوه. فلا يجب أن يحجز في الدار ويحرم من رفاقه في اللعب، لأن هذا الموقف نفسه يدفعه إلى أن يتركز تفكيره حول ذاته، فيصير غضوباً عسير الرضا دائم التوتر، وهو كفيل بأن ينفجر في أية لحظة. كذلك لا ينبغي أن نجره إلى مشاوير السوق أو إلى السينما أو إلى الحفلات حيث يزيد ثورة وهيجاناً.

ويجب النظر إلى نوبات الطبع في كل حالة من حيث صلتها بالأسباب المثيرة وبشخصية الطفل.

## طرائق الوقاية من نوبات الغضب:

- ١- النموذج الأبوي: تذكر أن أطفالك من المرجح جداً أن يقلدوا أسلوبك في التعامل مع الإحباط.
- ٢- الحاجات الفيزيولوجية: في حالات الجوع والتعب يزيد احتمال انفجار الغضب عند الأطفال. لذلك تأكد من أن يحصل طفلك على كمية كافية من النوم والراحة والطعام. وفرصاً للعب بحرية خارج المنزل إذا كان متوفراً بشكل سليم.
- ٣- اطلب أقل قدر ممكن من المتطلبات: لا تفرض على طفلك عدداً كبيراً من الممنوعات والقيود الصارمة غير الضرورية أو الاعتباطية التي تشكل عاملاً هاماً في إحداث نوبات الغضب، فالغضب والمقاومة هو رد الفعل الطبيعي لكلمة توقف (STOP) لذلك عليك بالسيطرة على أطفالك فقط في الحالات الضرورية والهامة واترك مجالاً للطفل ليكون شخصيته ويبدى رأيه ويحقق ذاته في عوامل تساعد في نضجه الانفعالي.
- ٤- التحذيرات المبكرة: شجع الطفل على تفريغ انفعالاته بالحديث والتعبير عن انزعاجه وتفهمه واستمع له ملياً فعندما يبدأ الطفل بالدمدمة والتذمر، ويبدو متجهاً للانفجار في نوبة غضب، قل له شيئاً من مثل: يبدو أن شيئاً ما يزعجك، قل لي فيمكنني مساعدتك - وإذا وجد الطفل صعوبة في التعبير عن نفسه فحاول أن تساعده ببضع كلمات تظن أن لها علاقة بانزعاجه، وإن لم يكن لديك فكرة عما يزعج طفلك فاسأله «هل حدث شيء في المدرسة اليوم؟»، «هل أنت غاضب من أختك؟» وحتى لو أنك الطفل صحة تخمينك إلا أنه سيصبح أكثر هدوءاً... وهكذا يمكن لتفهم الوالدين والاهتمام بالطفل أن يساعدا في تخفيض حالة التوتر عند الطفل.
- ٥- التدريب على الاسترخاء: يمكن تعليم الطفل عملية الاسترخاء الجسدي والعقلي عن طريق جعل الطفل يتصور منظرًا يبعث على الاسترخاء ضمن جو عاطفي دافئ مرح وهذا ما يخفف من درجة إثارة الغضب.

## الطرائق الممكنة في علاج الغضب:

كثيراً ما يلجأ الوالدان إلى الصراخ والانفعال الهيجاني حيال الثورات الانفعالية عند الطفل أو الاستسلام لرغبات الطفل وبالتالي يحصل على ما يريد ويصبح الغضب أسلوب الطفل المفضل لتلبية رغباته وحاجاته، وأحياناً يلجأ الوالدان إلى مجادلة الطفل غير أن كلا الطرفين ينزِعُج أو في أحيان أخرى يستخدم الوالدان العقاب والتهديد القاسيين.

وثمة طرائق مستخدمة حيال نوبات الغضب عند الطفل منها:

١- **التجاهل:** فعلى الوالدين تجاهل نوبة الغضب التي يمكن تحملها والانسحاب من المشهد ما أمكن. أما إذا كان من المحتمل أن يرافق سلوك الغضب مظاهر من السلوك العدوانى أو إلحاق الأذى جسدياً بشخص آخر فما عليك إلا أن تعزل الطفل المنفعل لفترة قبل أن تتجاهل غضبه.

هناك بعض الأطفال يقومون بحبس أنفاسهم أثناء نوبة الغضب حتى يصبح لونهم أزرقاً، فلا تنزعج أكثر من اللازم لأنه فيزيولوجياً سوف يتنفس عند بلوغه مستوى معيناً لا يحتمله. غير أنه أحياناً يفقد الطفل وعيه فامسح وجهه بالماء البارد لاستعادة التنفس. وتختفي نوبات حبس الأنفاس تلقائياً عند الأطفال العاديين في سن الرابعة مترافقة مع انخفاض حاجة الطفل للسيطرة على البيئة.

٢- **التعبير المناسب عن الغضب:**

آ- **التعبير اللفظي:** عندما يستطيع الوالدان والطفل أن يعبرا عن آراء مختلفة ضمن مناقشة قد تكون حادة وانفعالية أحياناً مع احتفاظ كل طرف ما أمكن بالسيطرة على نفسه، والامتناع عن التقليل من شأن الآخر، والتفاوض على حل مقبول للمشكلة الموجودة لكليهما، عند ذلك سيكون نهاية لسلوك نوبات الغضب عند الطفل. ومع

الاستمرار في النمط من التعبير اللفظي ولحين وصول الطفل لمرحلة يستطيع فيها أن يخبر أبويه بأنه يشعر بالاستياء من أمر ما فإن هذا يعني أن مسلسل نوبات الغضب لن يبدأ بالظهور لديه كما كان سابقاً ويأخذ بالزوال التدريجي.

ب- **التفريغ العضلي:** بواسطة الرياضة أو اللعب أو الرسم أو أشكال من المعجون... وأحياناً من المفيد تصميم أكياس من الوسائد القديمة كأكياس ملاكمة ويضربها الطفل إلى أن يتبدد غضبه. أو القيام بالمشي وتغيير المكان والوضعية الجسمية للطفل. إذ إن الغضب غير المعبر عنه يميل إلى التراكم، وإذا استمر داخل الجسم فقد يؤدي إلى اضطرابات جسمية - نفسية (PSYCHOSOMATIC) مثل الصداع النصفي «الشقيقة» أو آلام في المعدة.

٣- **المكافآت:** بإمكان الوالدين امتداح الطفل لسلوكه الجيد ولتعامله مع الإحباط دون انزعاج.

٤- **العقاب البسيط:** (MILD PENALTY): يمكن فرض عقوبة العزل وخاصة كلما حدثت نوبة غضب لبرهة قصيرة مع الجزم في فرض هذه القاعدة (دون إظهار أي تعاطف أو غضب).

٥- **مزيداً من الإشراف:** (MORE SUPERVISION) المزيد من الاهتمام والإشراف على نشاط الطفل، واقتراح عدّة حلول بديلة لمشكلات الطفل مع إبقاء القرار الأخير للطفل. وإذا كان انزعاج الطفل بسيطاً ومن المحتمل أن يتحول إلى نوبة غضب فيمكن أن تقول له: «هذا يكفي، إنك تسبب الانزعاج لنا جميعاً وتزيد شعورك بعدم الارتياح لن نقضي مساء سعيداً، إذا بقيت هكذا» أو «ضرب شقيقتك ممنوع، وإذا كنت غاضباً منها، فأخبرها بما يزعجك» وهكذا....



٦- لعب الدور (ROLEPLAYING): إن مناقشة المواقف التي يمكن أن تستجر مشكلات الطفل المزاجية قبل التوبيخ من قبل المعلم - والطلب من الطفل أن يقوم بتمثيل استجاباته المعتادة حيال ذلك. ثم بتوضيح السلوك المرغوب فيه وإيجابياته من الناحية الاجتماعية وتوضيح السلوك غير المرغوب فيه وتوضيح سلبياته. وبإمكان أحد الوالدين أن يقوم في فترات متعاقبة بلعب دور معلم يواجه الطفل ويجعل الطفل يتدرب على إعطاء استجابة مناسبة ويمتدحه في كل مرة يقوم بها بلعب دوره فيها تعاون.

٧- الحديث مع الذات (Salf - Talk): إن تدريب الأطفال على كيفية التحدث مع أنفسهم للتخلص من شعورهم بالغضب، وتعليمهم كيف يقاومون الإحباط والإهانة بقولهم لأنفسهم وبطريقة هادئة أفكاراً مهدئة عن ضبط النفس، أو أفكاراً تضع الموقف في منظور معين، فمثلاً إذا قام رفيق الطفل بإيذاء شعوره فيإمكانه تخفيف غضبه بقوله لنفسه:

«عندما يكون الأطفال شريرين معي، فإنني أشعر نحوهم بالأسف» أو «حسناً، إن الشتائم لن تؤذيني بشكل حقيقي لذا فسوف أكتفي بتجاهلهم».

٨- تنمية التبصر (In s iGhT): بعد اجتياز الطفل لنوبة الغضب، ناقش معه الحادثة، إذ ينبغي أن تتضمن المناقشة وصفاً لشعورك وشعور الطفل أثناء الحادثة، والأسباب، والطرائق البديلة لحل هذه المشكلة في المستقبل. وأصغ باحترام لأفكار الطفل ومشاعره.

٩- إمساك الطفل (Holding): قد يفقد الطفل أحياناً سيطرته على نفسه تماماً بحيث يحتاج إلى أن يُمنع من الحركة أو يُبعد من المكان وذلك حفاظاً على سلامته، وينبغي ألا ينظر إلى هذا الأسلوب كعقاب إنما كطريقة في قول: «لا يمكنك أن تفعل هذا» إذن لا بدّ من منع الطفل من الحركة إذا كان يشكل خطراً على نفسه والآخرين أو الممتلكات وذلك بنقله إلى مكان خاص ومريح، ويُفضّل إمساكه من الخلف للتقليل من خطر الإصابة الجسدية

ويفترض محاولة الجلوس وإمساك الطفل في حُجر والده أو والدته دون ضغط أكثر من اللازم، وفي حال سيطرة الطفل على نفسه يفترض أن تتراخى قبضتي الوالد أو الوالدة، وهذا ما يحمي الآخرين من الإحساس بالخوف والانزعاج وتجنب الطفل الشعور بالحرج بعد أن يسيطر على نفسه. ويترافق هذا الإجراء بالحديث إلى الطفل بصوت هادئ وتجنب مناقشته فيما يزعجه، ودع الطفل ينام أو اتركه لوحده إذا رغب في ذلك على أن تناقشه في المشكلة فيما بعد.

١٠ - المهمة المتناقضة (Paradoxical-task): تلك المهمات التي تبدو منافية للعقل، مثل الطلب من الطفل الاستمرار في نوبات الغضب، بدلاً من طلب التوقف، فبالطلب من الطفل أن يستمر أو حتى يزيد من نوبات الغضب، فقد يقوم في الواقع بخفض هذا السلوك لأنه يقاوم أن يقال له ماذا يفعل. ولا ننسى أن لكل طفل حالته الخاصة، ولكل حالة ظروفها الخاصة تبعاً للمرحلة العمرية، ومستوى وعي الوالدين، وللظروف الاجتماعية والتربوية التي يعيشها الطفل وهذا ما يتمثل بالفروق الفردية بين فرد وفرد آخر وللفرد ذاته من حال إلى حال.

والغضب في الكثرة الغالبة من الأطفال إذا كان متناسباً مع المثير وكان قصير الأمد كان رداً سويةً سليماً. إذ إن الطفل الذي لا يغضب بتاتاً لا بدّ أن يكون به جانب من الشذوذ، فهناك من لين العريكة ومن الهدوء ما يزيد على الحد السوي لكن الطفل الذي يلاقي المواقف الصعبة بإدمان الثورة وحدة الطبع يكون في خطر داهم من أن يستمسك بهذه الأساليب الكريهة في السلوك حتى في مقبل حياته عند كبره.

وغالباً ما نجد أن نوبات حدة الطبع، التي أصبحت عادة، كانت تجدي على الطفل من طريق مباشر أو غير مباشر جدوى موقوتة على الأقل. وقد يكون ذلك من إصرار الطفل على رأيه. أو من تطلعه إلى جذب الانتباه من

أي سبيل، أو شعوره بإمكان الحصول على رشوة إذا هو أصر على موقفه وقتاً كافياً. فالمظاهرة التي يقوم بها الصغير أثناء غضبه مشهد رائع مؤثر، لا يستطيع إزاءه أولئك الذين أنكروا عليه رغائبه من قبل إلا أن يسلموا له وأن يقبلوا مطالبه وشروطه، حتى يتجنبوا من مظاهر حنقه ما لا يسرهم في قليل أو كثير. ومن أشد ما يبعث العجب أن ننظر إلى حذق الطفل في تخير الزمان والمكان الذي يبدو الاستسلام لرغباته فيهما ضرورة لا محيص منها. هكذا يتعلم الطفل سريعاً كيف يسيطر على من يحيطون به وسرعان ما نجد أن النوبات التي كانت تثور أصلاً من المواقف التي تسوءه قد صارت تستخدم للتخلص من أي موقف يفرض عليه الخنوع لإرادة غيره. وهذه النوبات لا تتناسب البتة ومقتضيات الحال، فإن الصغير كفيل بأن يمثل نوبة من النوبات العنيفة إذا أحضرت له أمه «مصاصة» من الحلوى الحمراء بدلاً من الخضراء التي أرادها حتى لتبلغ هذه النوبة في عنفها مبلغ النوبة التي تصدر عنه إذا وجد ما يثير حنقه حقاً.

ثمة طفلٌ صغيرٌ في الرابعة اصطنع هذه الطريقة ليجذب انتباه الأسرة كلما استشعر أنهم استخفوا به أو أهملوا بشأنه، فإذا أخذوه بالتأديب أو لم تلائمه الأمور كانت استجابته سريعة فبدأ بإهراق الدمع ثم أعقب ذلك بالصراخ عالياً. وإذا لم يجده ذلك نفعاً رمى بنفسه على الأرض يرفس أو يضرب أي شيء اعترضه، فإذا بلغ الأمر ذلك الحد لانت الأسرة في العادة خوفاً مما يعقب ذلك. ومع هذا فإنهم إذا لم يحفلوا به لم ييأس الصغير إذ لا يزال في جعبته سهم أخير... وإذا به يكف عن الرفس والصراخ، ويتخشب جسمه وينقطع تنفسه فتحيط الزرقة فمه ويكون ذلك خاتمة القصة، فإذا بهم جميعاً عند قدميه يلقون بالماء على وجهه، ويخفون عنه ويعدونه بكل ما يرغب، مهما كان في ذلك من ضيق لغيره وما إن تتحقق رغائبه حتى ينصرف إلى شأنه. وقد يبدو هذا لمن لم يألّف تلك النوبات مبالغة وإسرافاً في الوصف، لكن الحق أن ليس فيه من المبالغة شيء، فهذه النوبات مُروعة حقاً

تتطلب هدوءاً وعزماً قوياً للوقوف في وجه الطفل في مثل هذه الأحوال بالإضافة إلى ما أسلفنا ذكره فهذا قليل من الأسباب الجلية التي تؤدي إلى نوبات الطبع، ويغلب أن يكون الطفل الذي تلازمه هذه النوبات الحادة غير مستقر الانفعالات بطبعه، وأن يكون من الطراز الذي يعجز عن مواجهة المقدار المألوف من الجهد والتوتر دون أن يلحق به إجهاد بالغ، وليست نوبات الطبع سوى عرض من الأعراض الكثيرة للإجهاد العصبي عند الأطفال. إذ غالباً ما يسبق تلك النوبات اضطراب في النوم، وتأفف في الأكل وتلمس للأخطاء التافهة أو شكاوى من حيف زملائه في اللعب، أو ظلم أبويه ومعلميه. ويعني هذا أن الطفل في حاجة إلى قدر أكبر من الراحة والنوم ثم إلى فرصة أسنح وأوسع للعب خلال صحوه. فلا يجب أن يُحجز في الدار ويُحرم من رفاقه في اللعب، لأن هذا الموقف نفسه يدفعه إلى أن يتركز تفكيره حول ذاته، فيصير غضوباً عسير الرضا دائم التوتر، وهو كفيل بأن ينفجر في أية لحظة. كذلك لا ينبغي أن نجره إلى مشاوير السوق أو إلى السينما أو إلى الحفلات حيث يزيد ثورة وهياجاً.

ويجب النظر إلى نوبات الطبع في كل حالة من حيث صلتها بالأسباب المثيرة وبشخصية الطفل. فقد تكون مشكلة نوبات الطبع عند هذا الطفل مصحوبة أبداً بمرض بدني، وفي آخر بغيرة حادة من أخته الصغيرة، بينما طفل ثالث يلجأ إليها عارفاً عامداً كي يحصل بها على ما يريد ويواصل استخدامها ما دامت تجدي عليه، وطفل آخر يُنفّس عن غضبه الشديد بتلك النوبات. والأعراض في كل حالة من هذه الحالات متماثلة، غير أن العوامل التي تسببها يختلف بعضها عن بعض كل الاختلاف، والعلاج في كل حالة يجب أن يسير في حلقة متصلة من أشكال التكيف المختلفة.

وكثيراً ما يقاسي الطفل من سرعة الغضب عند أحد والديه دون أن يكون للصغير يد في ذلك، فهناك آباء تتحكم في موقفهم العقلي بأكمله تجاه الحياة أمور تافهة يضيّقون بها. فإذا كان ماء الحمام بارداً، أو موس الحلاقة أثلّم، أو

القهوة خفيفة أو جريدة الصباح متأخرة كان على الطفل في الغالب أن يتحمل صدمة ما ينتج عن ذلك من سخط وهياج، حتى إن أي سلوك مألوف لا غبار عليه يصدر عن الطفل عند ذاك يجلب عليه تعنيفاً شديداً قاسياً، فأولئك الآباء كفيلون بأن ينسبوا علة حنقهم وما يشعرون به من ضيق إلى الطفل بدلاً من نسبتها إلى الخادم أو البواب أو بائع الصحف وقد يدرك الصغير مصدر الحنق، أو قد يخفى على إدراكه، لكنه يستشعر ما في ذلك من ظلم لا شك فيه، الأمر الذي يؤدي إلى سخطه ويدفع به أكثر الأحيان إلى ثورة عليه ثورة مكشوفة صريحة. وهكذا تبدأ حلقة مفرغة من العسير قطعها.

ولا يكاد يبدو من اللازم أن ننبه الآباء إلى أن الحديث عن طبع الطفل أمام الأقارب والأصدقاء بمحضر الطفل، إنما هو وسيلة توجه نظرة إلى كيفية جذب الانتباه إليه، وأن هذا الحديث فوق ذلك اعتراف من الآباء بما للطفل من سطوة وسلطان على الأسرة. ومع هذا فما أكثر الآباء الذين يقعون في هذا الخطأ بالذات، إذ نسمع كثيراً من الأمهات، على اختلاف أوساطهن الاجتماعية، يقلن إن الطفل قد بلغ من فظاعة الطبع حداً «لا أستطيع أن أفعل معه أي شيء» ونرى الطفل من حين إلى الآخر يبدي ما يؤيد قولها فترضى حيناً وتسخط حيناً آخر. ومن الخير أن نذكر أبدأً أن رغبة الطفل الكامنة في اتخاذ مركز بارز في الأسرة أمر يبلغ من الوضوح حداً لا يسمح بالمبالغة في تشجيعه على ذلك حتى في محيط العائلة الضيق، ومن ثم ينبغي ألا يكون سلوك الطفل البتة موضوعاً لثرثرة الأهل والجيران، ويتعرض الأطفال لكثير من ألوان الكيد والإذلال والسخرية من الآباء دون أن يدرك هؤلاء ذلك. بل إن بعض الآباء ليتورعون عن معاملة خدمهم بمثل ما يظهرونه نحو أبنائهم من الاستخفاف وعدم الرعاية، وهم لا يفعلون هذا عن قسوة أو قلة في الحنان والعطف، بل إن عدم المبالاة والبرود الذي يلقاه الطفل من أبيه المنصرف إلى عمله، أو من أمه التي يغلب عليها الغضب، كثيراً ما يكون سبباً فيما يجثم على الطفل من سوء المزاج.

ولا تزال بعض الأسر تستخدم إلهاب الغيرة حافزاً يبعث الطفل إلى مضاعفة جهوده كأن يداوموا مقارنة طفل بآخر مقارنة تصل إلى شدة المبالغة في خيبة أحدهما وفي تفوق الآخر، وهم قد يصلون إليها بتفضيل الواحد أو امتداحه ومكافأته أو بإشعار الآخر أنهم لا ينتظرون منه إلا أقل شيء، إن كانوا ينتظرون شيئاً. فإذا حدث ذلك على أي وجه من الوجوه وجب أن نوقن أن إشعار الطفل بعجزه مصدر فياض لهياجه وحدة طبعه.

أما عدم الاطراد في طرق التهذيب فهو أبداً مبعث لسخط الطفل والسخط والحنق على الدوام أمر يسبق نوبات الطبع. وقد أشرنا من قبل إلى أنه لا ينبغي البتة أن يكون الطفل في شك مما ينتظر منه، وألاً يعنف اليوم أو يعاقب على أمر لم يعلق عليه أحد بالأمس.

إلى كل أب وأم نقول: كن في مسائل التأديب حازماً. وفي تعليماتك واضحاً دقيقاً. كن عادلاً فوق كل شيء ولتذكر ما استطعت أنك لو أدليت للطفل بتفسير معقول عن وجوب قيامه بأمر ما كان لهذا التفسير فائدة كبيرة في تدريبه على الطاعة، وفي وقايته من سرعة الهياج ونوبات الغضب.

## مشكلات الطفولة

### من منظور علم النفس ظاهرة الاكتئاب وإيذاء الذات

#### «أسبابها - طرق الوقاية - سبل العلاج»

- الاكتئاب (depression) هو شعور بالحزن والغم مصحوب غالباً بانخفاض في الفاعلية. ويحدث سلوك إيذاء الذات (self-injurious) عندما يعمد الناس إلى الإضرار بأنفسهم، والانتحار هو شكل متطرف من سلوك إيذاء الذات يحدث لدى الأفراد المكتئبين. وبينت الدراسات أن (٥٨%) من آباء الأفراد المكتئبين هم أيضاً مكتئبون، كما أن حوالي نصف المراهقين الواقعيين تحت طائلة القانون هم من المكتئبين، ويسمى هذا الوضع بالاكتئاب المقنع (masked) depression. واستجابات الحزن والعجز هي استجابات شائعة لمن يعاني من الأفراد الضرب وإساءة المعاملة ومما يجعل الموقف أكثر خطورة كما يرى كثير من الأخصائيين، هو أن الاكتئاب يمكن أن يكون سبباً لكثير من المشكلات السلوكية لدى الأطفال مثل التبول في الفراش ونوبات الغضب والهرب من المدرسة والشعور بالإرهاق والشلل المدرسي والانحراف والنشاط الزائد والمشكلات الجسمية النفسية. فالانحراف كثيراً ما يظهر كوسيلة لتغطية الشعور بالوحدة واليأس. وغالباً ما يشعر الأطفال بالقنوط والعجز بسبب اعتمادهم على الكبار، والأطفال المكتئبون نادراً ما يظهرون الفرح أو السرور وغالباً ما يتحدثون بصوت رتيب خافت وتعوزهم روح الفكاهة ونادراً ما يضحكون، وقد تظهر لديهم أنماط من التأرجح المزاجي واضطرابات في النوم وقد يكونون سريعى البكاء متهيجين بأسيين متشبثين بالدعم الخارجي، وبعضهم يبدو لا مبالياً ومنعزلاً بينما يبدو البعض الآخر في حالة قلق زائد، وبدلاً من الشكوى من الحزن قد يُظهر الأطفال شكاوى جسمية مثل الصداع وآلام المعدة، وقد لا يشعرون بالرغبة في عمل أي

شيء ويفقدون الاهتمام بالرياضة أو اللعب، ويأخذ عملهم المدرسي بالتدهور بشكل مفاجئ وقد يكون من الصعب إثارة اهتمامهم بأي شيء، وقد يشعرون بالنبذ وبأنهم غير محبوبين ولا يكون من السهل تنظيمهم، وغالباً ما يفضلون النشاطات الذاتية القائمة على العزلة، على التفاعل مع الآخرين، وهم يبدون للآخرين وكأنهم جديرون جداً، وقورون وأكبر من عمرهم، كما أنهم يقللون من قيمة أنفسهم وينظرون لأنفسهم وللعالَم بمنظار أسود.

وكثير من الأطفال في عمر (٨ إلى ١٢ سنة) يهددون بقتل أنفسهم أو إيذائها عندما يكونون بحالة غضب شديد، إلا أنهم يعتذرون عادة بعد أن ينحسر غضبهم ويقولون بأنهم لم يعلنوا ذلك، أما الأطفال الذين يؤذون أنفسهم فهم شديدي النقد لذواتهم، وهي إشارة تحذيرية مبكرة هامة.

إن سلوك إيذاء الذات بما في ذلك الانتحار هو سلوك شائع نسبياً وهو في ازدياد لدى فئة المراهقين. أما سبب الانتحار عند المراهقين فهو غالباً نتيجة الفشل المدرسي أو موت أحد الوالدين أو استمرار الخلافات الأسرية أو الفقر أو مشكلات العلاقة مع الأصدقاء أو مشكلات العلاقة مع من لهم سلطة أو قيادة أو سيطرة عليهم. والانتحار هو الثامن في ترتيب أسباب وفيات الأولاد في الفئة العمرية «٩-١٤ سنة»، ومفهوم الموت والانتحار، يستوعبه الأطفال عادة في عمر «٧ أو ٨ سنوات». إن بعض الأطفال عدوانيون نحو ذواتهم، فهم يهددون بإيذاء أنفسهم أو يقومون بذلك فعلاً، وكثير من الأطفال المتعرضين للحوادث (accident prone) يقعون في هذه الفئة، ومن أنماط السلوك التي تعتبر عدواناً نحو الذات، الامتناع عن أخذ دواء ضروري، وكذلك أعمال المخاطرة المبالغ بها، كأن يقفز مثل هؤلاء الأفراد من مكان مرتفع أو يعبرون الطريق وسط سير كثيف أو يقودون السيارة بسرعة عالية. ويتضمن سلوك إيذاء الذات الخدش أو الجرح أو الصفع أو اللكم للذات كما أن بعض الأطفال يعضون أو ينزعون جلدهم أو يبتلعون الأشياء أو السموم هذا إلى جانب الحركات الإيقاعية مثل حركة هز الرأس الشائعة نسبياً في الطفولة المبكرة التي تتحسر في عمر ثلاث سنوات أو أربع سنوات، وهز الجسم الذي قد يشير إلى وجود حاجة إلى مزيد من الفعاليات الجسمية. ويؤدي ضرب



الرأس بشدة أو لفترة طويلة «حتى لو كان ذلك على مخدة» إلى حالة من التوتر في البيت وإلى الشعور بالغیظ وعدم الجدارة، أما شد الشعور فلا يعتبر شائعاً جداً إلا أنه يحدث بتكرار أعلى لدى البنات دون الثانية عشرة. ومع أن الأطفال العاديين يمكن أن يؤذوا أنفسهم في بعض الأوقات، إلا أن الأطفال الذين يعانون من مشكلات انفعالية جدية والأطفال المتخلفين يؤذون أنفسهم بشكل أكثر قوة.

### الأسباب:

١ - الشعور بالذنب (Guilt): إن الأطفال الذين يشعرون بأنهم فاسدون أو سيئون يرغبون في أن يُعاقبوا، فهم يعتقدون بأنهم يستحقون العقاب بسبب أفكارهم وتصرفاتهم السيئة، وتأتي مشاعر الذنب من القيام بخرق القانون، والشعور بالمسؤولية عن إساءة متخيلة أو من الشعور العام بعدم الجدارة، فالطفل يفكر «إنني سيئ جداً بحيث لا يمكن لأحد أن يحبني». ويمثل هذا الشعور فإنه لا يقتنع بما يظهره الآخرون من تعبير عن الحب أو التقبل ويصبح الموقف أسوأ عندما يحب الآخرون مثل هؤلاء الأطفال بشكل أقل لأنهم يتصرفون على نحو وكأنهم يطلبون النذب. وقد يتساءل بعض الآباء: «كيف يمكن لك أن تحبه إذا كان يتصرف بشكل لا يستحق الحب؟» «إن الأطفال الذين يشعرون بالذنب يلومون أنفسهم لأية مشكلة أو فشل وغالباً ما يتحدثون لأنفسهم بلغة سلبية جداً، فيفكر الطفل مثلاً: «إنني مجرد شخص أحمق ولا عجب أن والدي لا يطيقاني» وفي العادة، يشعر هؤلاء الأطفال بالمسؤولية عندما يكون الآخرون منزعجين أو غاضبين أو متهيجين. «لو أنني لم أتصرف بهذه الطريقة لما بقيت أُمي تصرخ طوال الوقت». وعندما يقال لهؤلاء الأطفال بأن شيئاً ما ليس خطأهم فإنهم لا يصدقون فهم يشعرون بأن من يقول ذلك يحاول فقط أن يكون لطيفاً، ولأنهم يشعرون أصلاً بالذنب فإن الكلمات لا تؤثر على مفهومهم السلبي عن الذات.

٢ - الغضب المتجه للداخل (Anger turned Inward): إن الأطفال الذين يشعرون بالذنب قد يصبحون غاضبين على أنفسهم ومكتئبين وقد يؤذون أنفسهم على

نحو ما، وهذه الطريقة مباشرة لمعاقبة الذات بسبب السوء والحالة الأكثر شيوعاً هي أن يصبح الأطفال غاضبين جداً بسبب عدم عدالة الآخرين فهم يرون آباءهم ومعلميهم وزملاءهم وإخوانهم كأشخاص ظالمين قساة وغير حساسين لهم. وتتكون مشاعرهم هذه، من مزيج من الحقيقة والتخيل أو المبالغة كذلك فإن معظم الراشدين لا يوافقون على قيام الأطفال بالتعبير المباشر عن الغضب، فكثيراً ما نسمع الكبار يقولون «إياك أن أسمعك تتحدث بهذه الطريقة مرة ثانية وإلا ستلقى معاملة قاسية أو أخاصمك أو أعاقبك... الخ». وفي حالة الإحباط «Frustration» يوجه الأطفال غضبهم الذي كان في الأصل متجهاً للآخرين، نحو ذواتهم، كما لو أن الغضب ينبغي التعبير عنه على نحو ما. وبعض الأطفال يعبرون عن الغضب بحركات جسمية، أو بالشتيم في سرهم أو بإخبار أصدقائهم... الخ، أما أولئك الذين لا يفعلون فيصبحون ميالين إلى التقليل من قيمة ذواتهم وينتهون بإيذاء أنفسهم بطريقة ما. والمزج بين إيذاء الذات والاكتئاب هو مزج غير قادر الحدوث.

٣- الشعور بالعجز (Feeling Helpless): يأتي الاكتئاب عادة بعد تكون قناعة لدى الفرد بأنه لا يستطيع التكيف مع مشكلات الحياة اليومية والشعور المستمر بالعجز واليأس قد يؤدي إلى أفكار انتحارية كطريقة للتهرب من موقف لا أمل فيه. وفي بعض الأوقات تتم مواجهة الشعور باليأس بالقيام بحركات الإثارة الذاتية (Self Stimulation) كالهز وضرب الرأس أو أي شكل آخر من أشكال إيذاء الذات كما لو أن الفرد يستمد من الإثارة الذاتية أو الألم شعوراً بأنه ليس عاجزاً تماماً.

٤- الاستجابة للخسارة الفادحة (Reaction to Deploys): يكون صغار الأطفال أكثر شعوراً بالتهديد من الأكبر منهم سناً بفقد الوالدين لأن الأطفال الكبار قد يكونون متعلقين بصديق أو معلم أو قريب. والسبب هو أن الأطفال يشعرون بأنهم قد دمروا إذا توقف تزويدهم الهام بالتقبل. كما أن بعض الأطفال أكثر حساسية وقابلية للتهديد من غيرهم وإن تعددت مصادر التقبل فموت أو مغادرة فرد مهم قد تستثير استجابات انفعالية قوية. وخبرة فقدان بالنسبة للأطفال تعتبر صدمة

رئيسية أي حالة من الاضطراب العقلي والسلوكي ناتجة عن أزمة عاطفية وقد يصبح الأطفال غير قادرين على مزاوله نشاطاتهم اليومية المعتادة ويصبحون اعتماديين، فاقدى الاهتمام متشائمين أو نوي ميول انتحارية أو إلى أشكال من سلوك تدمير الذات هكذا يمكن أن تؤدي أية صعوبات اجتماعية أو مادية مستمرة إلى نقص في اعتبار الذات وفي الثقة بالذات.

٥- الحصول على الانتباه والحب والتعاطف أو الانتقام: كثيراً ما يؤدي الأطفال أنفسهم أو يعبرون عن شعورهم بالحزن كطريقة للحصول على محبة الآخرين وتعاطفهم ويكون هذا صحيحاً بشكل خاص عندما لا يمكن للطفل الحصول على الانتباه بطرق أخرى بل ويصبح الحصول على الانتباه أمراً صعباً لأن الطفل يمكن أن يسعى للحب والانتقام في آن واحد فالأطفال يصبحون شديدي الغضب لأنهم غير محبوبين وهم في الوقت نفسه يرغبون بشدة في أن يكونوا محبوبين وذوي أهمية بالنسبة لوالديهم والآخرين وهكذا فهم يعملون على تلقين من لا يحبهم درساً فالكبار سوف يشعرون بالانزعاج عندما يرون الطفل في مشكلة أو أنه قد ناله الأذى أو ميناً والانتحار سوف يجعل الآخرين يشعرون بالأسف على الطفل الضحية وبذا يكون الطفل قد توصل إلى الانتقام بسبب ما لحق به من ألم أو نبتذ عن طريق هذا الفعل القهري كما يمكن أن يعتبر الانتحار طريقة للتخلص من مواجهة هؤلاء الذين يسببون الألم أو النبتذ أو الخزي أو الإهانة كما يمكن التوصل للانتقام عن طريق القيام بأفعال مدمرة للذات كالانحراف أو تعاطي المخدرات أو الحصول على نتائج مدرسية متدنية وقد يقوم بعض الأطفال السلبيين بقلع شعرهم أو رموشهم أو حواجبهم أو أظافرهم للتعبير عن غضبهم من والديهم ويكون ذلك فعلاً بشكل خاص عندما يشعر الآباء بالحرج من سلوك ابنهم المخزي.

٦- الاستجابة للتوتر (Reaction to ten Sion): قد يرى التوتر في التعارض أو العدوان بين الأفراد وكذلك في الشعور الداخلي بالانزعاج المصحوب غالباً بمؤشرات جسمية للانفعال مثل التعرق وزيادة النبض وشد العضلات وقد يقوم الأطفال الكبار بشد شعرهم أو بخدش أنفسهم عند شعورهم بالتوتر

أو الإرهاق وينتج الاكتئاب غالباً عندما لا يتمكن الأطفال من السيطرة على التوتر بطريقة مناسبة أما الأفكار الانتحارية فتحدث نتيجة للبحث عن طريقة لإنهاء حالة التوتر المستمر الذي لا يمكن اجتنابه.

٧- **الوضع الأسري (Family Context):** قد تؤدي الصراعات الأسرية المتكررة أو الشديدة إلى مشاعر اكتئاب لدى الأطفال وخاصة الأكثر حساسية منهم كما أن صغار الأطفال بشكل خاص أكثر تهديداً بالخلافات لأنهم لا يدركون أن الكبار يحتاجون في كثير من الأحيان إلى تكرار الحديث في المشاكل فقد يرون الوالدين مشتبكين في صراع مميت بينما هما في الواقع منهماكان في جدل عادي نسبياً والوالدان اللذان يشتمكان فعلاً في صراعات زوجية جدية لا حل لها من المحتمل جداً أن يكون لديهما طفل مكتئب أو أكثر كما أن الصراعات المتكررة والشديدة بين الإخوة يمكن أن تؤدي أيضاً إلى كثير من الحزن لدى طفل معين حيث قد يشعر هذا الطفل بأنه موضع للإزعاج المستمر وبأنه غير قادر على الابتعاد عن إخوة وأخوات عدوانيين، وبعض الآباء لا يتقبلون أي تعبير عن الفشل أو الإحباط أو عدم السعادة من قبل أطفالهم هؤلاء الآباء لا يريدون سماع أي شيء عن المشاكل ولا ينصتون لأطفالهم كما أنهم يتحدثون عن الأطفال أو يصدرون إليهم التعليمات بدلاً من أن يتحدثوا معهم، وغالباً ما يتخلى الطفل عن محاولات الاتصال مع هؤلاء الآباء وبدلاً من أن يصغي ويتحدث ويحل المشكلات يصبح اكتئابياً، واستمرار مثل هذا النمط من السلوك قد يؤدي إلى أفكار أو أفعال انتحارية.

٨- **العوامل الفيزيولوجية:** ينبغي أن تؤخذ الأسباب الجسمية المحتملة للاكتئاب بعين الاعتبار، فعندما يكون الأطفال جيدي التكيف ثم تحدث لديهم استجابات اكتئابية «على نحو مفاجئ أو تدريجي» يجب تحري وجود أسباب طبية ويكون هذا مهماً بشكل خاص في غياب أسباب الاكتئاب فقد يكون هناك اختلاف في التوازن الهرموني وخاصةً لدى الفتيات أثناء البلوغ أو فقر دم ناتج عن نقص الحديد، أو اضطرابات في الغدة الدرقية أو حساسية للطعام أو اضطرابات في سكر الدم.

## الوقاية:

### ١ - الاتصال المفتوح والتعبير عن الانفعالات:

يزيد شعور الطفل بالدفء والتقبل من خلال الاحترام والإصغاء، إذ إن من الضروري أن يشعر الأطفال بأن الكبار يهتمون بجديّة، وأن من الممكن أن يلجؤوا لهم للحصول على الدعم والتوجيه.

### ٢ - ساعد الطفل حتى يشعر بالكفاءة والفاعلية:

لا بدّ من تنمية الشعور بالكفاءة والاستغلال ، لأن حل المشكلات الفعّال واكتساب الإحساس بالرضا عن الذات يساعد في الوقاية من الشعور بالعجز. إذ يجب أن يشعر الأطفال بأن لهم دوراً في التأثير على ما يحدث في البيت، ويجب علينا في الوقت نفسه أن نصغي لمقترحاتهم ونتبعها إن أمكن، وأن نتجنب عدم الثبات أو المزاجية في أسلوبنا في تنشئة الأطفال.

### ٣ - اعمل على تطوير مصادر متعددة لاعتبار الذات:

إن بعض الأطفال يتعلقون تعلقاً شديداً بأحد الأبوين إلى الدرجة التي تصل غالباً إلى حد الإقصاء العاطفي لأي شخص آخر ولذلك عليك أن تشجع أطفالك ليشعروا بأنهم قريبون من كبار آخرين ومن أقرانهم.

فقدان الاستحسان يصبح أقل تهديداً عندما تتوافر للفرد مصادر متعددة من الاستحسان والتقبل. ومن الضروري تطوير مهارات وميول الطفل على نحو واسع، فمفهوم الذات الجيد والقوي تتم تقويته بالكفاءة في مجالات متعددة وليس بالتخصص في مجال واحد. كما يعطي ذلك الطفل أساساً جيداً ليقرر فيما بعد المهارة التي ينبغي أن يطورها بشكل أكمل، لذا يصبح الأطفال أقل هشاشة وأقل تهديداً كنتيجة لفقدان مهارة واحدة أو شخص واحد.

### ٤ - كن نموذجياً للتفاؤل والمرونة:

كثير من الناس يقدمون الحديث السلبي مجاناً ويبخلون بالحديث عن المشاعر الطيبة، والأطفال يتأثرون على نحو مفيد بالاستماع إلى التعبيرات الإيجابية وبمشاهدة الأسلوب المرن والمتكيف في حل المشكلات، وفي مثل هذا الجو يصبح إيذاء الذات نفسياً أو جسماً أمراً مستبعداً جداً.

## ٥ - كن منتهياً للإشارات التحذيرية:

كن واعياً لأية إشارات تُظهر وجود مشاعر مستمرة من العجز والاكنتاب، وتعامل مع شكاوى الأطفال بجدية واحترام، وكن منتهياً لتعليقاتهم وسلوكهم غير اللفظي، لأن التقليل من أهمية شكاوى الأطفال قد يؤدي إلى الاكنتاب أو إلى تصرفات إيذاء الذات كطريقة للحصول على الانتباه أو الاحترام، ومن العلاقات التحذيرية التي تشير إلى وجود حاجة لتقويم ومعالجة متخصصي اضطراب في النظام المعتاد للأكل والنوم أو الدراسة، وفقدان الوزن والتهيجية والتعب ووجود أدوات في غرفة الطفل يمكن أن تستخدم في إيذاء الذات مثل الحبال، أو الحبوب أو سكين، أو العزلة المفاجئة، أو توزيع ممتلكات الطفل التي يعتبرها قيمة جداً.

وأي حديث عن الانتحار أو إيذاء الذات مهما كان عرضياً، ينبغي أن يؤخذ بجدية، وفي حالة المراهقين فإن استعمال الكحول أو المخدرات قد يكون علامة مبكرة على الاكنتاب، حيث تظهر لديهم الحاجة إلى العقاقير للحصول على مشاعر جيدة وخاصة بهدف إقناع أنفسهم أو لمواجهة المواقف الاجتماعية.

## العلاج:

### ١ - ناقش الحزن وإيذاء الذات بشكل منفتح:

يتجنب كثير من الكبار مواجهة الأطفال بالحقائق خوفاً من أن تشتت المشاعر السلبية لديهم أو أن يسلخوا أسلوب إيذاء الذات، وفي الواقع، فإن التعامل مع الأطفال بشكل جدي والإصغاء لهم بتعاطف لهما تأثير مفيد، فأخبار الأطفال بأن مشاعر الغضب والاكنتاب هي مشاعر مؤقتة، يؤدي في الغالب إلى طمأننتهم، فهم يشعرون بأن الكبار يستطيعون مواجهة المشاعر القوية، وأن الأمور سوف تسير على ما يرام. والأطفال الذين يُظهرون حزناً شديداً يجب أن يُسألوا بما يفكرون به وبما يزعجهم، غالباً ما يرتاح الأفراد لأن هناك من يسأل عنهم، لأنهم قد يكونون مترددين في فتح الموضوع بأنفسهم، وبشكل عام إن جميع أشكال المشاعر يجب التعبير عنها ومناقشتها،

فمشاعر الحزن ينبغي الإعلان عنها ومناقشتها بالتعاطف مهما كانت الأسباب المؤدية له. ويجب أن ننقل للطفل فكرة أننا جميعاً نعاني من شعور بالذنب نتيجة فقدان أو الخسارة، ومن الطبيعي أن نفكر بما كان يجب علينا أن نفعله وما كان يجب ألا نفعله. لا تعمل على تأكيد ضرورة اختفاء الحزن أو عدم البكاء وإنما شجع التعبير عن جميع المشاعر.

## ٢ - اضمن إدراك الطفل لتحقيق أهدافه:

يجب أن يتمكن الأطفال الاكثابيون من الشعور بأنهم يستطيعون في الوقت الحاضر وضع أهداف وإنجازها، ويجب أن تقدم لهم المساعدة ليفكروا بما يرغبون في إنجازه بغض النظر عن مدى أهميته، فبعض الأطفال يرغبون في إنهاء مجموعة بدؤوا بجمعها، وبعضهم يرغبون في أن يشعروا بأنهم يستطيعون المساعدة عن طريق قيامهم بعمل إضافي. والمهم هو أن تتأكد من أنهم يدركون بأن سلوكهم هو ما يؤدي إلى المكافأة الداخلية أو الخارجية لأن هذا الإدراك يعمل بشكل مباشر كمضاد للشعور اليأس بأن ما يفعلونه لا أهمية له، ويؤدي إلى شعور إيجابي بالإنجاز، ويشكل محوراً للاهتمام ومنفساً للطاقة.

## ٣ - قم بتخطيط نشاطات ممتعة وتنفيذها :

من الضروري تجنب انعزال الطفل، ومن الضروري إبلاغ الأطفال الآخرين والكبار أن بعض الأطفال قد لا يرغبون في المشاركة إلا أنه يجب التعامل معهم بشكل طبيعي حيث إنهم سوف يشاركون تلقائياً فيما بعد.

والاتجاه التفاوضي بأن الأطفال سوف يخرجون من حالة الحزن يجب أن يتم التعبير عنه بشكل مباشر، ومن الأمور المفيدة التخطيط لنشاطات المستقبل مع أخذ ميول الأطفال بعين الاعتبار. ومن الأنشطة المقترحة التنزه وركوب الدراجات ومشاهدة المباريات الرياضية أو الاشتراك بها وزيارة الأصدقاء والأقارب وتناول الطعام خارج البيت وزيارة أماكن جديدة... الخ

#### ٤ - الحديث الإيجابي مع الذات (Positive Self- talk):

ينبغي القول للأطفال المكتئبين بأن مشاعرهم سوف تتحسن إذا تعلموا كيف يقولون لأنفسهم جملاً إيجابية. وإذا كنت حساساً لمشاعرهم فإن بوسعك أن تقترح التعبيرات الذاتية الأكثر مناسبة لهم ومن الأمثلة على هذه التعبيرات «أن الأمور سوف تتحسن» أو «قريباً سوف أشعر بالسعادة من جديد» أو «أن أصدقائي وأقاربي سوف يساعدونني لنتحسن مشاعري» أو «توقف عن الرثاء لنفسك وافعل شيئاً... إن عليك أن تحلل الطريقة السلبية للطفل وأن تقترح تعبيرات ذاتية إيجابية لتعمل كمضاد لمشاعر الذنب والتشاؤم والتفكير يؤدي إلى العمل بإيجابية.

#### ٥ - اعمل على وقف سلوك إيذاء الذات:

فإذا كان الفرد قد خرب أو كسر أشياء فإن مهمته هي إصلاحها، أو أن يقوم بأداء عمل معين ليدفع ثمنها. والفكرة الأساسية هي تصحيح الموقف والعمل على تحسينه ومن أمثلة ذلك معاقبة الطفل الذي يعض يده بأن يقوم بغسل فمه بمحلول مطهر ويغسل أسنانه بفرشاة ويمسح يده بدهون (Cream). كما يمكن عزل الطفل بعد كل حالة من إيذاء الذات، ويمكن أن يكون العزل على شكل وضع الطفل في غرفة غير ممتعة لمدة عشر دقائق - ولزيادة الفاعلية فإن عليك أن تقدم مكافأة إيجابية للسلوك المناسب في أوقات أخرى وإذا لم تُجدِ أمثال هذه الطرائق يمكن استخدام العقاقير المضادة للاكتئاب بنجاح من قبل أخصائيي الأطفال وأطباء الأطفال النفسيين ويُفترض أن لا تكون المعالجة الدوائية إلاّ بعد نفاذ كافة الطرائق السلوكية، وإذا استخدمت ينبغي أن تُستخدم في إطار العمل المحدد الهادف إلى تغيير الظروف التي أدت إلى الاستجابة الاكتئابية. وعندما يبدأ الأطفال بالمشاركة فيجب أن يتم التقليل من الأدوية تدريجياً وإنهاء استخدامها لأن الاستخدام الطويل المدى لمضادات الاكتئاب لا يعتبر مناسباً.



## العدوانية والتربية

في حياتنا العادية نلاحظ وجود بعض الأشخاص الوديعين المسالمين وبعض الأشخاص الذين يتسمون بالعدوانية، العدوانية على الأشياء والممتلكات والعدوانية على الآخرين ومحاولة إلحاق الأذى المادي والمعنوي بهم.

فهل نفسر سمة العدوانية والسلوك العدواني على أساس كونها فطرية غريزية وبالتالي لا يمكن التأثير بهذه السمة وتغييرها، أم ننطلق من كون سمة العدوانية والسلوك العدواني سمة مكتسبة، تلعب أساليب التربية دوراً في إنكائها، بمعنى آخر هل يمكن القول إن هناك تربية عدوانية وأخرى مسالمة؟



## الأطفال مرآة المجتمع

### النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية وظاهرة الطفل العدواني في البيت والمدرسة

رأى فرويد أنه إذا كان العدوان ملحاً يكاد يكون من طبيعة الكائن فهو من دوافع الموت أطلق على هذه الدوافع العدوانية اسم «غريزة الموت» أي أنه كان يرى العدوان شيئاً فطرياً في الإنسان. ومما لا شك فيه أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمارس العدوان جماعياً فتتبادى فيه مجتمعات بكاملها وشعوب برمتها لهذا قيل إن العدوان غريزي في الإنسان وفي الكائنات الحية عموماً. ولكن البحوث التجريبية لا تساند هذه الآراء وترى أن الإحباط يؤدي عادة إلى العدوان الذي ليس بغريزة أساسية أو دافع أولي فطري وترى أن للتعليم أثراً كبيراً فقد أمكن تعليم الكلاب أن تتألف مع القطط وأن تلعب مع الأسود، ومن البحوث على القطط والفئران أمكن تغيير سلوكها العادي فأصبحت الفئران لا تخشى القطط، ولم تحاول القطط قتل الفئران، كما وأن الأطفال يتعلمون طرق ممارسة العدوان من البالغين حيث يرجع الباحثون الشخصية العدوانية لدى الطفل إلى أجواء الأسرة التي تعيش على الخلافات والتي تتبع أسلوب العقاب في تربية أولادها.

كما ويعتبر هؤلاء العلماء أن الظروف المجتمعية تلعب دوراً في التنشئة العدوانية.

وأشكال الاستجابة العدوانية لدى الطفل عديدة، فمنهم من يستجيب للعدوان المستمر عليهم بالطاعة، إنما ثبت أن أمثال هؤلاء يبدون خلاف

ما يبتنون فإذا ما أُتيحت لهم فرصة للتأثر فسوف يمارسون العدوان بتطرف ومغالاة، وفي أحيان أخرى يرتد العدوان على صاحبه ويثير فيه الرغبة بعقاب الذات مادياً أو معنوياً حيث لوحظ أن العدوانى غالباً ما يفكر بالانتحار .

وتلك هي حال الطفل الغاضب الذي يضرب رأسه بالحائط أو يشد شعره أو يلقي بنفسه على الأرض حين يعجز عن توجيه عدوانه نحو والديه. وفي كثير من الأحيان ينصب العدوان على كبش فداء سواء كان حيواناً أو إنساناً أو جماداً كما يحدث لدى الأب الغاضب من رئيسه والذي يصب جام غضبه على أولاده وكما يحدث لدى الطفل الغاضب الذي يضرب دميته أو يحطم الأثاث أو يكسر آنية الزهور مثلما يحدث لدى الموظف المضطهد من قبل رئيسه حيث يحاول وضع كافة العقبات والعراقيل أمام مراجعيه. وقد دلّ إحصاء أميركي على أن حوادث الاعتداء على الزوج في جنوب الولايات المتحدة الأميركية تزداد كلما هبطت أسعار القطن وكأن الزوج هم المسؤولون عما يحدث وكذلك كانت حالة بعض أسرى المعتقلات النازية إذ كانوا يقلدون حراسهم الظالمين في كلامهم ولباسهم ومعاملتهم الجافية العاتية للأسرى الجدد. وقد يتحول بعض الأطفال ممن ينزل بهم الكثير من العقاب إلى التبول على أنفسهم ويعتبر بعض المحللين هذا السلوك بمثابة التأثر لأنفسهم حيث يدركون أن تبولهم يضايق المحيطين بهم «يكونون عادة من يلحق الأذى بالطفل» وفي بعض الأحيان يعبر الأطفال عن ميولهم العدوانية بأن يصابوا بـ (الفوبيا) أي ما يحدث في حالة طفل يكره أخاه وتتنازع نفسه في أوقات كثيرة بالاعتداء عليه بسكين للتخلص منه مما يجعله كلما رأى سكيناً أو أداة مشابهة راودته فكرة القتل نفسها وهذا ما يفزعه بشدة ومن ثم يأخذه الخوف من السكاكين وأشباهاها.

### العدوانية لدى الطفل:

ماذا يفعل الطفل؟ إنه يحاول أن يؤمن حياته. كيف؟ إنه يؤمن حياته باستخدام غرائزه العدوانية... ماذا تفعل أسرته أمام ذلك؟ إنها تقني حياة

الطفل، وتوجهها وتخضعها للنظام. ولكن كيف؟ إنها تعرض نفسها على الطفل معتمدة على قوى عدوانية كذلك. ثمة إذن عدوان طفل يقابله عدوان «أسرة» مع تداخلات مستمرة بين هاتين القوتين. يتم كل شيء على أحسن حال إذا كنا في مواجهة طفل سوي في عائلة سوية وذات فهم، ويقاد الطفل وسيطرة واستبداداً، وإما بأن أدياً تساهلاً واستسلاماً سريعاً لمتطلبات الطفل العدوانية، فمن المؤكد أن استجابات الطفل ستكون غير سوية، مثلها مثل استجابات أبويه. لقد شدّد هوير (HEUYER) على استجابة المعارضة لدى الطفل، استجابة هي على الغالب نقطة انطلاق ضروب من النقص أو العصاب، كالهرب المؤقت والرياء والكره المكتوم والمعلن والتهديدات الخفية والمعلنة. ومن المؤكد أن «ضروب الكبت» هنا شديدة الخطر. ذلك أن الكبت يعيق كل تفرغ منقذ ويؤد مع مرور الزمن اضطرابات خطيرة جداً في الطبع.

ماذا يفعل الطفل عندئذ؟: يهرب الطفل إلى تصورات خيالية تقوم مقام التعويض بالنسبة إليه إذا كانت الأسرة تمثل خطراً بالنسبة إليه أو واقعاً صعب الاحتمال. حيث يكون للوالدين تأثير كبير على سلوك الأطفال العدوانية. ولا توجد ثقافة نعرفها لا يتدخل فيها الوالدان لكي يكبحا سلوك طفلها العدوانية. أو بمعنى آخر فإن الوالدين في جميع الثقافات يحاولان دائماً أن يدربا أطفالهما على ضبط سلوكهم العدوانية، أي ميلهم ورغبتهم التلقائية في إلحاق الضرر بالآخرين أو بممتلكاتهم. وهناك أشكال عديدة للتعبير عن هذه الرغبات العدوانية عند أطفال هذه المرحلة. فأطفال الثانية والثالثة مثلاً تكثر لديهم نوبات الغضب، حيث يدفعون الآخرين ويرفسونهم ويضربونهم بأيديهم أثناء هذه النوبات. أما الأطفال الأكبر سناً، أي في سن الرابعة والخامسة فإنهم يستخدمون العدوان البدني واللفظي معاً، دون وجود نوبات حادة من الغضب، كما كان الحال في الفترة السابقة. كذلك فإنهم يميلون إلى الحصول على لعب الآخرين وممتلكاتهم الأخرى.

وتختلف النظريات في تفسير الأسباب، أو العوامل التي تدفع إلى السلوك العدواني، فبعضها يؤكد على الدور الذي تلعبه العمليات البيولوجية والبعض الآخر يؤكد على الدور الذي يلعبه التعلم، كمصدر أساسي لنمو ذلك السلوك.

والواقع أننا لا نستطيع أن نغفل أثر أي من هذين المصدرين. فقد رأينا عند الكلام عن الغضب، أن ذلك الانفعال يبدو عاماً بالنسبة لجميع أفراد الإنسان، ويمكن ملاحظته حتى عند صغار المواليد. ومعنى ذلك أن هنالك أساساً بيولوجياً «غير مكتسب» للسلوك العدواني.

فالدفع والرفس باليدين والرجلين مما يصاحب ثورات الغضب عند المواليد، يمكن أن يكونا هما الأساس للعدوان البدني بعد ذلك. بمعنى أن هذه العناصر الحركية من مكونات الغضب، قد تنتظم بعد ذلك، من خلال الخبرات الاجتماعية، وتكون أفعالاً عدوانية مباشرة على الآخرين. أما متى وكيف يظهر ذلك السلوك العدواني؟ كردّ فعل لحالات الغضب أو كتعبير عنها، فذلك يرجع إلى التعلم، أو بمعنى أوضح إلى ظروف التنشئة الاجتماعية. وإذا تذكرنا أن الأسباب المباشرة للغضب هي مواقف الإحباط فإن النتيجة التي نخرج بها من ذلك كله هي أننا، لكي نفهم عدوان الأطفال في هذه المرحلة، لا بدّ من أن نأخذ في اعتبارنا مجموعتين من المتغيرات:

**المجموعة الأولى:** هي تلك التي تتصل بمواقف الإحباط التي يقع فيها الطفل.

**المجموعة الثانية:** هي ظروف التنشئة الاجتماعية، وخاصة ما يتصل فيها مباشرة بموقف العدوان وفيما يلي أثر هذه المتغيرات في نمو السلوك العدواني عند الطفل في هذه المرحلة.

### **أثر المتغيرات في نمو السلوك العدواني عند الطفل:**

سبق أن أشرنا إلى أن طفل هذه المرحلة يتعرض لمواقف إحباطية متعددة، هي المواقف التي تقوم فيها الحواجز بينه وبين إشباع دافع، أو

الحصول على هدف، أو تحقيق رغبة. وتختلف هذه المواقف باختلاف نوع الدافع المحيط به، من ناحية، ومصدر الإحباط من ناحية أخرى. فأحياناً يكون مصدر الإحباط خارجياً، وهذا هو الأغلب، كما يحدث عندما يمنع الوالد طفله من القيام بعمل ما. والواقع أن الوالدين في هذه المرحلة لا يكفان عن إلقاء الأوامر والنواهي التي تقيد حركة الطفل، أو تجبره على القيام بعمل معين لا يرغب في عمله، أو تمنعه من القيام بعمل آخر يرغب فيه وهكذا. على أنه في أحيان أخرى قد يكون مصدر الإحباط داخلياً، أي في شعور الطفل نفسه بعجزه عن تحقيق غرض معين. وهذا الشعور أيضاً يشيع عند أطفال هذه المرحلة. مثال ذلك: أن يكون الطفل راغباً في الاقتراب من حيوان مستأنس معين، قطة ذات فراء غزير مثلاً، ولكنه لا يملك الشجاعة الكافية لتحقيق هذه الرغبة. أما الدوافع المحيطة به، فإنها قد تتعدى مجرد الدوافع الأولية، كالدافع للحصول على الطعام، أو الدافع إلى القيام بالنشاط التلقائي الاستطلاعي أو غيرهما. ومن الدوافع المحيطة به ما يمكن أن يكون أكثر من ذلك تعقيداً: كالدافع على احترام الذات، والدافع إلى الشعور بالكفاءة وما إلى ذلك، مما يكون قد نما لدى الطفل أيضاً في هذه المرحلة. وقد سبق أن أشرنا إلى أن الطفل يكون في هذه المرحلة حساساً جداً نحو شعوره بالاستقلالية والكفاءة، بمعنى أنه يريد أن يشعر دائماً بأنه «يستطيع» وأنه «قادر»، أي أن شأنه كشأن الكبار في كل ما يقومون به. ولا تغيب هذه الحقيقة أحياناً عن ملاحظة الكبار من الأطفال. فهم إذا أرادوا أن يغيظوا طفلنا هذا لسبب أو لآخر، يكفي أن ينعتوه نعتاً تحقر من شأنه، أو يتصرفون نحوه بما يجرح تقديره لذاته، كأن يصفونه بالجبن، أو يعيرونه بعدم القدرة، أو يرفضون اشتراكه معهم في اللعب لأنه «صغير» أو غير ذلك، مما «يخدش كبريائه وكرامته» أي يهدد احترامه لذاته، وينال من شعوره بالكفاءة. وتظهر العلاقة بين الإحباط والعدوان عند الطفل في مواقف كثيرة، فأطفال الروضة مثلاً تكثر لديهم

الاستجابات العدوانية. «مثل الضرب والصياح والدفع والمعاكسة... الخ» عندما يكونون مكدرين في مكان ضيق للعب. ذلك أنهم في مثل هذا المكان يتعرضون بدرجة أكبر لعوامل الإحباط التي تتمثل في عدم سهولة الحركة، والتداخل فيما بينهم، والإعاقة لحركة بعضهم البعض وهكذا. كذلك قد يسلك الطفل بشكل عدواني واضح، إذا ما واجه موقفاً مشكلاً بالنسبة له، كلغز لا يستطيع حله مثلاً أو لعبة لا يستطيع أن يقوم بها. ويظهر ذلك خاصة على الأطفال الذين يتقبل منهم مثل هذا السلوك. وتتوقف درجة الشدة التي تظهر بها الاستجابة العدوانية كرد فعل على الإحباط، على عوامل عدة، يتصل بعضها بالموقف والبعض الآخر بالطفل ذاته. فإذا شعر الطفل بأنه (مهاجم) مثلاً، فإنه يرد بشدة. وإذا كان في حالة من عدم الاستقرار الانفعالي، أو يعاني من قلق أو كان مكظوم الغيظ، فإن رده على الإحباط قد يظهر في صورة أفعال عدوانية أشد نسبياً مما لو كان هادئاً، أو مستقراً من البداية. كذلك فإن الطفل الاتكالي قد لا يشعر بالإحباط إذا ما سيطر عليه طفل آخر في اللعب، في حين أن الطفل الأكثر استقلالية يتمرد بشدة، إذا ما حاول طفل آخر أن يسيطر عليه. وإلى جانب تلك العوامل الذاتية هناك عوامل الموقف نفسه كما سبق أن أشرنا، وربما كان أحسن مثال لذلك ما يحدث بين أفراد الأسرة من الإخوة والأخوات حيث يكون تكرار المواقف المثيرة للإحباط مدعاة لفقدان الصبر، والانفجار بالعدوان. فإذا فرضنا أن الأخت الصغرى أخذت تضايق أختها الأكبر، ثم صرخ هذا في وجهها لكي تكف عن ذلك فلم تكف، فإنه قد يصرخ بصوت أعلى في المرة الثانية، فإذا لم تكف أيضاً في هذه المرة فإنه قد يلجأ أخيراً إلى العدوان البدني عليها بأن يقوم بضربها وهكذا.

الخلاصة من هذا كله، هي أن العدوان استجابة تلقائية «طبيعية» لمواقف الإحباط. ولكن يبقى الآن السؤال التالي: لماذا ينشأ بعض الأطفال كالحمل الوديع في حين ينمو البعض الآخر كالنمر المفترس؟



هنا لا بدّ أن نستعين في تفسيرنا بالمجموعة الأخرى من المتغيرات التي سبقت الإشارة إليها، وهي ظروف التنشئة الاجتماعية. إن الأطفال في هذه المرحلة يتعلمون من خلال تفاعلهم مع الكبار المحيطين بهم، إما أن ينمو وإما أن يضبطوا السلوك العدواني التلقائي الذي يصدر عنهم من البداية. إن تأثير الوالدين في هذه الناحية له أهمية كبرى، كما سبقت الإشارة إليه في بداية هذه الفقرة.

### الظروف الأسرية والعدوان:

لقد سبق أن رأينا كيف أن الأطفال الذين شاهدوا النموذج العدواني، قاموا بتقليد الكثير من استجاباته العدوانية بدقة. فلا غرابة إذن إذا رأينا الطفل الذي يشاهد أباه يحطم كل شيء حوله عندما ينتابه الغضب، يقوم بتقليد هذا السلوك العدواني. ولقد ثبت بالفعل أن الأسرة التي يوجد بها أطفال مشكلون من الناحية العدوانية، يزداد فيها السلوك العدواني من ناحية جميع أفرادها، بدرجة أكبر بكثير من الأسر العادية «التي لا يوجد فيها أطفال مشكلون من الناحية العدوانية» بل أكثر من ذلك، فقد وجد أن هؤلاء الأطفال المشكلين لا يظهرون من الاستجابات العدوانية ما يزيد على ما يقوم به إخوتهم أو أخواتهم، ومع ذلك إن عاملاً هاماً من العوامل التي تساعد على تنمية السلوك العدواني عند الأطفال، هو عامل الملاحظة والتقليد. فالآباء والأنداد يمكن أن يكونوا نماذج عدوانية يحتذي بها الطفل. كذلك يمكن أن تؤدي النماذج المعروضة في التلفزيون إلى نفس النتيجة. وبالإضافة إلى مجرد المشاهدة أو الملاحظة لنماذج عدوانية، ينمو العدوان لدى الطفل أيضاً عن طريق التدعيم. إما تدعيم النموذج العدواني وإما تدعيم السلوك العدواني ذاته عند الطفل. ففي التجارب التي أشرنا إليها درس «باندورا» (Bandura Ross and Ross 1961) وزملاؤه تأثير النموذج العدواني بالإضافة إلى التدعيم. فعرضوا على أطفال في سن الروضة أفلاماً

كان فيها النموذج العدواني إما أن يعاقب وإما أن يكافأ على أفعاله العدوانية. فكان تأثير النسخة التي يكافأ فيها المعتدي واضحاً، حيث إن الأطفال الذين شاهدوه أظهروا استجابات عدوانية «تقليداً لهذا النموذج» أكثر بكثير مما أظهره الأطفال الذين شاهدوا النموذج الذي كان يعاقب على عدوانه. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الأطفال الذين شاهدوا النموذج يعاقب لم يختلف سلوكهم عن سلوك أولئك الذين لم يشاهدوا نماذج أبداً «أطفال المجموعة الضابطة».

كذلك فإن الأطفال الذين قلدوا النموذج العدواني فعلوا ذلك بالرغم من أنهم قِيموا سلوك ذلك النموذج تقييماً سلبياً، أي أدانوه على أفعاله. ومعنى ذلك أن التدعيم كان أقوى من القيم تأثيراً على السلوك الصادر من الأطفال وتؤكد الدراسات العلمية أيضاً على إمكانية اكتساب الطفل للسلوك العدواني أو الإقلاع عنه عن طريق عملية تدعيم فارق لهذا أو لذاك بشكل مباشر وتوضح الدراسة الآتية هذه الحقيقة:

كلفت مجموعة من مدرسات الروضة أن تتغاضى عن السلوك العدواني وأن تدعم السلوك التعاوني غير العدواني. وجرى ذلك على فترات لمدة أسبوعين، يفصل كل فترة منها عن الأخرى ثلاثة أسابيع وقد لوحظ أن كلاً من العدوان البدني واللفظي قلَّ بشكل ملحوظ خلال الأسبوع الثاني من كل فترة من فترات التجربة ولعله من السهل علينا أن نلاحظ كيف يلعب التدعيم نفس هذا الدور الإيجابي في الوسط المنزلي والمدارس وغيرهما من المواقف غير العملية. فالوالد الذي يرضخ لطفله عندما تنتابه نوبة من نوبات الغضب، إنما هو في الواقع يدعم سلوك الغضب حيث يشجع ذلك الطفل على اللجوء إلى هذا الأسلوب للحصول على حاجاته ولتحقيق رغباته. وهناك من الآباء من يدعم السلوك العدواني صراحة عندما يرضى عن هذا السلوك أو ينصح به «اللي

يضررك اضربه» كذلك فإن المدرس الذي يظل يؤنب التلميذ الذي يتكرر منه سلوك العدوان قد يكون مشبعاً بذلك حاجة لدى ذلك التلميذ إلى جذب الانتباه. والطفل الذي يسلم لزميله العدوانى يدعم السلوك العدوانى لدى ذلك الأخير. وهكذا يلعب التدعيم دوراً إيجابياً في تنمية السلوك العدوانى في كل هذه المواقف وتؤكد ذلك الأبحاث والملاحظات التي أجريت على مثل هذه الحالات، ومن هذه الأبحاث دراسة قام بها (باترسون) وآخرون على أطفال الروضة. قام الباحثون في هذه الدراسة بملاحظة تسجيل التفاعل الذي يتم بين أطفال في سن الثالثة وسن الرابعة على مدى ستة وعشرين أسبوعاً. وكان ما يعنيه في هذا التفاعل هو: السلوك العدوانى، ورد فعل الضحية وتصرف المدرس وكان الفرض الذي وضعه الباحثون هو أن رد الفعل من ناحية التضحية سوف يكون له تأثير واضح على سلوك المعتدي فيما بعد. «فإذا رضخ الضحية لرغبة المعتدي، أو دعم بشكل أو بآخر الفعل العدوانى، فإن من المتوقع أن يتكرر عدوان المعتدي على هذا الطفل في مناسبات لاحقة. أما إذا رد الضحية العدوان أو تدخل المدرس فإن من المتوقع أن تكف الاستجابة العدوانية مؤقتاً، ثم توجه إلى طفل آخر». وقد أثبتت الدراسة صحة هذه الفروض. ومن الملاحظات التي تؤيد ذلك أيضاً أنه حيث يشجع العدوان كوسيلة لحل المشكلات بالنسبة للأطفال «كما يحدث ذلك في الفئات الأقل حظاً من الناحية الاقتصادية الاجتماعية» نجد أن الانحراف - إذا وجد فإنه - يتخذ صورة العدوان على المجتمع بنسبة أكبر، وذلك بعكس ما هو عليه الحال بالنسبة للفئات متوسطة المستوى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، حيث يشتد تحريم العدوان كأسلوب لحل المشكلات، وحيث تقل في نفس الوقت نسبة الانحراف في هذه الصورة العدوانية. فمن المعروف أن نسبة جنوح الأحداث في الطبقات الدنيا أكبر منها في الطبقات المتوسطة. ومن المعروف أيضاً أن ذلك يتمشى مع اختلاف المعايير والقيم وأساليب

التنشئة المتعلقة بالعدوان في كل من الطبقتين، ومن الملاحظات التي تؤيد أهمية التدعيم في نمو السلوك العدواني عند الأطفال أيضاً، الفروق بين الجنسين في هذا السلوك. وقد يرد هذا الفرق إلى عوامل بيولوجية، ولكن الدراسات الأنثروبولوجية، وكذلك الدراسات غير الثقافية، قد قللت كثيراً من أهمية تلك العوامل، وأبرزت بشكل واضح الدور الذي تلعبه الثقافة في هذه الفروق. فمن الواضح أن التوقعات في الثقافة التي نعيش فيها تجعل من «الخشونة» صفة أساسية من صفات الذكورة. ومن النعومة صفة أساسية من صفات الأنوثة.

وعلى ذلك فلا يتوقع من البنت أن تقوم بالعدوان البدني على الأطفال الذكور في حين أنه إذا جاء الولد يبكي لأن رفيقته قى اللعب ضربته، فإنه قد يوصم بما يشينه، ويثير لديه الخجل بدرجة كبيرة، مثل هذه التوقعات هي التي تدعم هذه الفروق بين الجنسين من حيث السلوك العدواني. إلى جانب التدعيم، هناك ممارسات أخرى في عملية التنشئة الاجتماعية قد تساعد أيضاً على نمو السلوك العدواني عند الطفل. فالأطفال الذين لا يتلقون إلا القليل من الحب والاهتمام، والذين دائماً ما ينتقدون ويعنفون، هؤلاء الأطفال يكونوا أكثر ميلاً إلى العدوان في علاقاتهم بغيرهم. بل أكثر من ذلك، فإن هناك من الأدلة ما يبرهن على أن عقاب الوالدين للعدوان لا يؤدي إلى اقتلعه أو التقليل منه، إذ يبدو أن الوالد الذي يستخدم العقاب البدني إنما يجعل من نفسه قدوة، أو نموذجاً عدوانياً يقلده الطفل. ولقد اتضح من لعب الأطفال بالدمى وغير ذلك من أنواع اللعب الإيهامي في أن هناك ارتباطاً بين العقاب الشديد من ناحية، ووجود درجة عالية من الاستجابات العدوانية عند الطفل أثناء تلك الألعاب من ناحية أخرى. ولكن إذا كان العقاب البدني لا ينجح في كف العدوان عند الطفل «إلا لفترة قصيرة إذا نجح» بل بالعكس قد يؤدي إلى تشجيع ذلك السلوك بشكل واضح، فكيف إذن يوقف عدوان الأطفال؟

يتم ذلك بتعزيز احترام الذات: الفشل جزء لا يتجزأ من الخبرات التي يواجهها الطفل في البيت والمدرسة والشارع. ولذلك لا بد من تعليم الطفل كيف يتعامل مع التجربة الفاشلة دون أن تترك تلك التجربة أثراً ضاراً في نفسه ودون أن تدمر احترامه لنفسه.

ويقول علماء التربية إن الطفل الذي يعاني من انخفاض في درجة احترامه لنفسه لا يستطيع التعامل مع الفشل ولا يستطيع تشكيل صداقات مع غيره من الأطفال. ويترتب على ذلك ظهور مظاهر العدوانية أو الانسحاب على سلوكه. فيتخلف في تحصيله المدرسي ويكتسب صورة سلبية عن نفسه، ولذلك فالمرحلة التي تسبق المرحلة المدرسية الأولى هي على جانب كبير من الأهمية. والطفل ذو الشخصية الهشة بشكل خاص بحاجة إلى توجيه كاف في اكتساب مهارات الاتصال مع الآخرين والتفاوض معهم. وهو بحاجة إلى أن يبدأ بداية يحقق فيها إحساساً بأنه ناجح ومقبول ومحبوب وليس من الصعب تعرف الطفل الذي يشعر بأنه قليل القيمة. فهو بحاجة دائمة إلى طمأنته بأنه محبوب وبأنه يقوم بواجبه على الوجه الأكمل. فتراه يأخذ دفتره إلى المعلم عدة مرات في الحصة الدراسية لمحاولة التأكد من أن المعلم يستحسن ما يقوم به من عمل. وتراه كثير التردد فلا يقدم على عمل إلا إذا شعر بأنه أخذ الضوء الأخضر من أهله ورفاقه. والطفل بحاجة إلى مَثَلٍ أعلى يسعى إلى تحقيقه بشرط أن يكون هذا المَثَلُ الأعلى هدفاً ذا قيمة وممكن التحقيق. فالطفل إذا أخفق في التوصل إلى الهدف فإنه يشعر بالإحباط والتعاسة. وهذا شيء طبيعي إذا بقي هذا الشعور في الحدود المعقولة. أما الطفل ذو الشخصية الهشة فإنه يغالي في هذا الشعور إلى درجة الغضب والاكْتئاب أو الانسحاب والانعزال. وهو يشعر بأنه فقد قيمته كإنسان لعجزه عن تحقيق الهدف. ومن أجل تجنب هذا الإحساس الأليم بالفشل لا بدّ أن نحدد الأهداف التي نضعها

لأطفالنا تحديداً واعياً وذكياً. هل نشجع الطفل على أن يطور مواهبه العلمية أو الفنية أو الرياضية؟

أو نريده أن يتوجه إلى الجانب العملي في الحياة فيغدو عاملاً في مصنع أو فلاحاً في حقل؟ ويجب أن نبحث بعد ذلك لنعرف إن كانت هذه الأهداف قابلة للتحقيق. فالهدف المعقول لطفل من الأطفال قد لا يكون معقولاً ولا قابلاً للتحقيق لطفل آخر.

### أشكال العدوانية عند الطفل:

وتشمل:

١- الضرب: غالباً ما يلجأ الطفل العدواني إلى ضرب ضحيته ولغمه مما يترك آثاراً واضحة للعيان. فآثار الضرب والعض تقف دليلاً واضحاً على أن الطفل الضحية تعرض للاعتداء عليه. ولكن يجب أن نذكر أيضاً أن الطفل قد يتعرض لكثير من الضرب دون أن يترك ذلك أثراً في جسمه. ويكتسب الطفل المعتدي شعوراً ممتعاً بالتفوق والقوة والسيطرة. وقد تدفع الحاجة إلى هذا الشعور بالطفل العدواني إلى ارتكاب حماقات تقترب أحياناً من حد الجريمة.

٢- الشتم: قد يسبب الشتم ضرراً كبيراً في عملية النمو النفسي عند الطفل الضحية لأن الأطفال الصغار في مرحلة من أعمارهم يشكلون فيها هويتهم الخاصة. ولذلك فهم أكثر تحسناً للكلمات الجارحة التي يمكن أن تنال من احترامهم لأنفسهم وثقتهم بإمكاناتهم. وهم بحاجة ماسة إلى كل الدعم والتشجيع الذي يمكن أن يحصلوا عليه. والطفل بلا شك ليس بحاجة إلى الانتقاد اللاذع ولا إلى التعليقات الجارحة. وهو قد يشعر بالقلق على مظهره وملبسه وعلى وضعه الصحي وقوته البدنية وقدرته على اللعب وعلى الإنجاز على الصعيد المدرسي. ولهذه الأسباب يترك الشتم والتعليقات الجارحة أثراً قد لا يمحي في النسيج النفسي للطفل.

٣- التعليقات التي تأخذ الطابع العنصري: وهذه التعليقات لا تتال من الخصائص الفردية للطفل الضحية فقط ولكنها تتال من الخصائص الأخرى التي تشكل شخصيته واحترامه لذاته: أسرته وثقافته وبيته وأصله. ويسخر الطفل العدوانى من هذه الخصائص جميعاً. وهو يهدف إلى جعل الطفل الضحية يشعر بالخجل منها.

٤- الإيماءات والإرشادات: وقد يلجأ الطفل العدوانى إلى استعمال أصابعه أو رأسه أو عينه في إيماءات وإرشادات تلحق الأذى النفسى بطفل آخر فيشعره بالدونية أو بالعجز أو بالخطر. ولا جدال في أن هذا النمط من التهديد الذي يمارسه الأطفال العدوانيون في الصف عندما يكون المعلم ملتفتاً إلى السبورة يسبب الحرج والإحباط للأطفال الضحية.

٥- الابتزاز: قد يلجأ الطفل العدوانى إلى الاستيلاء على الممتلكات الخاصة للطفل الضحية من أقلام وكتب وآلات حاسبة، ثم يهدد الطفل الضحية بأنه إذا أبلغ المعلم أو أبويه فإنه سيكون عرضة للضرب أو الشتم.

٦- حصار الطفل الضحية أو عزله: وهذا يلحق أذىً كبيراً بالطفل الضحية فالأطفال لا يذهبون إلى المدرسة ليتعلموا الكتابة والحساب. فحسب ولكنهم يذهبون إلى المدرسة أيضاً لاكتساب الشعور بأنهم أفراد في جماعة. ولذلك فإن تشكيل صداقات والحصول على تشجيع من الأصدقاء عنصران أساسيان من عناصر النمو النفسى للطفل. يترتب على ذلك أنه إذا شعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه بين زملائه في المدرسة وبأن زملاءه يتحاشون اللعب والحديث معه فإنه قد يصاب بصدمة نفسية تفقده إحساسه بأهميته وثقته بنفسه وتدفعه إلى الانطواء على ذاته ليجتز ألم الشك في إمكاناته. والطفل العدوانى يدرك مدى الضرر الذي يمكنه أن يلحقه بالطفل الضحية عن طريق عزله عن الجماعة. ولذلك فهو لا يألوا جهداً في نشر الشائعات الكاذبة عن الطفل

الضحية وفي إطلاق التعليقات المهينة عليه فينفر التلاميذ الآخرون منه. هذا ونخلص إلى القول بأن الطفل العدوانى فى البيت والمدرسة... يضرب، ويشتم، ويبتز، لكنه يخفى وراء ذلك طفلاً هشاً، طفلاً مشكلة، حيث يظهر جميع الأطفال قدراً من النزعة العدوانية، ولكن ليس جميع الأطفال عدوانيين. ويمتاز الطفل العدوانى برغبة واضحة بإيذاء الآخرين كما يجد المتعة فى إيذائهم، وهو يجد فى ممارسة العدوانية تعزيزاً لإحساسه بالثقة وتحقيق الذات وممارسة القوة مقابل الضعف على الأطفال الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم فينزل بهم كل ما يستطيع من ضروب العدوان البدنى واللفظى. والطفل العدوانى طفل كبير الحجم وقوى البنية يثير وجوده الرعب فى قلوب الأطفال الآخرين. ولكن من الواضح بأنه ليس كل طفل كبير الحجم وقوى البنية طفلاً عدوانياً. أما النظريات البيولوجية حول العدوان فتركز على وجود عوامل بيولوجية كالعوامل الوراثية أو القول بأن العدوانيين يعانون ضرباً من ضروب التدمير الدماغى أو من عجز ما ولهذه النظريات جذور تعود إلى الطبيب الإيطنالى الشهير «سيزار لامبروز» الذى أرجع الإجرام إلى عامل الوراثة بشكل أساسى حيث حدد عدداً من الصفات الجسدية فى المجرم منها العينان الكبيرتان وعدم انتظام شكل الرأس وكبر الأذنين. وهناك نظريات ترجع الإجرام إلى زيادة معدلات الهرمونات الذكرية. ولكن فى دراسات أخرى لم يجد الباحثون فروقاً فى الموجات الدماغية أو نشاط المخ الكهربائى بين المجرمين وغير المجرمين لهذا يجرى الآن الاهتمام بالعوامل كلها مجتمعاً سواء نفسية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية، ويرجع العدوان إلى شعور الطفل بالإحباط والفشل فى تحقيق إشباع حاجاته... كما يشير هذا المصطلح إلى أى سلوك ناتج عن الإحباط، هذا من وجهة نظر عالم النفس «أدلر» أما «فرويد» فيعبر عن العدوان بأنه أى سلوك واع شعورى ناتج عن



غريزة الموت التي افترض «فرويد» وجودها، وهي المسؤولة عن سلوك العدوان والحرب والتدمير، ويشير «آدلر» إلى العدوان على أنه تعبير عن إرادة القوة بحيث لا تشير إلى نزعة العدوان بصورة صريحة مباشرة في الطفل، وإنما تشير إلى تقمصه شخصية الطفل العدوانية وإعجابه «أحب التلميذ الذي يخاف منه الجميع»... وتكمن أهمية التربية في التعبير عن العدوانية، في كون العدوانية موقفاً من الشخص تجاه حدث ما، إلا أن هذا الموقف يستطيع أن يتخذ مظاهر كثيرة في مستوى التصرفات والآراء، ويجب أن نعلم أن العدوانية تشتد حدتها لدى الفرد، كنتيجة ثانوية لانعدام الحب وللقبوض المفروضة بقسوة مفرطة وأن عالم النفس المعروف «ألفريد آدلر» يرى أن القبوض الكثيرة في مجتمعاتنا الحديثة تظلم الطفل أكثر من أي وقت مضى وتضعه في حالة نقص. ويسعى الطفل الشديد التعقيد وراء التعويض عن نقصه، إما بلجوئه إلى عالم خيالي، وإما بتأكيد شخصيته بالسيطرة وإرادة القوة وإما أيضاً بقيامه بتصرفات مُنحطّة، كأن يلجأ إلى الضرب والمعاكسات أو الميول السمجة والمُسْتَحْكِمَة... إن التربية المعتمدة على التفهم والمناقشة أكثر من اعتمادها على القمع والزجر، يمكن لها أن تضبط العدوانية والسلوك العدواني، دون أن يزيد ذلك من حدتها، وبهذا الصدد يلاحظ - لحسن الحظ - أنّ المرين يزدادون احتراماً لحرية الطفل، كما تزداد لديهم الرغبة في أن يعبر عن ذاته، بكل ما في تلقائيته من طاقة، إن هذا الفن التربوي الجديد يعطي أهمية كبرى للعب، كأداة تربية فمن فوائد اللعب أنه يستخدم العدوانية، التي لا تجد وسيلة للتعبير عن ذاتها سواه، لكن اللعب هو أكثر من ذلك، إنه لغة تتيح للطفل تأكيد شخصيته، بمحاكاته بعض النماذج الساحرة وتحديد علاقته بالعالم، باستعادته أحداثاً وقفت، إلا أن الحرية في التربية لا تعني الانفلات، لا شك أن قمع كل عدوانية ينمي شعوراً

بالحرمان، ولكن نفاقم العدوانية من شأنه أن يحدث نتائج ليست دون أذى، إن العدوانية، شأنها في ذلك شأن الشر المطلق، ليست فضيلةً أنّ الغريزة تقع خارج نطاق المقولات الأخلاقية، إن علماً تربوياً يبدي مزيداً من الحرص على قيم الحرية، يقتضي من المربين حضوراً يفوق ما كانت تقتضيه الطرائق الاستبدادية التقليدية، إن الحرية لا تنفي السلطة، بل العكس هو الصحيح، ثم إن الطفل يحتاج إلى سلطة وإلى ما يرافقها من عواقب كي يتوفر له الشعور بالاطمئنان، فليس في مقدور الطفل - وهو يفوق الراشد في ذلك - أن يستغني عن بعض المرتكزات وعن يقينيات مطلقة وفي ذلك يقول المربي الفرنسي «شارل بودوران»: لا يجوز التماذي في الطعن بالسدود، فهي ضرورية أحياناً لتحويل طاقة الغرائز، كضرورتها لتحويل طاقة السيول، ولكن ينبغي فقط ألا ننسى أن وظيفة السد ليست في رفع الحاجز، بل في التحويل، كما ينبغي ألا يأتي تصميمه بحيث يحتفظ بالطاقة إلى الأبد، بدلاً من أن يعيدها إلينا مشحونة بقوة أعظم».

## سيكولوجية التنشئة الاجتماعية

### وظاهرة الغيرة بين الأخوة في منظور علم النفس

عندما لم يعد الطفل رقم «١» في الأسرة ...

«تعريفها - أعراضها - سببها - طرق معالجتها»

تؤدي الغيرة إلى كثير من المشكلات والمواقف التي يعاني منها الأطفال، وهذه المواقف قد تتعدد صورها وتتنوع، مما يصعب معه إدراك أنها ترجع إلى عامل واحد، ومن مظاهر هذه المواقف والمشكلات النزعات العدوانية نحو الغير، كالضرب والسب والمضايقة والتشهير والنقد والرغبة في تخريب أو إتلاف الممتلكات، ومن مظاهرها كذلك الانطواء والانزواء والصمت والتهجم والامتناع عن تناول الأطعمة وفقد الشهية، وقد تكون الغيرة وراء الخلل الذي يصيب بعض الأعضاء في تأديتها لوظائفها كالتبول اللاإرادي والقيء وفقد الوزن.

وهذا التعدد أو التباين الكبير في صور السلوك يجعل من الصعب التعرف على العامل النفسي الذي يكمن خلفها، ويحرص الطفل على تجهيل أو إنكار المظاهر التي تدل على هذه النزعات أو التصرفات، وقد يجهلها فعلاً وخصوصاً إذا تمثلت في بعض المظاهر الجسدية، أي إذا ظهرت في صورة خلل أو أوجاع فسيولوجية، وهي أمور قد تلاقي صعوبة في فهمها حتى عند بعض المتخصصين.

والإحساس بالغيرة شعور يحز في نفس الطفل، فهو إحساس بعجزه عن الوصول إلى غاية يجدها متوافرة لدى الآخرين، أو يجد نفسه أهلاً لها وهذا الإحساس المتعب يتولد عن أمرين، الرغبة في التملك أو الاستحواذ، والشعور

بالنقص للعجز عن تحقيق الرغبة، ويتضاعف هذا الإحساس المرضي لعجز الطفل عن معرفة أو فهم حقيقة العامل أو العوامل التي تجعل الآخر يحصل على الرغبة التي ينشدها هو، وكثيراً ما يرجع الطفل السبب إلى الصدفة أو المجاملة أو حسن الطالع أو لأي سبب لا يرجع إلى الآخر أو ليس له دخل فيه.

والغيرة انفعال شديد التعقيد، فهي عادة وليدة الرغبة الحادة في التملك مع الشعور بالنقص والغضب، وكثيراً ما يقترن ذلك بالكسل والعزوف عن بذل الجهد، ويتجاهل الطفل أو لا يعرف الأسباب والجهود الحقيقية التي بذلها الآخر أو الظروف الخاصة التي تتوافر له والتي تتيح له تحقيق هذه الرغبة، وقد يكفي توافر العوامل النفسية الثلاثة لنشوء الغيرة والرغبة في التملك أو الاستحواذ، والشعور بالنقص، والشعور بالغضب، وقد يتطلب لقيامها توافر مشاعر أخرى.

ويؤكد بعض علماء النفس المهتمين بالعوامل المؤثرة في السلوك الإنساني مثل «أدلر» أن الرغبة في التفوق التي تعوض الإحساس بالنقص هي المسؤول الأول عن الانحراف، وإذا طبقنا هذا القول بالنسبة للأطفال، فليس بالمقدور تجاهل أثر اجتماع هذه العوامل الثلاثة على الإحساس بأثر الغيرة عليهم.

ومع ذلك، فالمشاهد أن هناك أطفالاً يرغبون في تحقيق أمور كثيرة ولكنهم يعجزون عن بلوغها، فلا يشغلهم ذلك كثيراً، ولا تعمل الغيرة أثرها السيئ فيهم إذ يرون في ظروفهم ما يعوضهم عن هذا النقص.

وهكذا فإن الغيرة - شأنها في ذلك شأن مختلف المشاعر النفسية - يصعب إسنادها لعامل معين، فقد يخفف من أثر هذه المشاعر حتى يجعلها تتلاشى توافر عوامل أخرى، مثل التربية الأسرية السوية أو التفوق الدراسي أو الحب المتبادل بين الطفل ومدرسيه.

الغيرة عند الأطفال تظهر في حالات مثل ميلاد أخ أو أخت للطفل الصغير، وفي مثل هذه الحالة يرتد الطفل إلى حالة طفولية، أو يعود إلى عادات

الطفولة المبكرة التي قد يكون قد هجرها منذ وقت بعيد ومن أمثلة ذلك التبول اللاإرادي أو يطلب أن تطعمه أمه أو تلبسه. وقد تظهر الغيرة المكبوتة في شكل إنزال العقاب أو الزجر أو التعنيف بلعبه أو في منفذ آخر وفي الغالب ما لا تظهر الغيرة وحدها حيث يصاحبها كثير من الانفعالات الأخرى مثل الغضب أو الثورة. ومعظم الدراسات التي أجريت على موضوع الغيرة توضح أسباب الغيرة وأثرها على سلوك الطفل، ولكنها لا توضح كيف ينمو الشعور بالغيرة في الطفل. ولقد وجد أن الأطفال الكبار في الأسرة يميلون إلى الغيرة أكثر من غيرهم من الأطفال كما أنهم يميلون إلى ارتكاب الجرائم والمخالفات. ويرجع ذلك إلى أن الآباء لم يكونوا قد اكتسبوا الخبرة الكافية في تربية طفلهم الأول، ولذلك يكون خاضعاً لكثير من التجارب والمحاولة والخطأ.

من خلال هذا البحث نشرح تعريف الغيرة وأسبابها وطرق علاجها...

### تعريف الغيرة:

تعرف الغيرة بأنها شعور يتكون من الخوف والغضب والشعور بالتهديد في حياة الطفل أو عندما يجد الطفل تحدياً لارتباطاته العاطفية وقد تظهر هذه الغيرة في شكل عدوان على الأخ أو الأخت وقد يعبر عنها في شكل ارتداد على الذات فيؤدي الطفل نفسه. ويجب ألا يخلط الآباء بين المنافسة التي لا ينبغي أن ترعجهم وبين الغيرة لأن المنافسة الإيجابية تدفع الطفل إلى النجاح وبذل الجهد.

إن الغيرة تجربة انفعالية تكاد تكون عامة بين جميع الأطفال وتختلف عن الحسد لأن الحاسد يحسد شخصاً آخر على شيء يمتلكه هذا الشخص ولا يملكه هو، أما الغيور فإنه يغير لأنه يمتلك شيئاً ما ويخشى أن يأخذه غيره والطفل الكبير عندما ترزق أسرته بمولود جديد لا يرغب أن يشاركه فيما يتمتع به من مزايا وقد يعبر عن غيرته هذه بالعدوان الجسمي عليه أو بإهماله أو بعدم الاعتراف بوجوده وقد يعبر عن غيرته في شكل بوال أو بمص الأصابع أو رفض تناول الطعام أو الشقاوة...

## ردود الأفعال ومواجهتها:

تختلط ردات فعل الأطفال تجاه المولود الجديد ويغلب على الطفل الشعور بالغضب وتتتابه الغيرة رغم أنه يمكن أن يظهر أحياناً مشاعر من الحب والشغف نحوه. والمهم هنا استمرار التأكيد له أنه ما زال المفضل وأن له مكانة خاصة، فإذا شعر الطفل بأنه ذو قيمة ومحط الاهتمام والحب فإنه بدوره يصبح قادراً على حب المولود الجديد وتقبله. مع ذلك قد يتغير سلوك الطفل ويصر على إثارة المشاكل وتتبدى المظاهر التي سبق ذكرها. لا عجب أن يصبح الطفل منطوياً وغير مستقر فالأمور تبدلت بالنسبة له، ولن تعود إلى سابق عهدها. ولا بدّ هنا من إغراق الطفل بالحب والعاطفة والتأكيد على دوره ومكانته وانتهاج الروتين السابق في التعامل معه، وينصح أن يتدخل الآباء والأجداد ويحاولوا إفهام الطفل وتعويضه عن بعض الحب والحنان الذي يمكن أن يكون بحاجة إليهما.

وليس بعيداً أن يتراجع الطفل عن الذهاب إلى الحمام مثلاً ويرغب بالعودة إلى الحفاضات وقد لا يحافظ على نظافته الشخصية أحياناً. لا حاجة للقلق في مثل هذه الأحوال ولا بدّ من مضاعفة الاهتمام وتقديم المكافأة وإطراء الطفل عندما يسلك سلوكاً صحيحاً وقد يعود الطفل أيضاً إلى طلب الرضاعة أو يبدي رغبة في أن يُحمل وأن يعامل معاملة المولود وكثيراً ما يجهد الطفل بالبكاء قائلاً «ما زلت صغيراً» ولا بدّ بالطبع من فهم ذلك في مثل هذه الظروف ويفضل تقبل تصرفاته وعدم تأنيبه بل معانقته والتأكيد له بأنه الطفل الأول ومكانته لم تتبدل...

### «فالكل يمكن أن يكون طفلاً أحياناً حتى الكبار»

كما يلجأ الطفل إلى المشاغبة والقيام بالأعمال التي تلفت الانتباه وقد يمشي أثناء نومه أو يُحدّث نفسه، وكل ذلك بهدف التأكيد مما إذا كان الأهل ما زالوا على حبهام له. وهنا لا بدّ من حضنه وضّمّه وجعله يحس بالحب والحنان وتجنب سلوك الغضب منه وعدم التفهم لأنه لا ينفذ في هذه الحالات. والأخطر من ذلك أن الطفل قد يسعى إلى إيقاع الأذى بالمولود

الجديد متظاهراً بحبه وذلك كأن يربت عليه بقوة أو أن يهز السرير قاذفاً به على الأرض... في هذه الحالة يجب إفهام الطفل أن الأذى ممنوع ولا يسمح به، لكن مع مراعاة شعور الغضب والتهديد الذي قد ينتابه. والأفضل التحدث إليه واستخدام بعض الجمل البسيطة مثل «أنت منزعج من أخيك...؟» أو «هل أنت قلق أن يأخذ ألعابك؟»

وعندما يوقن الطفل بأن الأهل جادون في رفع معاناته ووقف آلامه فإنه يشعر بأنه لا حاجة للقيام بتلك الحركات ويتوقف عن الشقاوة.

### أعراض الغيرة:

إن أعراض الغيرة تتبدل وتتغير وفقاً للسن والوقت الذي يولد فيه الأخ الأصغر، ومن مظاهرها عند الولد الأكبر إبداء رغبته في مداعبة أخيه وحمايته ولكن تراه لا يلبث أن يعمد إلى غرس أصابعه في عينيه أو أذنيه أو يردد كلمات تبرز فيها مشاعر الغيرة مثل «هذا الولد قبيح» وتبدو أعراض الغيرة بشكل أكبر عندما يبدأ الأخ الأصغر بالمشي. ذلك لأن هذه المرحلة تقدم الدلالة للولد أن أخاه قد أصبح منافساً حقيقياً، عندئذ تتبثق عدوانية الولد الأكبر تجاه أخيه الصغير فيحاول منعه من لمس كل شيء يخصه.

إن التنافس بين الإخوة أمر مألوف وهو ليس عيباً ولكنه معاناة، وعلى الآباء تفهم ذلك وإدراك تجسيدات المتغيرة عند الابن الأكبر إذا كان صغيراً أي بعمر السنتين أو الثلاث سنوات، حيث سيبيدي بعض الظواهر مثلاً عند تناول الغداء سيطلب إطعامه بعد أن يكون قد تعلم الأكل بمفرده، وسيشعر بالتبول في سريره بعد أن يكون قد تجاوز هذه المرحلة منذ وقت مضى، وستظهر عليه صعوبات النوم، والإغفاء نتيجة قلقه وستبدو عليه كل ملامح الرغبة في أن يتمتع بكل امتيازات الأخ الصغير والمزايا الممنوحة له وأن يظل المحيط منشغلاً به أكثر.

إن هذه الأعراض التي تبدو على الطفل الأكبر وكذلك الصعوبات التي يواجهها يجب أن تعالج بطريقة تربية صحيحة من الأهل.

## عدم الثقة بالنفس:

في دراسة جرت أخيراً حول الغيرة بين الإخوة والأخوات في مراحل مختلفة بعد قدوم المولود الجديد مباشرة وبعد ثلاث سنوات على ذلك ثم بعد ثلاث سنوات لاحقة، لاحظَ الدارسون ما يلي:

- الأطفال الذين يبدون اهتماماً إيجابياً بالمولود منذ البداية أكثر ميلاً للتعايش معه فيما بعد بشكل جيد. أما العلاقة السيئة منذ البداية فتبقى سيئة.
- فروق الأعمار التي تتراوح بين «١-٥» سنوات ليس لها أي أثر على علاقات المولود.
- في سن ما قبل الخامسة يميل الأطفال من جنس مختلف إلى الاقتتال أكثر من الأطفال ذوي الجنس الواحد.
- الأطفال الذين يفقدون الثقة بالنفس تظهر عليهم علامات الغيرة أكثر من الأطفال الواثقين بأنفسهم.
- كلما كان الطفل مقرباً من والديه، زادت عنده مظاهر الغيرة وزاد امتعاضه واستياؤه من المولود الجديد. وهذا يظهر عند الأطفال الإناث أكثر من الذكور.
- إن الغيرة جزء من النمو، وما الخلاف الذي يتبادله الأطفال مع أبناء جيلهم إلا نوع من التهيئة والتحصير للانخراط بشكل أشمل مع العالم خارج الأسرة. هذا هو الجانب الإيجابي للغيرة. أما الجانب السلبي فيظهر عندما يبدي الآباء ميلاً ومحاباة تجاه أحد الأطفال دون آخر. ومن جانب آخر، يجب ألا يسمح لأحد الأطفال بالسيطرة على الآخر أو ممارسة الفوقية عليه لأن الطفل المسيطر عليه يفقد في هذه الحالة القدرة على تطوير شخصيته وتميمتها، بينما تغزو الطفل المستبد أفكار القوة والسطوة الزائفة مما يضره.

لذا، لا بدّ من تشجيع الأطفال الضعفاء على الاعتماد على ذاتهم وتعزيز وغرس الثقة في نفوسهم. ويبقى القلق وتحمل التعب من تعدد الأطفال ورغم مشاكلهم وعلاّتهم أفضل بكثير من طفل واحد فقط في الأسرة، لأن ذلك قد



يؤدي إلى الكثير من المشاكل كما نعلم من تجربة الصين، فهؤلاء الأطفال الوحيدون لا بدّ من إرسالهم إلى مخيمات خاصة ليتعلموا كيفية التعامل بعضهم مع البعض، وكيفية الاستعداد للانخراط في الحياة... فغياب الإخوة والأخوات يقود إلى نمو بعض الصفات السلبية لدى الطفل مثل: الكسل، الجشع، سوء المزاج والعصبية، فقدان الروح الاجتماعية والشذوذ لذا فإن الغيرة وبرغم مساوئها أهون من أي من هذه الصفات، ويمكننا مساعدة الطفل على تجنبها إذا كان عمره مناسباً بتشجيعه على التعبير عن مشاعره تجاه المولود الجديد، وطمأنته بأن الغيرة تغزو قلب كل شخص قي بعض الأحيان حتى نحن الكبار.

### أيهما أكثر غيرة البنات أم البنين:

أظهرت إحدى دراسات التربية وعلم النفس أن قمة الشعور بالغيرة فيما بين «٣-٤» سنوات وقد بينت تلك الدراسات أن نسبة الغيرة في البنات أكثر منها في البنين، كذلك فإنها عند الأذكىاء أكثر منها عند قليلي الذكاء وكذلك أسفرت تلك الدراسة من أن الغيرة تكون بنسبة أكبر بين الأطفال حيث لا يوجد فارق كبير في السن أي أنها توجد بين الأطفال المتقاربين في السن وهذا واضح لأن الشاب الكبير أكثر غيرة من الأطفال الذين يأتون بعده لأنه في يوم ما كان يمثل مركز الاهتمام في الأسرة وكان محط أنظار الجميع وأصبح يشارك في ذلك غيره ممن ترزق الأسرة بهم من الأطفال.

### سلبيات الغيرة:

يرى الدكتور عبد الرحمن العيسوي، أستاذ ورئيس قسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية في كتاب «مشكلات الطفولة والمراهقة» أن الغيرة تسبب مجموعة من السلوك كالاتي:

- ١ - الغيرة تسبب وجود صراعات خفية في الحياة النفسية للفرد وعلاقته بالآخرين.
- ٢ - الشخص الذي يغير من الآخرين ينال دائماً سخطهم وعدم رضائهم عنه.

٣- الغيرة تجعل صاحبها يشعر بالذلة والمهانة وعدم الثقة بالنفس.

٤- وينتج من الغيرة الشعور بالنقص والانطواء والعزلة عن الحياة الاجتماعية.

### الأسباب التي تؤدي إلى الغيرة:

ويرى الدكتور العيسوي أيضاً أن الغيرة ترجع إلى الأسباب الآتية:

١- شعور الطفل بميلاد طفل جديد، كثيراً ما تُبعد الأسرة طفلها أثناء وضع أمه. ويجب تجنب هذه المأساة النفسية عن طريق تمهيد عقله بأن هذا المولود هو أخ له وزميل وصديق يلعب معه، ويمرح وإياه.

٢- القسوة والشدة في العقاب الذي يتبعه بعض الآباء في التفريق بين الأطفال أو كثرة المديح والإطراء.

٣- يجب أن يؤمن الآباء أن الغيرة ليست سمة وراثية ولكن الطفل يكتسبها نتيجة لظروف بيئة معينة مثل العقاب والتفريق والمديح والتدليل.

٤- شعور الفرد بالغيرة نتيجة حقوقه المهدورة وتمتع غيره بالمزايا الأخرى أو المراكز الاجتماعية.

٥- من الحالات الشائعة للغيرة غيرة الطالب الراسب من زملائه الناجحين ويحاول الانتقام منهم عن طريق لصق التهم وإذاعة الشائعات عنهم.

### دور التربية في الوقاية من الغيرة وطرق معالجتها:

مع تعدد المشكلات التربوية وتعقيدها، فإنه يمكن للتربية أن تلعب دورها في التخفيف من حدة هذه المشكلات. وفي موضوعنا هذا يستطيع الأهل في الأسرة، والمعلمون في المدرسة، إذا هم وعوا دورهم التربوي، أن يخففوا من حدة نزعة الغيرة لدى الأطفال، فإذا ما علمنا كما مر معنا أن غيرة الولد في معظمها تأتي من شعوره أن المولود الجديد قد وَقَدَ إلى البيت ليشاطره ما يعتبره خاصته، فإنه يتوجب على الأهل أن يحتاطوا للأمر وذلك من خلال التمهيد للطارئ الجديد بأساليب مناسبة، وإعلام طفلهم بما سيحدث،

ثم يشرع الأهل في عملية إطفام الطفل عاطفياً بصورة تدريجية ثم تقوم الأم بإجراء التغييرات اللازمة التي تترتب على وضع مولودها الجديد وعلى سبيل المثال تهيئة الطفل لتقبل غيابها عنه.

وباختصار يجب على الأهل توفير الشروط والظروف التي لا تدع للطفل مجالاً يشعر فيه بأن حياته العادية قد تغيرت بسبب الوافد الجديد.

وهناك حالة أخرى تنشأ عن خطأ الأهل فهم قد يؤججون الغيرة في نفس أحد أبنائهم على أخيه وذلك عندما يلجؤون إلى أسلوب المقارنة والمقايضة بين الاثنين ظناً منهم أنهم سيزيدون حمية الولد الأصغر ويدفعونه إلى الاجتهاد والتشبه بأخلاق أخيه، وهذا ما يجب الابتعاد عنه.

كما أن على الأهل - إذا ما ابتلوا بغيرة أحد أبنائهم - ألا يثيروا هذه المسألة أمام الغرباء، ويُحسن الأهل صنفاً إذا ما عودوا الطفل منذ صغره على تقبل الآخرين والتعاون معهم وعدم المبالغة في تلبية جميع رغباته حتى لا يعتقد أنه مركز الكون.

ويحب التنبيه إلى أن الغيرة عند الكبار مردها إلى استعداد في الطفولة، وهنا نرى ضرورة التشديد على الوقاية من الغيرة، وفي علاج مثل هذه الحالة يجب العمل على إصلاح عدة عوامل منها: الأم التي يجب أن نعلمها من جديد كيف تغير موقفها إزاء المريض، وكيف تغير طرائقها في التربية، وأن ندفع الأب إلى إدراك تبعاته، وأن ندرب الطفل أخيراً على مواجهة مشكلاته على منوال أكثر سواء.

وكثيراً ما تبدو الغيرة الواضحة على الطفل عندما يُظهر الآباء عطفهم الواحد على الآخر، أو يُبدونه على الأطفال الأغرأب عن العائلة.

ومن سوء الحظ أن الآباء لعدم تقديرهم خطورة مثل هذه المظاهر كثيراً ما يرتاحون إلى حنق الطفل وغضبه، ويستمتعون بهذا الانفعال الجديد ويرونه "طيفاً" فيعملون على الإبقاء عليه والمبالغة فيه، بل هم يثيرونه للزهو به في محضر الزوار والأصدقاء.

كذلك نجد أن الغيرة كثيراً ما تنهش الطفل إذا واصلنا المديح والثناء على أخ أو أخت، وأخذنا نتحدث عن إخوته كأنهم نماذج تُحتذى، أو أغرقنا في الإشارة إلى عجز الطفل الغيور وعيوبه، إذ ليس هناك ما هو أكثر إيذاءً وتدميراً من السخرية والعبث بمقدرة الطفل وموازنتها بمقدرة طفل آخر، لأن ذلك يبعث فيه شعوراً بالمرارة والحقد والقصور والعجز.

ولكي نتحاشى قدر ما نستطيع نشوء الغيرة ونموها في الطفل يجب علينا أن نتدبر تلك الشائعة في الطفولة ألا وهي الأنانية، فيجب أن يتعلم الطفل أن عليه واجبات معينة إزاء عائلته، ثم بعد ذلك إزاء الجماعة التي يعيش فيها. يجب عليه أن يبدأ في التفكير مبكراً - ما أمكن التبكير - في ما يفعله وما يقوله، وفي علاقة هذا بالآخرين، وأن يدرك أثر أفعاله وأقواله فيهم. وينبغي أن نكرر عليه القول بأن هذا المسلك أو ذاك في هذه الظروف أو تلك إنما هو مسلك خاطئ أو مصيب، وينبغي أن يلمس في بيئته أن كل فرد في الأسرة إذا كان يعمل على إشباع رغباته فإنه يتجنب المساس برغبات غيره. وهكذا يكتسب الطفل قبل أن ينضج تفكيره، جانباً من العادات الطيبة تُغرس فيه عن طريق الإيحاء والتقليد.

ويرجح أن يكون الطفل الغيور فرداً لم تواته الفرصة في مُقتبل عمره للاهتمام بغير نفسه. وإن ما يُسمى «بالطفل الوحيد» ليوحد في ظروف تدعوه إلى التركيز حول نفسه. ويحدث هذا خاصة إذا نشأ الطفل في حي مزدحم كأن يخشى عليه من طرقاته، فالتزم داره دون صحبة سوى صحبة أمه. فهو سيد، ولا شك يتحكم فيما حوله، غير أن ميدان سلطته ضيق محدود، لأنه لا يدري شيئاً عن ميول غيره من الأطفال أو وجوه نشاطهم، وليس لديه من الفرصة ما يهيئ له الوقوف على ذلك.

ومهما تفاوتت الظروف فتلك هي عين الحالة التي تعرض للطفل إذا منعه مرض أو إصابة من إقامة الصلات المبكرة مع غيره من الأطفال. فلم يعرف سوى صحبة أمه الوالدة المضطربة، فهو يصبح بدوره مؤمناً بقدره

ومكانته. ولا يندر أن نجد طفلاً معيناً في إحدى الأسر موضعاً لعناية خاصة من أحد أبويه يحميه لا من الخبرة والتجارب، بل من العواقب الطبيعية التي لا بدّ أن تتبع هذه الخبرة. فإذا شبّ هؤلاء الأطفال لم يطبقوا في كبرهم الاعتراف بتفوق غيرهم، وصار أي شكل من أشكال الرياسة مبعثاً عندهم للضييق والحقد.

### نصائح موجهة إلى الأهل يجب اتباعها للوقاية من الغيرة:

- يحتاج الطفل إلى بعض الوقت كي يتقبل الأخ أو الأخت الجديدة فيجب عدم الفلق عندما يعلن الصغير الرفض للوفاد الجديد.
- يجب على الأهل إخبار الصغير بقرب مجيء أخ أو أخت له.
- إن الأولاد البكر يتأثرون أكثر من غيرهم بمجيء الطفل الجديد وذلك لأنهم يكونون منفردين بمتعة اهتمام الأهل.
- إن ردة فعل الولد تعتمد على سنّه فابن الثماني سنوات قد لا يكون مسروراً لكنه يكون أكثر ثقة بمكانته مما يساعد على إظهار كرم أكبر نحو الصغير وحسنات هذه السن أن الأولاد فيها يملكون خبرة أوسع مما يساعدهم على فهم الأطفال وهم ناضجون بما فيه الكفاية ليلعبوا دور الأخ أو الأخت الكبيرة التي يمكنها مساعدة أمها. أما في سن السنة ونصف السنة فيكون الولد صغيراً ويظهر استغراباً كبيراً وغضباً لاضطراره مشاركة أخيه أو أخته اهتمام الأهل ولكن من خلال مراعاة الأهل لهذه المرحلة وإعطائه حقه في الاهتمام سرعان ما يعتاد على الوضع الجديد.
- أما في حوالي الثلاث سنوات فإن الأولاد يستوعبون معنى مجيء مولود جديد لكن يصعب عليهم تقبل ذلك لأنهم ظلوا مركز الاهتمام لفترة أطول.
- أياً كان عمر الطفل فيجب الانتظار حتى الشهر الثالث من الحمل وعندها يجب على الأم أن تبدأ بشرح الفكرة له كي تتمي لديه شعور

الحاجة بالمشاركة بما يجري وسط الأسرة لذلك على الأم أن تخبره عن مكان الطفل وتدعه يلمس بطنها ويشعر بحركته وتسمح له بالمشاركة في اختيار اسمه.

- قد يتوقع أحد الأطفال أن يخرج أخوه ليلعب معه فوراً فيجب على الأم أن تقول له إن الطفل بحاجة إلى رعاية وإلى وقت كي ينمو ويجب أن تُثريه صورة له عندما كان صغيراً وأن تشير إلى مدى التغيرات التي طرأت عليه.

- يجب على الأم أن تحاول استعارة طفل إحدى الصديقات أو الأقارب لبضع ساعات ليراه ابنها عن كثب ويلمسه.

- يجب أن يشعر الطفل باهتمام أهله بشكل مستمر وأن يلقى القبول لديهم ولدى الزوّار أيضاً ويجب أن لا يكون المولود الجديد محط أنظار الجميع.

- عندما يبدأ الولد بالتصرف العنيف تجاه المولود الجديد يجب على الأهل الصبر عليه والانتباه له وتوجيهه بالكلام الجميل ولا مانع من أن تشتري الأم له هدية وتقول له إنها من المولود الجديد وذلك لنشر الحب والألفة في قلبه تجاه أخيه.

إن المربين من أهل ومعلمين معينون بتفهم الغيرة وأسبابها ومظاهرها والعمل على تخفيف وطأتها على أبنائهم وعليهم أن يتقبلوها كأمر طبيعي ويعرفوا أن علاجها لن يكون بمحاربتها وقمعها بل بتنمية العواطف المقابلة لها، وإذا اشتدت الغيرة عند المرء في صغره لازمته في كبره فإذا كان طفلاً تعرّس عليه كثيراً أن يوفق في صلته مع أترابه، وهو لهذا يشعر بالخيبة والخجل وفي هذا نفسه ما يعيقه عن التوفيق. وهو يشعر بأنه مهيب الجانب مهمل مظلوم فهو يتركز حول ذاته، ويزيد هذا التركيز حتى يدفعه إلى تجنب أترابه والابتعاد عن غمرة الحياة وقد تملكه اليأس وملك عليه القنوط، أو هو

قد يغدو عاتياً معتدياً حتى يجتذب الأنظار إليه. فإذا مرت الأعوام أدى هذا الانفعال إلى عجزه عن مشاطرة غيره في ما يشعرون به من متعة وهناءة، وصار مستحيلاً عليه أن يشهد نجاح الآخرين دون أن يبدو منه لذلك سخط واضح مكشوف. ومن ثم كان الإنسان الغيور الحاسد موضعاً لكرهية الناس ونفورهم، وهو كثيراً ما يعتقد أن القوم يضطهدونه ويسئون إليه، وكثيراً جداً ما تنتهي الغيرة إلى حقد طاغ ينزل به أسوأ العواقب. فإذا أمكن تعليم الطفل عادات الإيثار في المنزل حيث تكون صلته بأفراد الأسرة قوية حارة تبعث فيه الغيرة وتدعوه إليها، لم يلق حين يخرج إلى العالم عناء كبيراً أو صغيراً من هذا الانفعال المعجز السيئ. وإذا كان الطفل وحيداً في الدار وجب العمل على تهيئة الفرصة له للاختلاط بغيره من الأطفال، ولو أدى ذلك إلى تعرضه لمخاطر الطريق أو اصطناعه بعضاً من ألفاظ «الحارة» ولهجة صغارها. يجب أن نعلم الطفل مشاطرة لعه وحلواه وكتبه ونقوده مع غيره من الأطفال ويجب أن يتعلم في أعباه كيف يعمل في سبيل المجموع، لا ابتغاء منفعة الخاصة فقط. فإذا أخفق فيجب أن يتعلم الاعتراف بتفوق غيره، وأن يقابل ذلك باسمياً بشوشاً. كما ينبغي لذلك أن يعرف الأطفال أن عدة ألعاب يقومون بها على وجه ما خير لهم من الامتياز في لعبة واحدة. فهناك ميل يغلب لا على الأطفال فحسب بل على الكبار أيضاً يدفعهم إلى التعلق بما يتقنون من أشياء وأن يتجنبوا ميادين النشاط التي لا يتفوقون فيها وينبغي مكافأة سلوك الإيثار بالثناء عليه، بل بإثابته أحياناً ببعض الثواب الملموس. فلا ضير في أن يعرف الطفل بخبراته أن الإيثار أمر نافع يؤدي إلى خيره.

فليرس كل منكم طفله. وليحاول الوقوف على علّة سلوكه على هذا النحو أهو معتد محارب متبجح؟ أهو كئيب حانق أم ينفجر في نوبات للطبع يهدأ بعدها؟ أو لعلّه حيّ هادئ وهو أبداً نموذج للسلوك الحسن، يدع الحياة تمرّ به دون أن يقوم بدور فعّال؟

أنعم النظر في المسألة، وتفهم كيف يعمل عقله، واذكر أن المسلك الذي يبدو منه قد يكون تعبيراً عن شعوره على منوال بعيد غير مباشر، ذلك لأن الاعتداء والتبجح قد يكون قناعاً يختفي تحته الشعور بالإخفاق واليأس، بينما الاستسلام وعدم المبالاة قد لا يكون سوى غطاء لجراح نفسية دفيئة. وقد يكون سلوك الطفل من ناحية أخرى تقليداً حاول أن يحاكي به سلوك شخص كبير هو محل إعجابه أو سلوك طفل هو على صلة به. ابذل من وقتك ما تفهم فيه ابنك أو ابنتك، فلسوف يثبت لك فيما يقبل من السنين أنك لم تصرف ذلك الوقت عبثاً مضاعفاً.

وليست الغيرة أمراً وراثياً، بل ثمة نتيجة للأناية التي تنتج عن التربية السيئة الخاطئة، فإذا تعلم الطفل مشاطرة لعبه، واقتسام محبة أبويه مع غيره، وإذا عرف أن على أمه في الحياة واجبات أخرى غير كل رغبة أو أمنية تبدو منه، أقول إن هذا الطفل لن تلازمه الغيرة أو تطغى عليه. لكن الآباء الذين يرون في الغيرة أمراً ظريفاً فيحاولون إثارتها أبداً في الطفل: كأن يقارنوه بغيره من الأطفال، أو يواصلوا كيدته للمتعة بما يبدو منه، إن أولئك الآباء يضعون الأساس لكثير من المصاعب العسيرة في حياة ولداهم المقبلة. اذكروا أن الطفل الغيور سوف يكون رجلاً غيوراً وأنه سوف يكون أمراً يحسد أصدقاءه على ما يواتيهم من نجاح وتوفيق، وأنه قلماً يستطيع العمل مع غيره، وأنه سوف يكون دائم الشكاية من عدم تقدير الناس إياه، وأنه سوف يكون بالاختصار فرداً بعيداً كل البعد عن الانسجام مع البيئة التي يعيش فيها خلواً من التوافق مع غيره من الناس.



## سيكولوجية اضطرابات الطفولة

### ظاهرة الكذب عند الأطفال

#### «أسبابها - أنواع الكذب - طرق العلاج»

إن العمل على تنشئة الطفل على الأمانة في ذكر الوقائع هو عين العمل، بوجه عام، على تنشئته على الأمانة فيما يتصل بأملك غيره. وكثيراً ما يصحب الكذب السرقة، بيد أن الكذب كثيراً ما يوجد قائماً بنفسه. لكن كثيراً من المواقف النفسانية، كالشعور بالقصور مثلاً، قد تدفع طفلاً إلى الكذب بينما تدفع عين المواقف طفلاً آخر إلى السرقة. والأمانة في سرد الحقيقة كالأمانة بشأن أملك الآخرين أمر يكتسب ولا يورث. وهي تكتسب بالتقليد، وبتدريب الطفل على تمييز الوقائع، والتعرف على الحقيقة والوقوف على الصدق، وبألا يمر بظروف ينفع فيها الخداع وتحسن عاقبته. فإذا نشأ الطفل في بيئة تحترم الحق وتلتزم الصدق، حيث يفى القوم أبداً بما وعدوا وإذا عجزوا عن الوفاء شرحوا السبب في ذلك شرحاً وافياً، في بيئة لا يتخلص فيها الآباء أبداً بانتحال المعاذير المفتعلة وفي أسرة تلتزم الأمانة والصدق بقدر دعوتها إليها، كان من الطبيعي في مثل هذه الظروف أن يلتزم الطفل حدود الصدق المرعية. أما إذا سمع الطفل يوماً بعد يوم أحد أبويه يتشكك في صدق الآخر، أو إذا شاهد أمه تتخلص مما يتقل عليها من الواجبات الاجتماعية بادعاء المرض، أو إذا اشترك في خداع الأبوين أحدهما للآخر بأن يطلب إليه ألا يخبر أمه بهذا الأمر أو أباه بذلك. أو إذا بذلت له مختلف الوعود ثم تواتر خلفها دون إيضاح، أو إذا خدعه الكبار وغشوه في

معاملته معهم، فليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن الطفل في مثل هذه الظروف سوف يعرف قيمة الصدق أو ينبعث على أي وجه إلى التزامه. بل ينبغي أن يؤمن الطفل من صلاته اليومية بمن يعيش معهم أنهم يتوقعون الصدق، وأن للأسرة مستوى أخلاقياً وأن هذا المستوى مُقوّم من مُقوّمات الحياة اليومية التي ينبغي أن يسمو إليها.

لم يكن هناك إذن ما يبهر دهشة إحدى الأمهات أو ابتئاسها حين أنفقت ابنتها القرش - الذي أعطي لها لركوب الترام إلى عيادة طبيب الأسنان - في شراء بعض الحلوى ولم تخبر أمها عن ذلك. فإن هذه الأم عيناها قبل ذلك بأسبوع كانت قد أخبرت الطفلة بأنهما خارجتان في نزهة ثم أخذتها إلى عيادة الطبيب. وأنا لنرى أن الطفل منذ سن مبكرة جداً قادر تماماً على التفرقة بين الواقع والوهم، وأن من أهم ما ينبغي لغرس الأمانة والصدق هو سلوك أولئك الذين يتصل بهم الطفل في حياته اليومية حتى يحسن به أن يحاكيهم ويقلد ما يقولون ويفعلون، ويلاحظ أن كثيراً من الأطفال يكذبون بحكم ظروف مرحلة النمو التي يمرون بها، فالطفل أو المراهق قد يكذب رغبة في جذب الانتباه إليه. كما يحدث عندما يبالي المراهق في ذكر مغامراته لأصدقائه وأنداده. وكذلك من المعروف أن الطفل الصغير لا يستطيع أن يميز تمييزاً قاطعاً بين الحقيقة والخيال ويدفعه ذلك إلى الكذب، فالطفل الصغير يختلط عليه الأمر فلا يعرف الفرق بين ما حدث بالفعل وبين ما تخيله هو. فالقصص والأساطير الخيالية التي يسمعاها الطفل الصغير تترجم في خياله إلى واقع ولذلك يراها تحدث أمامه، يراها بعين الخيال كما لو كانت ماثلة أمامه فعلاً. والمعروف أيضاً أن خيال الطفل قوي لدرجة تجعله أحياناً أقوى من الواقع نفسه. وإعطاء الطفل الفرصة لكي يخبر بنفسه الأشياء الحقيقية وتوسيع ذهنه بالمسائل العلمية يساعد في التمييز بين الحقيقة والخيال، كذلك هناك بعض الأطفال الذين يميلون للكذب على سبيل اللعب أو لتأثير كذبهم على المستمعين أو الكذب بدافع الخوف أو الولاء وعلى الصفحات القادمة سوف نتناول نقاطاً هامة لهذا الموضوع.

## أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد:

تعتبر مرحلة الطفولة ذات أهمية بالغة وكبيرة في تكوين شخصية الفرد ذلك لأن فيها توضع البذور الأولى لشخصيته، فعلى ضوء ما يلقي الفرد من خبرات في مرحلة الطفولة يتحدد إطار شخصيته فإذا كانت تلك الخبرات مواتية وسوية وسارة يشب رجلاً سويًا متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به وإن كانت خبرات مؤلمة مريرة ترك ذلك آثاراً في شخصيته. إن خبرات الطفولة تحفر جذورها عميقة في شخصية الفرد لأنه ما زال كائناً قابلاً للتشكيل والصفل، وعلى ذلك ينبغي الاهتمام بهذه المرحلة على وجه الخصوص وتوفير البيئة الصحية للطفل وتقديم الرعاية النفسية اللازمة له والعمل على إشباع حاجاته وحمايته من التوتر والقلق والخوف والغيرة والغضب والشعور بعدم الأمان ومعاملته معاملة حسنة، على أساس من الفهم العميق لدوافعه وانفعالاته وإحساساته ولكن ينبغي الإشارة إلى أن عملية تربية الأطفال ليست عملية سهلة هينة، ولكنها عملية تتطلب الكثير من الوعي النفسي والتربوي لدى الآباء والأمهات والمعلمين والكبار عامة. ومما يزيد من صعوبة هذه المهمة تعرض الطفل لكثير من المشكلات والأزمات النفسية ومن بين تلك المشكلات الكذب والعدوان وقد يكون العدوان موجهاً نحو المجتمع والناس وكذب الأطفال لا يزعزع الطفل وإنما يجعله يشب رجلاً كاذباً عدوانياً.

## الكذب أسبابه وطرق علاجه:

أول ما يشغل بال الآباء والأمهات هو السبب في ميل أطفالهم إلى الكذب أي عدم ذكر الوقائع والحقيقة. وتتصل هذه النزعة بصفة الأمانة عامة. وعلى ذلك يقصد بالصدق الأمانة في سرد الواقع وإن كانت الأمانة أو الخيانة تتضمن السرقة أيضاً، ولكن قد يوجد الكذب كنزعة مستقلة لدى بعض الأطفال أو لدى الكبار دون وجود الميل إلى السرقة أو الغش والواقع أن

الآباء يجب أن يؤمنوا أن الطفل قد يكون أميناً في موقف وغير أمين في موقف آخر. فالطفل قد يكون أميناً في المدرسة على حين أنه يسرق نقود أمه وقد يغش الطفل في الامتحان في مادة معينة ولا يغش في أخرى تبعاً لدافع الطفل إلى الكذب والغش والسرقة. وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نتساءل ما هي الظروف التي تؤدي إلى الكذب؟

من هذه الظروف أو العوامل التي تؤدي للكذب ما يأتي:

- ١- ميل الآباء أنفسهم إلى الكذب سواء مع الطفل أو غيره.
- ٢- تقليد الطفل للكبار في عملية الكذب.
- ٣- قد يجد الطفل نفسه مضطراً إلى الكذب بسبب جذب انتباه الآخرين إليه أو الخوف من العقاب أو رغبته في توكيد ذاته وإثبات قيمته وعلى ذلك فليست هذه الأكاذيب إلاً تحقيقاً لرغبات الطفل المكبوتة التي عجز عن تحقيقها.. يروي مثلاً عن صديقه «محمود إنه أخذ من أبيه خمسة دولارات لشراء بدلة وساعة ودراجة ومدفع...» وهكذا. وتعرف هذه الأكاذيب بالأكاذيب البيضاء في سرد هذه الأكاذيب متعة ولذة ونشوة نتيجة الحرمان في عالم الواقع ويحاول الإشباع في عالم الخيال أو أحلام اليقظة. وقد يلجأ الطفل إلى الكذب خوفاً من العقاب الصارم ولذلك يجب أن يكون العقاب معقولاً وليس مفرطاً بل يجب أن يتناسب مع حجم الخطأ. وعلينا أن نعرف أن الأمانة في القول أو غيره خصلة مكتسبة وليست فطرية، وهي صفة تتكون في المرء عن طريق التقليد والتمرين.

الكذب مجرد عرض ظاهري، والأعراض ليست مهمة في ذاتها وإنما الأهم العوامل والدوافع النفسية التي تؤدي إلى ظهورها. هناك استعدادان يهيئان الطفل للكذب: أولهما قدرة اللسان ولباقتة، ولعل هذا يوافق ما كانت

جداتنا يقلّنه عن بعض الأطفال على سبيل المزاح، فكّن يعتبرن أن الطفل الذي يخرج من الأسابيع الأولى لسانه ويحركه يمّنة ويسرة سيكون في مستقبل حياته قوالاً كذاباً، وثاني هذين الاستعدادين خصوبة الخيال ونشاطه والواقع أن علاج الكذب في ذاته بالضرب أو السخرية وغير ذلك غير مفيد وقد لاحظنا حالات كثيرة عابرة قام الأبوان فيها بعتاب الطفل في شدة، وهذا أدى لرد فعل عكسي، فالعمل مع الطفل الميال للكذب يحتاج إلى صبر وتحمل، ففي كل حالات الكذب المفرطة والدائمة، يلعب الوسط الاجتماعي الدور الحاسم في العلاج، الأبوان والمدرسون والزملاء، فهؤلاء يجب أن يكونوا على وعي بكذب الطفل ويجب أن يحاولوا فهم الدوافع المخفية وراء كذبه، فهذا الفهم سوف يساعد في حل وتحجيم آثار المشكلة، والمفيد في كل الأحوال علاج الدوافع الأساسية التي دفعته إليها كما يجب تجنب الظروف التي تشجّع على الكذب كما لا يصلح ترك الكاذب يفلت بكذبه دون مواجهة، ولأن الكذب أسهل الذنوب اقتراحاً وأولها حضوراً إلى ذهن الطفل، من هذا نشعر أن الطفل الذي يعترف بذنبه يمكن إصلاحه إذا علمنا أن قول الصدق يتطلب مقدرتين هما: حجم الإدراك ودقة التعبير رأينا أنه في الإمكان تدريب الطفل في هاتين الناحيتين عن طريق تدريبيه على القيام بالتجارب العلمية البسيطة وكتابة المشاهدات والقياس وتدوين النتائج، كل هذا بمنتهى الدقة مما يعود الصدق العلمي.

ونلاحظ أن هناك أبوين يكذبان باستمرار أمام أطفالهما مما يزرع تلك العادة الرذيلة في الطفل، فيفهم أن الكذب ضروري في الحياة، والواقع أن الكذب ليس وحده «زرع الأبوين» ولكن الشك والريبة والرغبة في العبث كلها مصاحبات للكذب ومثل هؤلاء الأطفال ينشؤون تعساء في وسط مفكك، ضعفاء العزيمة، من دون سند معنوي وقيمي، ولا يحظون باحترام أحد في علاج حالات الكذب نحن نختار الأسلوب الملائم حسب نوع كل طفل

وسماته العامة وظروفه العائلية وفهم دوافع كذبه، مستخدمين رؤية متكاملة تشمل الجوانب البيولوجية والاجتماعية والتعليم السلوكي، وعلى سبيل المثال فالطفل «الطفولي النزعة» سهل الإيحاء له، والطفل الطموح سهل تصحيح سلوكه إذا وظفنا طموحه وقدرناه، والطفل الخجول يحتاج لكثير من الدقة والحرص. ولكن في كل الأحوال يجب مواجهة كل كذبة وفهم دوافعها، فالكذب كذب لا أبيض ولا أسود.

### أنواع الكذب:

قام الباحثون في هذا المجال بتقسيم كذب الأطفال لعدة أنواع، ويهدف التقسيم إلى تبسيط الشرح والوصول للأسباب، والواقع أن أنواع الكذب متداخلة، بل لا تحدث وحدها وإنما تكون في إطار أكبر من الانحرافات السلوكية التي تعبر عن خلل نفسي، فقد تحدث السرقة والعدوان والتزويغ من المدرسة من نفس الطفل الذي ثبت لديه الميل للكذب، فالجوهري في المشكلة ليس الكذب في حد ذاته ولكن الدوافع التي تحركه والأسباب الكامنة وراءه. وعلى أي حال فهناك الكذب الخيالي «في الطفولة المبكرة وهو كذب أبيض بريء في أغلب الأحوال»، والكذب الادعائي، والكذب الأناني المغرض، وكذب الانتقام، والكذب الدفاعي، وكذب التقليد، وكذب العناد، ثم الكذب المرضي وهو موضع الاهتمام ويدعى بـ «المزمن المرضي» والكذب صفة أو سلوك يتعلمه الطفل كما يتعلم الصدق، وليس كما أسلفنا صفة فطرية. أو سلوكاً موروثاً. والكذب عادةً عرض ظاهري لدوافع قوى نفسية تجيش في نفس الفرد سواءً أكان طفلاً أو بالغاً. وقد يتخذ الميل إلى الكذب شكل المبالغة فيما وقع من أحداث فعلية للطفل وتكثر هذه النزعة لدى المراهقين فقد يروي المراهق لرفاقه الكثير من مغامراته في تسلق الجبال وعبور الأنهار... الخ.

ويعد الكذب من النزعات الخطيرة لدى الأطفال تلك التي تنتج عنها كثير من المشكلات الاجتماعية فضلاً عن فقدان الثقة بالطفل وعدم احترامنا له وكذلك نشأته على عدم احترام الصدق والأمانة مما يؤدي به إلى الجريمة في مرحلة الكبر، ولا بدّ لنا هنا أن نبين الأسباب الدافعة لكل نوع من أنواع الكذب عند الأطفال:

### • الكذب الخيالي أو التلفيفي:

لا ينبغي أن يجزع الآباء من عجز أبنائهم عن التزام الدقة والصدق في سرد الوقائع، ذلك لأن الطفل يمر بفترة طويلة قبل أن يستطيع التفرقة بين الحقيقة والخيال. ففي مرحلة الطفولة المبكرة تزداد قوة خيال الطفل حيث يطغى خياله على الحقيقة. ويرى في القصص الخيالية واقعاً، ويكون خياله خصباً فياضاً يملأ عن طريقه فجوات حديثة، ونصح بالاهتمام بالقصص التربوية وعدم المبالغة في القصص الخيالية - رغم أهميتها في إثراء خيال الطفل وخصوبة تفكيره - حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به.

وكثيراً ما يلجأ الطفل في سبيل المفاخرة بقيمته الذاتية إلى المبالغة في بعض المواقف التي قام بدور فيها، وكثيراً ما يكون للأقاصيص التي ينسجها أساس وإه من الواقع، بيد أنها كثيراً ما تكون أيضاً أموراً لفقها الطفل حتى لا يتجاهل الناس أمره تجاهلاً مطلقاً. ويغلب أن يصدر هذا النوع من التلفيفات من البنات أو الولد الذي تضيق به الحيلة. ولكنه رغم ذلك يتوق إلى تحقيق شيء يستحق الذكر والتتويه، هكذا ينتقل أولئك الأطفال على أجنحة الخيال، فمن حياة مفعمة بالخيبة إلى حياة مليئة بالنشوة والنجاح، فليست مثل هذه الأخيبة في الواقع كذباً بل هي أوهام أو رغبات لم تتحقق.

ويقوم علاج عادة التلفيق هذه على توجيه انتباه الأطفال إلى الأمانة فيما يقومون به، فمثل أولئك الأطفال في حاجة إلى جانب كبير من التشجيع

والتوجيه، فينبغي أن توجه جهودهم نحو القيام بالأمر التي تقع في نطاق قدرتهم حتى تكفل جهودهم بنجاح. أما التلفيقات والأوهام التي ليس لها أساس من الواقع، والتي لا تؤدي إلى غاية نافعة - أي تلك التي تدعى بأحلام اليقظة - فليس من اللازم أو من المرغوب فيه دفع الطفل إلى التسليم بأن أحلامه تلك ليس لها ظل من الحقيقة. فهذه الأحلام ليس فيها ما يهدد سلامة الطفل العقلية إلا إذا أصبحت غاية في حد ذاتها، وأدت بالطفل بعيداً عن حقائق الحياة واستغرقت منه كوامن نفسه. ومن ثم لا ينبغي أن نضيق ذرعاً بتوهمات الأطفال، فكثيراً ما يكون في حياة الصغير معنى خاص، فإذا لم يتحمل الآباء الإنصات إلى ما يبدو لهم أمراً تافهاً يصدر عن طفل، فإن الفرصة لن تسنح لهم بالوقوف على ما يعرض لحياته من مشكلات جدية خطيرة مستقبلاً. ومهمة الآباء تتطلب منهم أن يقدموا العون لأبنائهم كي يتعرفوا على الحقيقة ويدركوا قيمتها.

وهذا النوع من الخيال أو الكذب الخيالي - ليس كذباً يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي - من أن الآباء والأمهات وحتى الجدات يقصصن على الأطفال في كل المجتمعات قصصاً خيالية أثناء النهار للتسلية أو قبل النوم ليتراخوا ويناموا.

في سن الرابعة للطفل مثلاً، قد يلفق قصة من نسج خياله الواسع، ولا يمكن أن نعتبرها كذباً بالمعنى المتعارف عليه بين البالغين، وذلك لأن الطفل الصغير تختلط في ذهنه الأفكار ولا يفرق بين الصحيح منها وغير الصحيح، كما أن خياله يصور له أفكاراً بعيدة عن الواقع والحقيقة، ويتصور أنها واقع وحقيقة، ولعل هذا هو سبب شغف الأطفال لسماع القصص الأسطورية من الجدات، بل إنهم لا يدركون عدم واقعية القصص الخرافية لدرجة أنهم يعيشون في أجوائها ويتخيلونها بشغف ولذة وسرور، وقد يتخيلون أنفسهم أبطال هذه القصص. ولا شك أن ميل الطفل إلى القصص الخيالية أو



تأليفه لها، لا يعتبر جنوحاً أو ميلاً إلى الانحراف والكذب المرضي... بل يدل على أنه لا يزال صغيراً لا يفرّق كثيراً بين الواقع والخيال، لذلك يجب على الآباء ألاّ يقلقوا إذا كان الطفل خصب الخيال، ولا يحاولوا بذل الجهد لعلاج هذا النوع من الكذب، بل يجب أن يتركوا الأمر للزمن... فهو كفيل بالغائه كسلوك عند الطفل.

ويكفي أن يؤكد الآباء للطفل بأنهم يدركون أن ما يقوله هو نوع من اللعب... وأنهم يحبون هذه التسلية ويؤكدون له في نبرات الصوت وفي سلوكهم أنهم يدركون أن ما يقوله ليس صدقاً، كما أنه ليس كذباً، بل إنه دعابة.

#### • الكذب الالتباسي:

نعني بالكذب الالتباسي أن الطفل يلتبس عليه الأمر لتداخل الخيال مع الواقع بحيث لا يفرّق بينهما. مثال على ذلك يسمع الطفل قصة خرافية أو قصة واقعية تمتلك مشاعره وبعد أيام يتقمص أحداث القصة في نفسه أوفي غيره. والكذب الالتباسي عند الطفل نتيجة لأحلام الطفل وهذا ما حدث مع إحداهن فعلاً. حلمت ابنتها «بشرى» أن صديقتها قد سرقت من يدها الخاتم وفي الصباح قالت لها: ماما لا أحب صديقتك فلانة، فقالت لها: لماذا؟ قالت: لأنها سرقت لي الخاتم من يدي وأريد أن تأتي به عند عودتك من العمل وفي الحقيقة لم يكن عند ابنتها خاتم مطلقاً وأصبحت كلما تراها تتذكر موقف الخاتم فهي بالحقيقة لم تفرق أن الذي حصل معها كان واقعياً أم خيالياً.

والعلاج لمثل هذه الحالة هو أن نفهم الطفل بأن ما حدث كان حتماً وليس واقعاً ثم نكرر له ذلك من وقت إلى آخر. والواقع أن هذا ليس كذباً بالمعنى المعروف لكنه يزول مع مضي الوقت فكلما زادت خبرات الطفل وكلما تقدم في السن أمكنه التفريق بين الواقع والخيال. ويحدث هذا الكذب

نتيجة أحلام اليقظة فقد يتصور الطفل أن كلباً هجم عليه ويقص قصة يصورها على أنها واقعية على الرغم من أنه ليس في محيطه كلاب وكل هذا مرجعه خيال الطفل الواسع وليس له صلة بالواقع إطلاقاً.

إن الطفل يلجأ إلى الكذب في هذه الحالة دون قصد وذلك لأن الحقائق تلتبس عليه وتعجز ذاكرته على أن تعيد حادثة معينة بتفاصيلها. وهذا النوع من الكذب لا يدل على انحراف سلوكي أو مرضي لدى الطفل، بل يحدث نتيجة لتداخل الخيال مع الواقع لديه بحيث لا يستطيع أن يفرق بينهما فقد يستمع إلى قصة خيالية أو واقعية تثير مشاعره، وبعد أيام يتقمص أحداث القصة في نفسه أو في غيره.

والطفل في حالة الكذب الالتباسي يلجأ إلى الكذب دون قصد، فذاكرته تعجز عن فهم حادثة معينة، فيضطر دون أن يدري إلى أن يحرف بعض الأحداث ويضيف أخرى من نسج خياله حتى تبدو مستساغة لعقله الصغير ومنطقه المحدود.

### • الكذب الادعائي:

وهذا النوع يكون عند الأطفال الذين يعانون من الشعور بالنقص ثم يعوضون ذلك بالمبالغة فيما يملكون أو في صفاتهم أو صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز وسط أقرانهم أو استجابة لمؤثرات يتعرضون لها في البيئة أو بهدف النزوع للسيطرة عليهم. وهذا الكذب شائع بين الأطفال الذين يتواجدون في بيئة أعلى من مستواهم في أي ناحية من نواحي الحياة ولا يمكنهم الوصول إليها. وبما أن الكذب الادعائي وسيلة لتعظيم الذات والحصول على الشعور بالمركز لذا نجد الأطفال يلجؤون إليه لاستدراك العطف وللشعور بالقبول في البيئة ولكي يصبحوا مركز اهتمام الغير.

لذا نجد بعض الأطفال يستدرون عطف الغير عن طريق التمارض أو إيهام الغير بأنه مُغْمى عليهم وهذا عادة يحدث للأطفال الذين لم ينالوا درجة

معقولة من العطف من الوالدين في الطفولة أو للأطفال المدللين في الصغر وتغيرت معاملة الوالدين لهم على أساس أنهم لم يعودوا أطفالاً صغاراً بعد أن جاوزوا سن الخامسة مثلاً.

وهذا النوع من الكذب شائع بين أغلب الأطفال، ولا ضرر منه فهو لا يؤدي أحداً. ولكن على الآباء أن يحاولوا علاج مثل هذه الحالة بشيء من توضيح الحقائق، ومحاولة إشباع الحاجات النفسية للأطفال، مع ضرورة توفير احتياجاتهم من اللعب والأدوات. وقد يلجأ الطفل إلى هذا الكذب فيتهمون الغير باضطهادهم أو التنكيل بهم، فعندما يعود الطفل من مدرسته يدعي في حضور والديه أن المعلم قد أوسعه ضرباً، أو منع عنه مكافأة كان يستحقها. ويعود السبب في ذلك أن الطفل يحاول استدرار عطف والديه، أو قد يحاول أن يجد لنفسه مبرراً لفشله أو لعجزه الدراسي حتى يمنع لوم وتقريع الأسرة له. وهذا النوع من الكذب يجب الإسراع في علاجه، لأن أي إهمال أو تقاعس سيجعل من الطفل مبالغاً ومختلفاً للمبررات الواهية والأقويل الزائفة مما يؤثر سلباً على صحته النفسية ومكانته الاجتماعية.

#### • الكذب بغرض الاستحواذ:

وقد يكذب الطفل بغرض الاستحواذ على الأشياء المختلفة كالنقود أو الحلوى أو اللعب كما قد يكذب لأنه يخاف العقاب فيلصق ما يتهم به لطفل آخر بريء وكل هدفه من الكذب الدفاع عن نفسه كما أن الطفل قد يكذب تقليداً للآباء والأمهات الذين يكذبون على أطفالهم في كثير من الأمور.

كما يعامل بعض الأطفال معاملة قاسية يشوبها النبذ والإهمال فتعكس هذه المعاملة عليهم، فالأطفال الذين يعانون من رقابة الوالدين الشديدة ومحاولة التحقق من كل عبارة يذكرونها ويُضيقون عليهم، كثيراً ما يلجؤون إلى نوع آخر من الكذب بغرض الاستحواذ على الأشياء وعلى العواطف

أيضاً. إن الطفل عندما يفقد الثقة في بيئته يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء وهو يكذب في سبيل تحقيق ذلك.

ولحل هذه المعضلة توجّه إلى الآباء نصيحة مفادها أن يوفّروا لأبنائهم جواً من الثقة والاطمئنان، وأن تكون البيئة الأسرية التي يعيشون فيها مصدر فخرهم وثقتهم، والابتعاد عن النبذ والإهمال والرقابة الشديدة الصارمة وعدم التدخل المباشر في حياة الأطفال، في كل أمورهم الكبير منها والصغير إلاّ بالقدر الضروري والمعقول.

### • الكذب الانتقامي:

قد يكذب الطفل لإسقاط اللوم على الأطفال الآخرين، والكذب الانتقامي يرتبط بضعف الأنا العليا «Super Ego» التي تقوم بوظيفة الرقابة على السلوك. ويعد هذا النوع من أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل لأنه كذب ينم عن كراهية وحقد. وفي هذا الكذب يفكر الطفل كثيراً قبل أن يقدم على هذه الخطوة، بل يتدبر مسبقاً حيكته الانتقامية هذه بقصد إلحاق الضرر بمن يكرهه، ويكون هذا السلوك مصحوباً - في أغلب الأحوال - بالتوتر والفقر والإحساس بالألم. وينتشر هذا النوع من الكذب بين أطفال المدرسة الابتدائية نتيجة للخبرة أو الحقد. فيحدث أن يشكو الطفل قرينه لأنه قد أتلف كتابه، فيهمّ المعلم بعقاب الطفل المشكو منه، فيجد الطفل الشاكي في ذلك راحة وسعادة، وهذا الكذب يجد له رواجاً ومنتفساً إذا وجد الطفل من المعلم استجابة لشكايته وميلاً من جانب المعلم إلى العقاب دون التحقق. من هنا يتحتم على الآباء والمعلمين أن يقابلوا مثل هذه الشكاوى والاتهامات بالحذر الشديد والتحقق الدقيق. كذلك يجب عليهم أن يهتموا بهؤلاء الصغار الذين يندفعون إلى اقرار هذا الكذب الانتقامي، ويقومون حتى يتخلصوا منه لأن الاعتياد على مثل هذا النوع من الكذب يؤدي إلى اعتلال صحتهم النفسية.

## • الكذب الدفاعي أو الوقائي:

يؤدي العقاب إذا كان مطرداً قاسياً لا يتناسب وما يتطلبه الموقف إلى اتخاذ الكذب وسيلة للوقاية، وكثيراً لا يحقق العقاب الغرض المنشود، فالأطفال يندفعون إلى استخدام الكذب كسلاح غريزي وقاية لأنفسهم من أساليب العقاب وخاصة إذا كان القصاص جائراً لا عدل فيه. كما يلجأ الطفل في الأسر التي تتناقض فيها وسائل التربية - كأن يكون الأب شديد القسوة وتكون الأم شديدة الحنو - إلى الكذب كي يفلت من عقاب ينتظره، فيلصق الاتهام بأخر قد يكون أخاه أو صديقه، حتى ينال العقاب عوضاً عنه. والكذب الدفاعي أو الوقائي هو أكثر أنواع الكذب شيوعاً بين الأطفال وقد يدمن الأطفال هذا النوع من الكذب وبالأخص عندما تعتر بهم نوبات القلق والتوتر.

ونؤكد أنه كلما ازداد الخوف من العقاب، كلما ازداد نزوع الأطفال إلى الكذب الدفاعي، لذلك فالأجداد والآباء ورجال التعليم الذين يلجؤون إلى عقاب الأطفال بالوسائل المؤلمة «كالصفع أو الركل أو الضرب» بأن يتجنبوا ذلك ويكفوا عن تلك الوسائل حتى يدفعوا هؤلاء الصغار إلى مثل هذا النوع من الكذب. وإذا كان الكذب الانتقامي يرتبط بالتوتر والألم فإن الكذب الدفاعي يرتبط غالباً بالخوف والقلق ويصاحبه أيضاً عادة الغش والتمويه والخداع والتخطيط المسبق والتدبير المُحَكَّم حتى يبدو هذا الكذب مقنعاً بلا افتعال أو ارتجال.

وقد أجمعت الدراسات على أن حوالي ٧٠% من أنواع السلوك الذي يتصف بالكذب لدى الأطفال يرجع إلى الخوف من العقاب وعدم استحسان البالغين أو قبولهم لسلوكهم، وأن ١٠% منها يرجع إلى ميل الأطفال لأحلام اليقظة والخيال والالتباس، وأن ٢٠% منها يرجع إلى أغراض الغش والخداع والكراهية.

## • الكذب الأثاني:

وهو نوع من أنواع الكذب، يلجأ إليه الطفل ليحقق منفعة لنفسه، أو ليمنع منفعة عن أخيه أو صديقه. ويرتبط هذا النوع من الكذب بدرجة النمو الخلقى لدى الطفل، ونوع النموذج أو القدوة التي كانت متاحة أمامه ممثلة في الوالدين. ويكذب الطفل لأنه لم يقوّم منذ البداية على أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه، وأن النفع الذي يعود عليه إنما يرتبط أشد الارتباط بنفع الآخرين أيضاً، وأن الحياة التي نعيشها تعتمد على محورين هامين هما: الأخذ والعطاء... أما إذا كذب الطفل ليمنع منفعة للآخرين فهو الكذب الذي يهدد أمنه وصحته النفسية، لأن الأثانية ترتبط بالكراهية وبالعداء تجاه الآخرين، فالطفل يكذب ليسقط عن أخيه أو صديقه صفة الامتياز أو التفوق، ثم يدعيها لنفسه طمعاً في تقدير أو ثناء أو إثابة، وهو ما يجب أن ينتبه إليه الآباء والمعلمون لتوضيح مثل هذه الأمور للأطفال حتى يقلعوا عن هذا الكذب بلا عنف أو إكراه، مع الاهتمام بتوفير الجو الأسري الصالح.

## • الكذب لمقاومة القسوة والسلطة:

كثيراً ما يكذب الأطفال لأنهم يعانون من قسوة الوالدين أو المدرسة، والكذب سلاح يستخدمه الأطفال لمجرد الإحساس الممتع نتيجة التغلب على مقاومة السلطة الصارمة، إنه إحساس بالانتصار رغم كل القيود. فالطفل بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة يسير في الطرقات العامة، ويرتاد الحدائق والمنتزهات، وعند اقتراب نهاية اليوم الدراسي يهم عائداً إلى المنزل مدعياً أنه قضى في المدرسة يوماً شاقاً مرهقاً!! ويبدو الطفل في مثل هذه الحالات من الكذب رقيقاً كالملاك، يستسلم «ظاهرياً» لأوامر ونواهي سلطة الوالدين، فهو يحاول أن ينفذ أمام أعينهم كل ما يطلبانه ويأمرانه، ولكن حينما يتحرر من هذه السلطة يفعل ما يحلو له محاولاً استنشاق عبير الحرية المسلوب.

لذلك يلزم التنويه بضرورة التخفيف - قدر المستطاع - من حدة القيود والسلطة الأبوية والمدرسية الصارمة، وأن يطلع الطفل مسبقاً على قواعد ومعايير السلوك المرجوة بلا قسر أو عنف، وإذا طُلب منه أداء سلوك معين أو تنفيذ واجب محدد لا يكون بالأوامر والنواهي الصارمة بل بالإقناع بعد توضيح الأمور بصدق دون استخفاف، فينفذ الطفل كل ما يُطلب منه لا عن خوف ورهبة بل عن اقتناع وحب.

### لماذا يكذب الأطفال؟! :

غالباً ما تترافق ظاهرة الكذب عند الأطفال بحادثة معينة أو خطأ مرتكب قد يُسأل أو يُعاقب عليه الأطفال في كثير من الأحيان وهم يعرفون أنهم سيوبّخون أو سيُعاقبون على فعلتهم هذه مما يضطرهم إلى الكذب للدفاع عن أنفسهم، ويرى البعض أن هذه الظاهرة هي جزء من عملية نموهم. وهناك من الكذب ما يشير إلى وجود مشكلة يمكن للأبوين أن يكتشفها ويساعدا على حلها، ولكن يجب من البداية مواجهة ظاهرة الكذب قبل أن تستفحل وتتحوّل إلى مشكلة يصعب حلها، وهناك من الكذب ما يصدر عن جرأة بالفعل ومنه ما هو عوارض تشير إلى مشاكل تعترض حياة الأطفال المعنيين، فإذا بذلنا ما يكفي لاكتشاف الأسباب الخفية لمثل هكذا تصرفات وأظهرنا لأطفالنا أننا نحيطهم بأفضل معاني الرعاية والاهتمام، فإننا كثيراً ما ننجح في إنقاذهم من تلك المشاكل. والأمر هنا ليس بحاجة إلى اجتراع المعجزات إذ ليس المطلوب هنا تحليل كل حالة بهدوء ورباطة جأش لأنه عندما يفقد الطفل مقدرته على التحكم بنفسه فربما تذهب الجهود معه سدى، لذلك يجب الإنصات إلى متطلباته بأحاسيس مرهفة وبتفهم عميق تجنباً من الوقوع في مثل هذه الحالات. وكثيراً ما يسلك الآباء والأمهات في سياق بحثهم عن الحقيقة ممارسة الضغط على الطفل على أمل أن يوصلهم ذلك إلى ما لا يبحثون عنه إلا أنهم بذلك يدفعون الطفل إلى الكذب المتعمد خوفاً وتهرباً من العقاب.

وفي كثير من الأحيان تدخل الأم فجأة إلى المنزل أو الحمام أو المطبخ فترى في يد ابنها زجاجة من الدواء أو ظرفاً من الحب فتسرع إليه وتصرخ في وجهه أو تضطر إلى ضربه وتقول له: وهي مذعورة هل ابتلعت شيئاً من هذه الحبوب؟ ففي هذه الحالة لم يبق أمام الطفل إلا النفي والجواب بكلمة كلا وهي أفضل طريقة عنده للهرب من العقاب مع أنه لا يعي ماذا يفعل وما على الأم أو الأب في هذه الحالة إلا الإسراع إلى الطبيب بدلاً من الدخول في تحقيق مع الطفل ودب الذعر في نفسه.

وبالنسبة إلى مفهوم الكذب عند الأطفال وجد «جان بلاجيت» الرائد في حقل تربية الأطفال عندما سأل الأطفال ما هي الكذبة أجابوا بغالبيتهم إنك تكذب عندما تتفوه بكلام سفيه، وفي سن العاشرة يدرك الأطفال أن الكذب يتعارض مع روابط الثقة المتبادلة إذ على ضميرهم في هذه السن أن يكون قد تطوّر إلى حد يكفي لشعورهم بقول الصدق. فما يريدونه في حقيقة الأمر هو أن نحبهم ونفهمهم ونتعامل معهم بصدق، وعندما نتعامل معهم بشكل يظهر لهم أنهم محبوبون تتولد لديهم الثقة بالنفس مما يسهل عليهم التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم بصدق وإخلاص.

والأطفال لا يولدون صادقين، لكنهم يتعلمون الصدق والأمانة شيئاً فشيئاً من البيئة، إذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم. أما إذا نشأ الطفل في بيئة تتصف بالخداع وعدم المصارحة والتشكيك في صدق الآخرين، فأغلب الظن أنه سيتعلم الاتجاهات والأساليب السلوكية نفسها في مواجهة مواقف الحياة وتحقيق أهدافه. ومن الخطأ الظن بأن الطفل الصغير لا يفرق بين الصدق والكذب فالطفل في مقدوره تماماً أن يفرق بين ما هو صادق وما هو كاذب ولا سيّما المتعلق بالأمر والرغبات الخاصة به. والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكوين اتجاه الصدق والتدريب عليه، يسهل عليه



الكذب خصوصاً إذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان، وكان أيضاً خصب الخيال.

فكلاً الاستعدادين، مع تقليده لمن حوله ممن لا يقولون الصدق ويلجؤون إلى الطرق الملتوية وانتحال الأعذار الواهية - يديرانه منذ الطفولة على الكذب. وعلى هذا الأساس فإن الكذب صفة أو سلوك مكتسب، نتعلمه كما نتعلم الصدق وليس صفة فطرية أو سلوكاً موروثاً.

والكذب عادة عرض ظاهري لدوافع وقوى نفسية تجيش في نفس الفرد سواء كان طفلاً أو بالغاً، وقد يظهر الكذب بجانب الأعراض الأخرى كالسرقة أو شدة الحساسية والعصبية أو الخوف إلى غير ذلك من الأعراض.

### توصيات للأمهات والآباء لعلاج الكذب:

١- إشباع حاجات الطفل بقدر المستطاع والعمل على أن يوجّه الطفل إلى الإيمان بقول الحق وتوجيه سلوكه نحو الأمور التي تقع في دائرة قدراته الطبيعية مما يجعله يشعر بالسعادة والهناء عكس تكليف الطفل بأعمال تفوق قدراته مما يؤدي إلى الفشل والإحباط والكذب.

٢- أما علاج الأطفال الذين يميلون لسرد قصص غير واقعية فيأتي عن طريق إقناع الطفل بأنك ترى فعلاً في قصته قصة طريفة ولكنك بالطبع لا تفكر في قبولها أو تصديقها كحقيقة واقعة أفضل من العقاب البدني الشديد.

٣- يجب أن يشعر الطفل بأن الصدق يجلب له النفع وأنه يخفف من وطأة العقاب في حالة ارتكاب الخطأ يجب أن يقتنع الطفل بأن الكذب يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس والحرمان وعدم احترام الآخرين له.

٤- أما دور الآباء والأمهات فيجب أن يكون حلّهم لمشكلات أطفالهم عن طريق التفكير العلمي الموضوعي السليم وليس عن طريق العقاب الشديد

واحترام الطفل والثقة لأن الأب أو الأم اللذين يقومان بدور المخبر السري عن صدق ابنه يشعره بعدم الثقة فيه. أما إشعار الطفل أنه محل احترام وثقة الجميع فلا يدفعه إلى الكذب.

### كيف نجنب أطفالنا سلوك الكذب:

- يجب توضيح الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين الأفراد بحيث يدرك الطفل الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات حتى لا يلجأ إلى الكذب الذي يحاول فيه - بحسن نية - أن يساعد الآخرين.
- التسامح مع الأطفال في بعض المواقف، مع شرح أخطائهم وإعطائهم الفرصة لتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء غير مرغوب فيها.
- ألا يُسمح للطفل بأن يفلت بكذبه، بل يجب أن نعلمه أننا أدر كنا سلوكه ونعطيهِ الفرصة لتجنب الكذب مرة أخرى، حتى لا يتدعم سلوك الكذب لديه كوسيلة لتحقيق رغباته، أو للتخلص من المآزق التي يقع فيها.
- عدم اللجوء إلى العقاب الشديد لأن الخوف من العقاب من أهم الدوافع التي تجعل الطفل يلجأ إلى الكذب، وأن يكون العقاب - إذا حدث - عقاباً معتدلاً يتناسب مع نوع الخطأ، وأن يعرف الطفل الأسباب التي أدت إلى اتخاذ القرار بعقابه.
- لا بدّ من استخدام الأسلوب العلمي في حل المشكلة، وذلك بالبحث أولاً عن أسبابها ودوافعها، ووضع العلاج المناسب لكل حالة على حدة، فعلاج الكذب الدفاعي يختلف بطبيعة الحال عن علاج الكذب الانتقامي، مع مراعاة أن كل طفل حالة قائمة بذاتها، فأسلوب العلاج الذي قد ينجح مع طفل قد لا ينجح مع طفل آخر.
- لا بدّ أن نعي ونتيقن أنه لا فائدة تُرجى من محاولة علاج الكذب بالعقاب أو الزجر أو التهديد، لأن هذه الأساليب لن تردع الطفل عن الإتيان بالكذب بل

قد تنتسبب في ظهور أعراض سلبية أخرى، فالعقاب يزيد من تعقيد المشكلة بدلاً من انفراجها وإمكانية حلها.

- يجب أن نساعد الطفل على أن يعيش في بيئة توفر له استجابات طبية، بمعنى أن نشبع حاجاته النفسية الملحة والضرورية من حب وحنان وأمن وتقبل لأن ذلك يساعده على الصدق والصراحة والوضوح.

- الطفل يقلد من حوله ويتقمص سلوك الكبار منهم لذلك فعلى الآباء والمعلمين أن يدركوا أنهم القدوة والمثل الأعلى والنموذج، فالآباء الذين يدفعون أبناءهم إلى الكذب إنما يدفعونهم إلى تقليد ومحاكاة سلوكهم.

- يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش في بيئة مرنة ومتسامحة، فنعوده دائماً على المحبة والتسامح، وأن نحول دون تنمية الاتجاهات السلوكية التي تدعم لديه غرائز الكراهية والحقد والانتقام.

- تجنب الطفل المواقف التي تشجعه على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه. فإذا اعترف الطفل بأنه كذب لا نعاقبه البتة، لأن العقاب يشجعه على الكذب ولا يُشعره بالأمن والطمأنينة نحونا، بل يجب أن نبصره بأهمية الصدق ومغبة الكذب.

- يجب على الآباء أن يكونوا أوفياء إذا قطعوا عهداً أو وعداً مع أطفالهم لأن الأطفال قد يصابون بصدمة إذا خالف الآباء وعودهم، ومن ثم فسوف يتحلل الأطفال من الالتزام بالصدق.

ولا ينبغي أن يشفق الآباء عن عجز أبنائهم عن التزام الدقة والصدق في سرد الوقائع، ذلك لأن الطفل يمر بفترة طويلة قبل أن يستطيع التفريق بين الحقيقة والخيال، هذا إلى ما يلحق ذهنه من اضطراب تبعاً لأقوال الكبار. ولأحلام اليقظة والأصدقاء الذين يتوهمهم الطفل أن لديهم في بعض الأحيان نفعاً كبيراً له. وينبغي أن نعرف أن المنافذ التي يمكن أن تظهر منها انفعالات

الطفل أقل كثيراً من الفرص التي تشبع انفعالات الكبار، فلأطفال كثير من الآمال والرغبات والمطامح التي لا يمكن الإفصاح عنها إلا في عالم الوهم ودنيا الأحلام. وليس لنا قبل بمنعهم من التفكير في هذه الأمور وليس من الخير أن نفعل هذا إن استطعنا، بل من الأفضل والأسلم عاقبةً من الناحية العقلية أن نهيب لهم الإفصاح عن أنفسهم.

ولا يلحق بالأطفال أي ضرر إذا أطلقنا العنان لأحلام اليقظة عندهم، فليس فيها ما يهدد سلامة الطفل العقلية إلا إذا أصبحت غاية في نفسها، وأدت بالطفل بعيداً عن حقائق الحياة، واستغرقت منه جماح نفسه، وأغرق في الرضا بها والإدمان عليها. ومن ثم لا ينبغي أن نضيق ذرعاً بتوهمات الأطفال، فكثيراً ما يكون لها في حياة الصغير معنى خاص؛ فإذا لم يحتمل الآباء الإنصات إلى ما يبدو لهم تافهاً صغيراً يصدر عن طفل، فإن الفرصة لن تسنح لهم للوقوف على ما يعرض لحياته من مشكلات جدية خطيرة. ومهمة الآباء تتطلب منهم أن يقدموا العون لأبنائهم كي يستطيعوا التفرقة بين الواقع والخيال، ويتعرفوا على الحقيقة ويدركوا قيمتها. فإذا فعل الآباء ذلك كان لهم أن يوقنوا بأن أبناءهم لن يستخدموا الكذب للتخلص من الحقيقة أو ابتغاءاً للسوء والشر.

## سيكولوجيا تكوين عادة الصدق عند الطفل

«رقي للذات... ربيع للقلب...»

شعاع للضمير... عنوان للفضيلة»

قبل كل شيء، أود أن أجعل من هذه الآية القرآنية العظيمة مدخلاً لهذا الموضوع الهام في حياة الإنسان، حيث يقول المولى جلّ جلاله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين»، ومن ثم أقتبس هذا الحديث النبوي الشريف أيضاً ليكون خير بداية أفتتح بها رمزاً من رموز الفضيلة حيث يقول رسولنا الكريم: صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»، وقد يتراءى للبعض أن الصدق - بمعناه السائد والشائع بين الناس - هو الإخبار عن الشيء دون زيادة أو نقصان، فإذا سئل الإنسان مثلاً عن هذا الشيء أو إذا أراد التحدث عنه يخبر عن ذلك بأمانة وإخلاص، ويورده على حقيقته وواقعه من دون تمويه أو تحريف، ولكن ما هذا المفهوم في الحقيقة إلا مفهوم لنوع واحد من أنواع الصدق وهو صدق الكلام، وإذا أردت وضع تعريف شامل وواسع للصدق فهو: «رقي للذات وربع للقلب وشعاع للضمير ورمز للألفة وعنوان للفضيلة ومنجاة الإنسان» ومن ثم تتدرج تحت هذا المفهوم أنواع وأصناف الصدق الأخرى فصدق المرء مع نفسه يطهرها من الشوائب وينقيها من الدنيايا، كما أن صدق المرء مع الناس يحصد من ورائه احترام الناس ومحبتهم وتقديرهم له، ولكن يبقى أعظم وأسمى أنواع الصدق ألا وهو صدق المرء مع ربه واستشعار مراقبته في كل خطوة وحين، ومن مهام أهداف التربية الخلقية تكوين عادة الصدق، ولا أقصد الصدق في الكلام وحده، ولكن في الفكر أيضاً، بل يبدو

لي أن ثانيهما أهمهما، إنني أفضل من يكذب وهو يشعر أنه يكذب على من يخدع نفسه أولاً من حيث لا يشعر ثم يتوهم أنه فاضل وصادق، والواقع أن الشخص الصادق في تفكيره لا يمكن أن يعتقد أن من الخطأ دائماً أن يقول ما ليس بحق، إن الذين يرون الكذبة إثماً دائماً يضطرون إلى تكميل هذا الرأي بقدر كبير من السفسطة ومن التمرن على الإبهام في القول يخدعون به الناس من غير أن يعترفوا لأنفسهم بأنهم يكذبون، ومع ذلك فإنني أرى أن الظروف التي تبرر الكذب قليلة - أقل كثيراً مما تدل عليه أفعال ذوي العقول الراجحة، والكثرة الكاثرة من الظروف التي تبرر الكذب ظروف تطغى فيها القوة أو يكون الناس فيها مشغولين ببعض الأعمال الضارة كالحرب، ولذا فإن من شأنها في المجتمع الصالح أن تكون أندر حتى مما هي عليه الآن.

### الصدق:

إن العمل بغير الصدق يرجع في الكثير الغالب إلى الخوف، فالطفل المنشأ في غير خوف يكون صادقاً لا بفضل جهد أخلاقي يبذله ولكن لأنه لن يخطر له أن يكون غير صادق، وللطفل المعامل بحكمة، عياناً فيهما الصراحة، وسجية ليس فيها خوف حتى مع الغرباء، في حين يكون الطفل المنهور المقهور في فزع دائم من الاستهداف للتوبيخ، يخشى كلما اتبع سليقته أن يكون قد خالف بعض القواعد، وليس يخطر للطفل الصغير في أول الأمر أن الكذب ممكن، وإمكان الكذب يكون بالنسبة له اكتشافاً يرجع إلى ما يشاهده من الكبار، ويستحثه إليه الفزع فالطفل يكتشف أن الكبار يكذبون عليه، وأن من الخطر عليه أن يخبرهم الصدق، ويتأثر هذه الظروف يأخذ في الكذب، تجنب هذه البواعث فلا يخطر الكذب للطفل على بال.

ولكن لا بدّ من حذر في الحكم على الأطفال هل هم صادقون، ذلك أن ذكريات الأطفال كثيراً ما تخطئ، وهم في الغالب لا يعرفون جواب سؤال حين يظن الكبار أنهم يعرفونه، وحاسة تقدير الزمن عندهم مضطربة مبهمة فلن يستطيع الطفل الذي دون الرابعة أن يميز بين أمس وبين أسبوع مضى،

أو بين أمس أو ست ساعات خلت، وهم يميلون عندما يجهلون جواب سؤال إلى أن يجيبوا بنعم أو بلا حسب ما توحى به نبرات صوتك، ثم أنهم كثيراً ما يتكلمون بلسان شخصية تمثيلية يتخيلونها في أنفسهم، وليس يلتبس عليك هذا عندما ينبئونك جادين أن في الحديقة الخلفية أسداً، ولكن ما أسهل أن يحسب الإنسان لعبهم جداً في كثير من الحالات، لهذه الأسباب كلها يغلب أن تكون أقوال الطفل الصغير غير صحيحة في ذاتها لكن من غير أدنى قصد منه إلى الخداع، بل أن الأطفال ينزعون في أول الأمر إلى اعتبار الكبار ملمين بكل شيء، وأنهم إذن لا يمكن أن يخدعوا، وتسالني ابنتي وسنها (٣ ٢/٤ سنة) أن أقص عليها «من باب الحكاية» ما حدث لها في ظرف معين يههما لم أكن حاضره، وعبثاً أحاول إقناعها بأنني لا أعرف ما حدث، إن الطفل يرى الكبار يحيطون بكثير من الأشياء بطرق لا يفهمها فلا يستطيع أن يضع حداً لمقدرتهم، وفي عيد الفطر الماضي أعطيت ابنتي عدداً من قطع الشوكولاته فأخبرناها أنها ستمرض إذا أكلت منها أكثر مما ينبغي ثم تركناها وشأنها، فأكلت أكثر من اللازم ومرضت، وبمجرد أن مرت أزمة المرض جاءتني يتهلل وجهها وتقول بصوت فيه رنة الفوز: «لقد مرضت يا أبت - أبي أخبرني أي مرض إن فعلت»، وقد أدهشني ما بدا عليها من سرور بتحقق قانون علمي طبقته، ومن ذلك الحين كان من المستطاع أن نأمنها على الشوكولاته على الرغم من ندرة حصولها عليها، وفوق هذا فهي تثق بكل شيء نقوله لها عن الصالح من الطعام وغير الصالح، ولم ننجح في بلوغ هذه النتيجة إلى وعظ أو عقاب أو تخويف، ولكن احتجنا في المراحل قبل ذلك إلى صبر وحزم وهي الآن مشرفة على السن التي فيها يسرق الأولاد الحلوى عادة ويكذبون إذا سئلوا عنها، وأعتقد أنها ستسرق أحياناً، ولكني سأندهش إن كذبت، وإذا كذب طفل بالفعل فإن على الوالدين أن يرجعا باللائمة على نفسيهما لا عليه، وعليهما أن يعالجا الأمر بإزالة أسبابه، وبأن يبينوا له في هدوء وتعقل لماذا كان عدم الكذب خيراً، وعليهما أن يتجنبنا علاج الأمر بالعقاب فإن ذلك إنما يزيد في الخوف أي في الباعث على الكذب.

وبالطبع لا مناص مطلقاً من توشي الكبار الصدق الدقيق مع الأطفال إذا أريد ألا يتعلموا الكذب، فالوالدان يفقدان بطبيعة الحال كل سلطان أدبي على أطفالهما إذا كانا يعلمانهم أن الكذب إثم بينما يعرف الأطفال على الرغم من ذلك أنهما يكذبان، وفكرة التحدث إلى الأطفال بالصدق جديدة كل الجدة فما كان أحد لياخذ بها قبل جيلنا هذا، فقد كان دأب الوالدين أن يصوروا أنفسهم أطهاراً معصومين من الأهواء الشديدة، يسيرهم على الدوام العقل والمنطق، وإذا أنبوا الأطفال أنبؤهم عن أسف لا عن غضب، ومهما وبّخوا لم يحنقوا، ولكن يكلمون الأطفال لمصلحتهم، ولم يكن الآباء يدركون أن للأطفال بصيرة صافية إلى حد مدهش، فهم وإن لم يفقهوا الأسباب الداعية إلى التهويش والاحتتيال، يحتقرونه في صراحة وبساطة، فبواعث الغيرة والحسد التي لا تشعر بها أنت، تتجلى لطفلك، فتجعله يضرب صفحاً عن كل ما تتمقه له من حديث أخلاقي عن خبث هؤلاء الذين كانوا موضع تلك الغيرة وذلك الحسد، لا تدّع أبداً أنك معصوم عن الخطأ وعن زلات البشر، فإن الطفل لن يصدقك، وإن صدقك فلن يزداد بذلك حباً لك، إني لأذكر الآن بوضوح كيف نفذ صبري وأنا في أوائل عمري إلى التهويش الذي كان يحيط بي، وكيف أقسمت إذا قُدّر وكان لي أطفال ألا أكرر الأخطاء التي ارتكبتُ معي، وها أنذا أير بالقسم ما استطعت ونوع آخر من الكذب سيئ جداً للنشئ: أن تهدد بعقوبات ليس في نيتك توقيعها، وقد صاغ «الدكتور بلارد» هذا المبدأ في عبارة قوية في كتابه الممتع عن «المدرسة المتغيرة» إذ يقول «لا تهدد، لكن إذا هددت فلا تدّع شيئاً يحول دون تنفيذ ما هددت به، إذا قلت لطفل افعل ذلك مرّة أخرى وأنا أقتلك، وفعله مرّة أخرى، تحتم عليك عندها أن تقتله، فإن لم تفعل ذهب كل احترام لك عنده» والعقوبات التي يهدد بها المربيّات وجهلة الآباء والأمهات وصغار الأطفال أقل تطرفاً من هذا، ولكن يدخل في نفس القاعدة تجنب الإصرار إلا لسبب قوي، لكن إذا بدأت تصر بالفعل فامض فيه مهما أحسست بالندم على بدئك المعركة، وإذا أردت أن تهدد بعقوبة فلتكن



عقوبة أنت مستعد لتوقيعها، وإياك أن تتكل على البخت في ستر تهويشك أن ينفذ، ومن عجب أن هذه القاعدة يصعب إفهامها لغير المتعلمين من الناس، ومن أبغض ما يفعلونه التهديد بشيء يرعب كتسليم الطفل إلى الشرطة لتحبسه، أو إلى العفريت ليذهب به، فمثل هذا يحدث في أول الأمر فرعاً عصبياً خطيراً ثم شكاً تاماً في جميع الأقوال والتهديدات التي يتفوه بها الكبار، وإذا كنت لا تصر على شيء إلا أمضيته، فسرعان ما يتعلم الطفل أن المقاومة عبث في مثل تلك الظروف، ويطيع الكلمة منك من غير متعبة، لكن من الضروري لنجاح هذه الطريقة، ألا تصر إلا إذا كانت لديك أسباب قوية تدعو إلى الإصرار.

ونوع آخر من الخداع غير المستحب معاملة الجماد كأنه حي، فقد يحدث أحياناً أن بعض المربيات إذا رأين الطفل قد آذى نفسه بالاصطدام بكرسي أو منضدة، أن يعلمنه ضرب هذا الجماد ومخاطبته بقول «كرسي وحش» و«منضدة وحشة»، وهذا يحرم الطفل من مصدر مفيد للتأديب الطبيعي ولو تُرك الطفل وشأنه لأدرك بسرعة أن الجمادات لا يجدي في تناولها إلا المهارة لا الغضب ولا الملق، فيَحْفَزه هذا إلى كسب المهارة ويعينه على إدراك حدود مقدرة الإنسان الشخصية.

يسأل الأطفال غير المكبوتين أسئلة لا حصر لها، بعضها مهم وبعضها غير مهم، كثيراً ما تكون هذه الأسئلة مملة وأحياناً مريكة، لكن عليك أن تجيب عنها جميعاً بالصدق ما استطعت، إذا سألك الطفل سؤالاً يتصل بالدين فقل ما تعتقده بالضبط، ولو ناقضت غيرك من الكبار، وإذا سألك عن الموت فأجبه، وإذا سألك أسئلة يقصد منها التذليل على أنك شرير أو أحمق فأجبه، وإذا سألك عن الحرب أو عن عقوبة الإعدام فأجبه، لا تدفعه عنك بقولك: «إنك لا تستطيع الآن فهم ذلك» إلا في الشؤون العلمية الصعبة مثل كيف يصنع النور الكهربائي، وحتى في مثل هذا بين له أن

الجواب مسرة مدخرة له إلى أن يتعلم أكثر مما يعرفه الآن، وأخبره بأكثر قليلاً مما يستطيع فهمه لا بأقل فإن الجزء الذي يعجز عن فهمه سينبّه فيه الاستطلاع والطموح الذهني.

إن الذين يصدقون الطفل دائماً يجنون ثمرة ذلك زيادة ثقة فيهم، فعند الطفل نزعة طبيعية أن يصدق ما تقوله له إلا إذا تعارض مع رغبة قوية عنده، كما في حالة شوكولا عيد الفطر التي ذكرناها فمتى جرب الطفل صدق ملاحظتك ولو في مثل تلك المسائل، استطعت بسهولة أن تفوز باعتقاده ما تقول من غير حاجة إلى توكيد، لكنك إذا اعتدت تهديده بعواقب لا تتحقق فلن تجد بُدّاً من أن تزداد معه إصراراً وله إرعاباً، ثم في النهاية لا توجد فيه إلا شكاً وقلقاً، استأذنتني ابنتي ذات يوم أن تلعب في جدول ماء فقلت لها لا تفعلي لأنني أظن أن فيه بعض زجاج قد يجرح قدميك، وكانت رغبتها شديدة فتشككت في أمر الزجاج، لكنها اقتنعت وسكنت بعد أن وجدت قطعة وأريتها حرفها الحاد، ولو أنني كنت اخترعت فكرة الزجاج لأمنعها بها لفقدت ثقتها، ولو أنني لم أجد شيئاً منها لكان عليّ أن آذن لها بالنزول إلى الماء، وقد كان من نتائج تجارب متكررة من هذا النوع أن انقطعت تقريباً عن التشكك فيما أبدية لها من أسباب.

### قول الصدق:

خذ مسألة قول الصدق، إن ابن الرابعة المتوسط يقصّ القصص الطويلة وكثيراً ما لا يحسن التمييز بين الحقيقة والخيال، استمتع بخيالاته ولا تعلق أهمية كبيرة على الأسد الذي كاد أن يأكله.

وفي الخامسة فإن الطفل ما زال يبالغ ويقصّ القصص الخيالية ولكنه يبدأ بالتمييز بين الحقيقي والخيالي ويعرف متى يهرج، ساعده عن طريق وصف خيالاته بالزعم وحقائقه بالحقائق.

وحتى في السادسة فإن الكثير من الأطفال يكونون بعبيدين عن قول الصدق، إنهم ينكرون سلوكهم السيئ إذا ما سئلوا مباشرة بالرغم من أن

الدلائل قد تكون أمام أعينهم وكثيراً ما يكذبون للخروج من مأزقهم، وبعضهم الآخر شريف كلامياً ولكنه يغش في اللعب ولا سيما إذا كانوا يخسرون.

وفي السابعة يخف الكذب عما كان عليه في السادسة ويظهر الاهتمام بخطأ الكذب والغش ولا سيما مع الأصدقاء.

وفي الثامنة يكون كثير من الأطفال صادقين في الأمور التي يعتبرونها هامة، ولكن ميل ابن الثامنة للتوسع يقوده إلى رواية قصص طويلة وإلى بعض التبجح، ومع ذلك فإن ابن الثامنة يفرق بين الواقع والخيال وكثيراً ما يحاول اكتشاف ما إذا كان الراشد يصدقه وإنك لتستطيع مساعدته هنا إذا قلت له «هذه قصة جيدة يا فلان ولكن ما الذي وقع فعلاً؟».

والكثير من أبناء التاسعة صادقون بالرغم من أنهم قد يقولون إنهم قد غسلوا أيديهم حين يكونون نسوا غسلها، أو قد يدعمون أماً أو أختاً لهم بكذبة، إنهم في معظم الأحيان يقولون الحقيقة. إننا كوالدين قد نقدم خير النصائح ونضرب أحسن الأمثال ولكننا يجب أن نذكر دوماً أن قدرة الطفل على تقبل النصائح والإفادة منها إنما تنمو ببطء وأن على الطفل أن يتعلم الشيء الكثير، ويجب أن لا نشعر بكثير من خيبة الأمل إذا ما اقتترف الطفل الكثير من الأخطاء فيما يخص هذه الأمور.

وعند بعض الأطفال القلائل يأتي قول الحقيقة باكراً جداً، وهذا يحدث في معظم الأحيان عند الأطفال الذين يكونون أخلاقيين بشكل استثنائي، إنهم، منذ أعمارهم الباكرة، يتصرفون بطرائق يوافق عليها الراشدون ويفضلونها. إن مثل هؤلاء الأطفال يبدون وكأنهم يلتقطون الطرائق الأخلاقية للسلوك، وإذا ما أعطيت لهم التعليمات عن قول الصدق والشرف وما إليهما فإنهم يتمثلون هذه التعليمات حالاً ويطبّقونها للتو، ويبدو بعضهم كثير التصلب فيما يخص حسهم الأخلاقي، إنهم يبدون وكأن الأمر قد ألصق بهم ولم يمرّوا هم بخبرة تجريب الأمرين، أمر قول الصدق وأمر عدم قوله، ثم اختيار الأنسب.

والشيء الأهم الواجب تذكره هو وجود طبع أساسي، فيما يبدو، يتقبل تعليمات الآخرين وبسبب هذا السلوك الأخلاقي السامي، «يميل أمثال هؤلاء الأطفال إلى أن يكونوا متشددين في العادات الحميدة (Manners) إنهم يحبون الأوضاع الاجتماعية الرسمية وكثيراً ما يكونون غير سعداء إذا قسروا على الأكل في المطبخ بدلاً من الأكل في غرفة الطعام المرتبة ترتيباً حسناً».

وفي النهاية المقابلة لهؤلاء الأطفال الأخلاقيين نجد الأطفال المبدعين الخياليين الذين يجدون صعوبة بالغة في سنيهم الأولى من الحياة في التفريق بين الحقيقة والخيال والذين ينتقلون بسرعة من الواحد إلى الآخر، وذلك وفق خيالهم أو تصورهم، إنهم أولئك الذين يميلون ما مالت الحياة ويجدون من الصعب عليهم الاختيار أو التوجه وإنه لمن الصعب أحياناً على والدي أمثال هؤلاء الأطفال أن يميزوا عندهم بين الخيال المبدع الذي يجب تشجيعه والغش المقصود الذي يجب تثبيطه، وفي بعض الأحيان يتمازج الاثنان لدرجة أن الفرد قد يصل حد خداع نفسه، ولاشك في أن هذا الوضع محزن ويحتاج إلى معالجة ليستطيع الطفل أن يميّز من خلالها بين الحقيقة والخيال.

### نصائح عامة لتعليم الطفل عادة الصدق:

١- يجب أن نتبين هل الكذب عارض... أم أنه متكرر مزمن، والدافع أو الدوافع له.

٢- يجب أن ندرك أن الكذب قد يكون عرضاً، وقد يكون مصحوباً بأعراض أخرى كالسرقة أو شدة الحساسية أو العصبية الزائدة ونوبات الغضب، لذلك فإن علاج الحالة يجب أن يبحث عن الدوافع والحاجات النفسية التي تسببت في ظهور هذا العرض أو هذه الأعراض.

٣- لا جدوى من علاج الكذب بالعقاب والتهديد والتشهير والسخرية. إن العقاب والتهديد لن يردعا الطفل عن الكذب بل سيتسببان في أعراض أخرى كما أن التشهير والسخرية لهما أثر ضار للغاية على شخصية الطفل.

٤ - إن العلاج يجب أن يبدأ بالبيئة التي يعيش فيها الطفل أو الحدث، من حيث أسلوب المعاملة والحياة الاجتماعية للطفل... يجب أن تساعد الطفل على الحصول على استجابات طيبة مع الأصدقاء والراشدين... وبمعنى آخر يجب أن نشبع في الطفل حاجاته النفسية الضرورية، وهي الشعور بأنه محبوب والشعور بالثقة في النفس، ذلك لأن توفير جو المحبة و الشعور بالأمن للأطفال يساعد الطفل على الصدق.

٥ - يجب أن يدرك كل من في البيئة خصوصاً الآباء أن الطفل يتقصد سلوك من حوله، ومن ثم يجب أن نكونوا قدوة للأطفال، فالآباء والأمهات الذين يتباهون بالأكاذيب يدفعون أبناءهم إلى تقليدهم في سلوكهم.

٦ - يجب أن نتيح للطفل فرصاً للمغامرة المعقولة والاستمتاع بحياة مشوقة فالحماية الزائدة للطفل ومنعه من الاختلاط واللعب والتفاعل الاجتماعي تضر بشخصيته وتدفعه إلى الكذب وتجعله يتطلع إلى المشاركة الوجدانية في السلوك الاجتماعي لأقرانه وتشعره بالكبت والضيق والملل.

٧ - يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش في بيئة مرنة متسامحة، وأن نعوّده على الحب والتسامح، وأن نبعده عن تنمية الاتجاهات السلوكية التي تدفعه إلى الكراهية والانتقام ولا يتأتى ذلك أبداً عن طريق النصائح والمواعظ، فهذه لن تجدي شيئاً لطفل تعلم الكذب وتعلم حب الانتقام والكراهية، إنما يكون العلاج عن طريق القدوة الحسنة وعلاج دوافع سلوكه السلبي وأسبابه في البيئة.

٨ - يجب أن نتجنب الظروف التي تشجع الطفل على الكذب، وتضطره للدفاع عن نفسه، ويجب إذا اعترف الطفل بكذبه ألا نعاقبه لأن عدم عقابه يشجعه على قول الصدق ويشعر بالأمن والطمأنينة نحونا.

٩ - يجب أن نكون أوفياء إذا قطعنا عهداً مع الطفل لأنه يصاب بصدمة قوية إذا خالفنا الوعد ومن ثم يتحلل من الالتزام بالصدق في أقواله.

١٠ - يجب أن نقلل على قدر الإمكان من النصح والوعظ كأسلوب علاجي ذلك لأن العلاج يجب أن يعتمد على دراسة الأسباب والكشف عنها وعلاجها.

## وخلصه القول:

يجب علينا إشباع حاجات الطفل النفسية، وأن ندرك متى يمكنه أن يفرق بين الواقع والخيال فنصره بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ونشجعه على ذلك.. مع عدم المبالغة والقلق على تنشئة الطفل على الصدق.. فإن الطفل إذا نشأ في بيئة شعارها الصدق قولاً وعملاً فإنه ينشأ صادقاً وأميناً، ولا يعاني الشعور بالنقص ومن ثم يلجأ إلى التعويض أو المراوغة أو الانتقام أو العناد عن طريق الكذب، سيما وأنه ربما يعيش في بيئة كلها خداع ورياء، وإذا نشأ الطفل خالياً منهما فإنه يحتقر الكثير مما تواضع الناس على احترامه، وهذا مما يؤسف له، لأن الاحتقار عاطفة سيئة، ولا نرى أن ننبه الطفل إلى مثل هذه الأمور، وإن كنا لا نتحرّج كلما اتجه إليها من أن نرضي حب الاطلاع عنده، والصدق عقبة في سبيل صاحبه في مجتمع يسوده النفاق، لكن هذه العقبة يرجحها ويفوقها فوائد عدم التهيب الذي بدونه لا يتأتى للإنسان أن يكون صادقاً.

إننا نحب لأبنائنا أن يكونوا مستقيمين صرحاء يحترمون أنفسهم. وحرّي بنا أن نؤثر أن يفشل أولادنا لاتصافهم بهذه الصفات على أن ينجحوا بأساليب الذل، فالآدمي الماجد لا بدّ له من قدر من العزة الذاتية والاستقامة وحيثما وجد هذا استحال الكذب إلاّ عندما يمليه وازع خير، وأننا لنؤثر أن يتصف أطفالنا بالصدق في تفكيرهم وفي أقوالهم ولو جرّ ذلك عليهم سوء الحظ في الدنيا، لأن الأمر هنا أهم من الغنى والجاه.

وفي الختام، فإن كل ما بوسعنا هو أن نتوجّه بالدعاء للمولى - عزّ وجل - ليشفي كل الأطفال في العالم وفي مجتمعنا العربي على وجه التحديد شفاهً عاجلاً يكرّس في ذواتهم عادة الصدق وفي نفوسهم العزة والاستقامة والصراحة... لأن الصدق مقياس لرقى الذات...

## سيكولوجية اللعب

ينقضي جانب كبير من حياة الطفل في اللعب أي في تسلية نفسه والمتعة بتسلية الآخرين إيّاه، ومن ثم كانت مختلف لعبه وأصحابه والمونال الذي يملأ به وقته أمور بالغة الأهمية، ويلقى الطفل خلال اللعب أوّل دروسه في ضبط العضلات وتدريب الحواس وإنماء المدارك، هذا إلى أن التدريب والخبرة يسيران جنباً إلى جنب، لهذا كان من اللازم أن نلم بأنواع الخبرة التي ينبغي أن يمر بها الصغير، وبصنوف الأدوات التي تيسر أمر التدريب.

والطفل قبل الثانية من عمره لا يحفل كثيراً بغيره من الأطفال، إذ هو يرنو ببصره إلى الإفادة والتعلم من الكبار البالغين، ومن الأصحاب الذين يكبرونه، ومن المحيط العجيب الذي يعيش فيه، بل إن الحظ لو واثاه لأتاحت له فرصة للتعلم من الرضيع الصغير الذي وكلت إليه العناية بجانب من شأنه على أنه بعد سن الثانية يبدأ في ملاحظة غيره من صغار الأطفال، وهو يقتصر على أن يرقبهم أثناء انصرافه إلى لعبه الخاص، لكنه يرتاح إلى وجودهم على كثر منه.

وقلماً يندفع الأطفال من تلقاء أنفسهم إلى اللعب جماعات وهم بعد في رياض الأطفال، لكن وجودهم معاً يكسبهم عادات أساسية مثل «متاعي ومتاعك»... «عش واترك الآخرين يعيشون»...

وبعد سن الثانية لا ينبغي أن يقتصر الطفل على صحبه الكبار فحسب مهما بلغ عطفهم عليه أو حكمتهم في رعايته أو ملاحظتهم إيّاه، فإذا لم يكن بُد من أن يكون في حياته جانب كبير من صحبة الكبار، وجب أن يلتزم هؤلاء قاعدتين لا بدّ من التزامهما في كل صلة تقوم بين الكبار والصغار: حيث

تحتم القاعدة الأولى عدم التدخل في شأن الطفل أثناء انصرافه إلى عبثه ولعبه إلا إذا استلزم نظام طعامه أو نومه ذلك، أو تعرض هو للخطر.

أما القاعدة الثانية فتحتم وجوب خضوعنا لزعامة الصغار إذا أرادوا اللعب معنا، نتقبل الفكرة أو الخطة التي يرسمونها ولا نفرض عليهم ما نودُّ نحن في اللعب، هذا بالإضافة إلى ما يجنيه الطفل من معلومات جديدة من ملاحظته أشكال استجابتنا على مختلف الأفكار التي يبديها هو، وفيما بعد الثانية ينبغي أن يصرف الشطر الأكبر من أوقات لعبه مع غيره من الأطفال الذين يماثلونه في السن أو يزيدون عنه قليلاً، والشطر الأصغر مع الأطفال الذين يصغرونه أو الذين يكبرونه بكثير، على أنه بعد سن الثالثة يكون من الخير أن ندعه يقضي بالتدرج جانباً أكبر من وقته مع مَنْ يصغرونه من الأطفال، ففي هذا تدريب على ضبط النفس والسماحة وبذل العون والعطف والحنان وغير ذلك من الصفات اللازمة لخيرته وخير الناس.

### اللعب .. أسطورة حب، يتمنى كل طفل أن يعيشها:

يؤكد الخبراء أنّ اللعب وسيط تربوي فعّال، لتشكيل شخصية الطفل. فعالم الطفولة عالم غريب عجيب ولكن كل شيء فيه جميل ومحبيب، واللعب مفتاح حياة أطفالنا، معه يكبرون وتفتح أذهانهم، وتبدأ نشاطات لانهاية لها، وهو عملية نمو تبدأ مع الطفل منذ حركاته الأولى، ومع تطور ذكاء الطفل يصير أكثر تعقيداً، فاللعب بالدمى يجتذب الطفل، منذ مرحلة مبكرة، ويصل إلى ذروته في العام السابع أو الثامن من العمر.

وبعد التحاق الطفل بالمدرسة، تبدأ اهتماماته باللعب في التغير، فخلال العام الأول أو العامين الأولين، في الحياة المدرسية، يجري التداخل بين أنشطة اللعب المميّز لمرحلة الطفولة المبكرة من سن (٣-٦) سنوات، وتلك المميّزة لمرحلة الطفولة الوسطى من سن (٦-١٠) سنوات.

تظل أنشطة اللعب المحببة إلى الصغار في الطفولة المبكرة قائمة لسنوات قليلة وتنمو في الوقت نفسه اهتمامات جديدة للعب. ففي البداية



يكون الطفل شغوفاً بألعاب الجري، ثم تصبح الألعاب الرياضية القائمة على قواعد محددة هي تسلية المفضلة بعد ذلك، ولكن الطفل قد يتطور لعبه في نوع معين من الألعاب، منذ الطفولة، وحتى سن أكبر قليلاً، فمثلاً لعبة المكعبات تقتصر في المرحلة الأولى على الحمل وتجميع مجموعات غير منتظمة، أما في المرحلة الثانية، فتتطور إلى تكوين صفوف وأعمدة من هذه المكعبات، وفي المرحلة الثالثة تنمو قدرة الطفل على عمل نماذج منها، وتتضح بعض الطرق التي يتبعها في بنائه للمكعبات. وفي المرحلة الأخيرة يقوم ببناء تكوينات حقيقية، تُعبّر عن معانٍ متكاملة، ويستطيع إعادة البناء مرّة أخرى.

عندما يكبر الطفل يجد نفسه مطالباً بالإقلال من الوقت الكثير، الذي يقضيه في اللعب، فهناك وقت للمدرسة والمسؤوليات المترتبة عليها، لذلك يجب عليه التنسيق بين دراسته ولعبه، وهذا جانب مهم يجب على الأسرة أن تهتم به وتُثميه لدى الطفل، حتى يستطيع أن يستمتع بلعبه حين يلعب، ويرضى عن دراسته حين يدرس، وبعد أن يبدأ الأطفال بالنمو، عاماً بعد عام، يظهر تحوّل كفي في نشاط اللعب لديهم، حيث يتناقص النشاط الجسمي المبذول في اللعب كلما كبر الطفل، في حين يزداد الميل إلى أنشطة اللعب ذات الطابع العقلي والمعرفي، فالطفل في السنوات المدرسية الأربع الأولى يُفضّل الألعاب الرياضية النشطة، تسيطر عليه في سن المراهقة المبكرة، والطفولة المتأخرة، أشكال معينة من اللعب مثل مشاهدة التلفزيون والقراءة، وإجادة ألعاب رياضية معينة. ويتناسب هذا التغير الكيفي، في عملية النمو العقلي والمعرفي، والذي يبدأ بالمظاهر الحسية الحركية، في مرحلة المهد، حتى يصل في مرحلة المراهقة، مع المستويات التجديدية للذكاء الإنساني.

وكثيراً ما يصاب الآباء والأمهات بالحيرة عند رؤيتهم لأطفالهم، يمضون الساعات الطويلة، وهم منهمكون في لعب متواصل وحركة لا تهدأ ورغم طول الوقت فإنهم لا يملون ولا يتوقفون، وإزاء هذه الحالة فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو: هل اللعب حاجة ضرورية وصحية للطفل، يجب

العمل على إشباعها لتحقيق النمو والانطلاق والاستكشاف، أم أننا يجب أن نلفت نظره وانتباهه إلى أشياء أخرى أكثر جدية؟ الأمر الذي يدعو لمعرفة ما هو اللعب؟ وما ضرورته؟

### جوهر اللعب وطبيعته:

إنَّ اللعب هو ذلك النشاط الحر، الذي يُمارس لذاته، وليس لتحقيق أيِّ هدف عملي، وجميع الأطفال يقومون باللعب إلّا إذا منعتهم من ذلك حالة جسديّة أو نفسيّة غير صحيّة، مثل مرض جسدي، أو عاهة ما. وثمة أشكال مختلفة للألعاب: فهناك الألعاب الحركية، والتعليمية، والتمثيلية، والتركيبيّة، وتحمل الألعاب الإبداعية والدورية (التي تتطلب القيام بدور معيّن) أهمية كبيرة في نمو الأطفال، من السنة الثانية حتى السابعة، ممّا حدّا بالعديد من العلماء أمثال «ليوننيف، والكونين، وزابار، وجيتس»، لأن يطلقوا على اللعب الدوري اسم النشاط الرائد للطفل، في مرحلة ما قبل الدراسة.

إن الأهمية الكبرى للعب في حياة الأطفال الصغار، وتنوعه وتشابهه عند أطفال من شتى البلدان، وفي مختلف المراحل التاريخية، وطول الوقت الذي يقضيه الأطفال في ممارسة هذا النشاط، كل ذلك دفع العديد من العلماء للبحث عن تفسير طبيعة هذا النشاط الطفولي المدهش وأصله، ولعلّ أكثر نظريات اللعب شيوعاً وانتشاراً في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، هي نظرية «غروس»، حيث اعتبر أنّ اللعب هو إعداد العضوية الفنية إعداداً لا شعورياً للحياة. فالطفلة في عامها الثالث تستعد، بصورة لا شعورية، للقيام بدور الأم حين تضع دميته، وتهدهدها كي تنام، وهكذا فإن مصدر اللعب هو الغرائز، أي الآليات البيولوجية. ولقد اعتمد وجهة النظر هذه كثير من العلماء، مع تعديلات طفيفة، حيث فسّر كل من «شيلروغ وسبنسر» اللعب على أنه تصريف بسيط للطاقة الزائدة التي يخترنها الطفل، ولمّا كانت هذه الطاقة لا تتفق في العمل فقد تجلّت في اللعب.

أما العلماء أمثال «سيكورسكي، وكابتيرف، وشينسكي» فقد فسروا طبيعة اللعب بصورة مغايرة، ومن مواقع مختلفة تماماً، واعتبروا اللعب نشاطاً إنسانياً أصيلاً، ثم جاءت «كريسكايا ومكارنكو» وغيرهم ليضعوا تحليلاً عميقاً للعب، ولْيُفسروا نشاط الأطفال تفسيراً صحيحاً.

### خصائص ألعاب الأطفال:

أولاً: اللعب شكل من أشكال الانعكاس الفعّال لحياة المحيطين بالطفل، وقد بيّنت دراسة الأشكال الأولى، للعب ونموه عند الأطفال الصغار، أنها تنشأ على أساس التقليد والأفعال التلمسية للأشياء. فعندما يقوم الأطفال بلعبة رجال الفضاء والأطباء، الذين يعالجون الناس من أذح العلل، التي لم يتوصل بعد لإيجاد العلاج لها، فإنهم يجلّون مشكلات مهنية، وهي مشكلات عميقة جداً، أي أن الطفل يعكس في اللعب حياة الراشدين، وكلّما كانت إمكانات الفعل النشط كبيرة، كان اللعب أكثر متعة، ولذلك فمن الأفضل أن يكون طبيياً عوضاً عن أن يكون مريضاً، وممثلاً بدلاً من أن يكون مشاهداً، وسائقاً لأن هذا أمتع بكثير من أن يكون راكباً.

وهذا يعني أن معظم ألعاب الأطفال ليست مجرد لهو وتسلية، بل إنها تشكل حلم الطفل إزاء غَدِهِ، ويحثه الأول عن رسالته في الحياة، وسعيه لأن يقتدي بأكثر سلوك الكبار إجلالاً وبأجلّ أعمالهم.

ثانياً: إن اللعب يتحقق عن طريق الأفعال المركّبة، ليس بالحركات المتقطعة «كما هو الحال في الأشغال والكتابة والرسم». وتتضمّن هذه الأفعال الكلام: فالأطفال الكبار يضعون خطة اللعبة ومحورها، ويطلقون على اللاعبين أسماء معينة، ويطرحون أسئلة خاصة بكل منهم، ويطلقون أحكاماً على سلوك الشخصيات الأخرى ويؤمّونها، لمّا كان الطفل يستعيد، من خلال أفعاله وكلامه، حياة الراشدين الفنية والجذابة والممتعة، فإنه يُقبل عليها بحماس منقطع النظير، «فالممرضة» تقلق على صحة المريض، «والطيّار» يهبط بطائرته على الجليد بشجاعة، وكلّما نصادف بين الأطفال الذين يلعبون

لعبة الجواسيس الجبناء الذين يقعون في الأسر من «باحوا للأعداء» بالسر، بغض النظر عن أن للألعاب قوانينها الصارمة.

ثالثاً: إن للعب، مثل أي نشاط إنساني آخر، طابعاً اجتماعياً، وهذا ما يجعله يتغير مع الظروف التاريخية لحياة الناس، وبما أن ألعاب الأطفال تعكس الحياة، فإنها تتغير تبعاً لتغيرها.

رابعاً: يعتبر اللعب شكلاً من أشكال الانعكاس المبدع لواقع الطفل، لذا لا يمكنك أن تتصور طفلاً صغيراً لا يحب الألعاب. ولكن الأطفال حين يلعبون فإنهم لا يحاولون نسخ الواقع نسخاً ميكانيكياً وبيعاً، بل يضمنون ألعابهم الكثير مما يخلقونه ويتخللونه ويُرَكَّبونه من بنات تصوراتهم. ولعلَّ حرية الاختلاق والإمكانات غير المحدودة على التأليف، التي لا تخضع لاهتمامات الطفل ورغباته وإرادته، هي مصدر السعادة العميقة والدائمة التي يحملها اللعب الإبداعي للأطفال. وتعكس هذه الألعاب الحياة الحقيقية للناس بما تحتويه من أحلام ومشاريع وابتكارات رائعة. فهناك الراديو والتلفاز والآلات ذاتية التشغيل، وهي لا حدَّ لها بالنسبة لخيال الطفل الخصب على الأقل، ولذلك فإن الطفل يستطيع الوصول إلى كل شيء، وعمل كل شيء من خلال اللعب.

وفي لعب الأطفال الإبداعي يتعانق الواقع مع الخيال، والسعي لاسترجاع الواقع مع الخيال، والسعي لاسترجاع الواقع بدقة «هذا يحدث» و«هذا لا يحدث» مع التشبيهات المقصودة للواقع على نحو مدهش.

وبقدر ما يتمتع الأطفال بإمكانات أكبر على الاختلاق وإعادة التكوين المبدع للواقع المنعكس، بقدر ما يكون اللعب أكثر متعة وإرضاء للأعين أنفسهم. فإذا شاهدتم وأنتم تطلّون من النافذة، أن بعض الأطفال يقفزون من سطح مكان مرتفع إلى كومة الرمال، فلتعلموا أنهم فتحوا باب السفينة الفضائية ببسالة، وقفزوا من هوة الكون السحيقة. وخلال هذا الخيال فإن اللحظة التي يجب فيها القفز عن السطح تستدعي توتراً وتحفيزاً للإرادة. ولعلَّ

من الخطأ أن نقطع عليهم رحلتهم الخيالية بصورة حمقاء، لأنهم في هذه الأعمال يشبّون، وكم تهذبت لديهم من الخصال خلال الألعاب.

خامساً: اللعب هو استخدام للمعارف ووسيلة لتدقيقها وإغنائها، وطريق للتدريب، ونمو لقدرات الطفل وقواه المعرفية والأخلاقية: فلكي يبدأ الطفل اللعب «في المخزن» أو «المكتبة» أو «سكة الحديد» لا بدّ من أن يعلم شيئاً عن كيفية عمل البائعين والمشتريين، كما لا بدّ من أن يعلم ما يعمله الناس في محطة القطار، ومن يعمل هناك. فإن مراقبة الأطفال لحياة الراشدين وعملهم تسبق لعبهم عادة. فعندما يقود المربي الأطفال في الرحلة ويعرّفهم على عمل العاملين بورشة الخياطة، ونشاط عمّال السكك الحديدية وعمّال الطباعة، إنما يقدّم لهم إمكانية تكوّن انطباعات محددة عن هذا الجانب أو ذاك من الحياة العملية للناس.

غير أن هذه الانطباعات غالباً ما تكون فجّة وغامضة، ممّا يجعل النظر فيها أمراً ضرورياً. ومن هنا يمكن اعتبار الألعاب بالنسبة للأطفال وسيلة لتحليل ما تكوّن لديهم من انطباعات. وبما أن الأطفال لا يستعيدون في أفعالهم الظاهرة الاجتماعية التي رأوها، فإن أسئلة المربي وملاحظاته وأفعاله تساعد الأطفال على تحليل الانطباع المنعقد، وتكشف لهم عن جوانب الحادثة، التي لم يروها أو لم يدركوها بشكل صحيح عن طريق إدخالها في لعبهم، فالأطفال يستوعبون ظواهر الحياة المعقّدة حين يتلقون إجابات عن تساؤلاتهم وفي الوقت الذي يجري فيه الدخول في التفاصيل تصبح معارف الأطفال أكثر تعميقاً وترابطاً. كما أنهم يعرفون ما يحيط بهم على نحوٍ أعمق لدى توقّفهم عن اللعب تنظيمياً تريبوياً سليماً ووسيلة فعّالة لنمو الملاحظة، والذاكرة، والتفكير، والخيال المبدع، والإرادة، عند الأطفال، فالطفل حين يقوم بهذا الدور أو ذاك، فإنه يخضع عن طيب خاطر، للقواعد التي تنظم هذه الشخصية في الحياة. لذا فقد ظهر اتجاه يستهدف توظيف أساليب التربية القائمة على مبدأ اللعب الحر والنشاط الذاتي، لمساعدة الطفل على اكتشاف بعض

المهارات، التي لا يستطيع أن يكتسبها من خلال اللعب الحر وحده. وهذا التدخل المقصود في عملية التعلّم يتم بطريق غير مباشر، وذلك بإعداد وتهيئة البيئة التربوية المناسبة، والتخطيط المسبق للأنشطة والخبرات، وتوفير الإمكانيات والمواد والأدوات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة للبرامج والأنشطة المختلفة.

سادساً: إن اللعب في شكله الواسع هو نشاط جماعي: فجميع المشتركين في اللعب يتعاونون فيما بينهم، كما أن لعب الأطفال الكبار الموسّع يُوحّد جميع المشتركين فيه تحت فكرة واحدة. ويحمل كل لاعب قسطاً من الخيال والخبرة والفعالية، لتطوير الفكرة الجماعية، ويخضع في الوقت نفسه للقواعد التي يُملئها عليه الدور الذي أخذته على عاتقه.

ولعلّ معاناة الأطفال الذين يستهويهم النشاط الإبداعي المشترك، واللعب الذي يعكس الحياة، بكلّ ما فيها من مغامرات ومخاطر وأفراح واكتشافات هي القاسم المشترك بينهم جميعاً. ومع أن الأطفال يعرفون دوماً أن الكثير ممّا يجري هو مجرد «تمثيل» أو «اختلاق»، فإن ذلك لا يمنعهم من معاناة مشاعر حقيقية أثناء إسهامهم في حياة الراشدين، التي يلاحظونها وهذا يعني أن ظروفًا ملائمة للغاية تولد في اللعب ومن شأنها تنمية العلاقات الجماعية والمشاعر الإنسانية لدى الطفل. كما أنّ أسمى خصائص الإرادة، وأنبّل المشاعر الإنسانية، تتكوّن في هذه الألعاب، وعلى هذا النحو يصبح اللعب وسيلة فعّالة من وسائل معرفة الواقع ونمو أفضل صفات الشخصية.

### وظائف اللعب:

اللعب هو الفرصة الوحيدة التي يستطيع الطفل من خلالها أن يتصرف بعيداً عن الممنوعات والأوامر والتنبيهات، التي وضعها الآباء والكبار بشكل عام واللعب يؤمّن للطفل جواً من الحرية، ويهيئ له أن يعيش أحداثاً، رَغِبَ في أن تكون قد حدثت له، ولم تحدث، فتخيّلها عن طريق اللعب. وفي ذلك يقول عالم النفس «فرويد»: إنّ الطفل يندفع إلى اللعب نتيجة معاناته الشعور

بالنقص. فانعدام قدرته على أن يكون طبيباً أو سائقاً أو مربياً، بشكل فعلي، يدفعه إلى القيام بهذا الدور في اللعب، وفي هذه الحياة الخيالية احتيال الطفل على أهوائه ورغباته. والأطفال يكتسبون من اللعب خبرات ومهارات حركية تعطيهم الثقة بالنفس وتجعل نموهم سليماً. فللذين يرغبون أن يروا، دائماً، في ألعاب الأطفال العنصر العقلاني، نقول إن هذا العنصر موجود، فإذا كان الأطفال أثناء جلوسهم على شاطئ النهر، يحلمون في وقت ما أن يبحروا على جناح موجات المحيط الخضراء، فإنهم يتعلمون بدأب كبدائية عبور هذا النهر ذاته، الذي يجلسون على شاطئه سباحة، وعندما تغمرهم مياهه الباردة سريعة الجريان، وهذا الطموح يتطلب إرادة قوية، فإنهم يتصورون أنفسهم بحارة بوسائل. واللعب يكسب الطفل معارف جديدة، وعلى استعمالات متعددة لشيء واحد. فالأطفال لا يقومون بنسخ اللعبة حرفياً مهما كان عدد مرّات إعادتها كبيراً إنهم في كل مرة يلعبون من جديد وبصورة جديدة، فهنا يسقطون شيئاً ما، وهناك شيء جديد يضيفونه بينما يفصلون في موقع آخر.

وما دامت معالجة الموضوع المختار قائمة، فإن اللعبة تعيش وتعتني بفكر الأطفال وأحلامهم وخيالهم. وعندما يكتمل الموضوع، أي عندما لا يتمكن الأطفال أنفسهم من إدخال أشكال جديدة. فإن اللعبة تتوقف وينتهي اللعب. واللعب يساعد الطفل على التخلص من الصراعات الداخلية ويخفف من حدة التوتر والإحباط. ومن العيب أن نجبر الطفل على القيام بعمل لا ينبع منه تلقائياً، لأنه يكون ضد طبيعته، وبعيداً عن فطرته. وخير مثال على ذلك هو المشاجرات الوهمية، التي يقوم بها الأطفال ويتخيلون، مثلاً أنهم يضربون من هم أكبر سناً منهم «لعبة المدرسة» التي يقوم الأطفال بدور المعلم والطلاب، ولعبة «بيت بيوت» التي يتقاسم الأطفال فيها أدوراً مختلفة، وكذلك الأماكن فكل بيته وأشياؤه، وهناك الأم والأب والابن والجار والجار ومعلمة المدرسة، ويقومون بأفعال مختلفة، وكل ذلك بشكل إيهامي، وفي هذا النوع من اللعب يتدرب الطفل على أدوار مختلفة إضافة إلى نموّه الاجتماعي.

ويخطئ الأهل حين يمنعون أطفالهم من ممارسة هذا النوع من اللعب الإيهامي، ظناً منهم أنه قد يعلم الطفل الكذب أو يغرقه في الخيال ويبعده عن الواقع. وهذا طبعاً غير صحيح، لأن اللعب الإيهامي مهم، ولأن الطفل حين يمسك شيئاً يشبه البندقية ويطلق منها النار، أو حين يمسك شيئاً يشبه الإبريق ويتعامل معه على أنه إبريق شاي، إنما يعبر عن ذلك بشكل رمزي.

والرمزية في التعبير، هي الأساس لكل تفكير ناضج فيما بعد، وبذلك فإن تشجيع الطفل على هذا النوع من اللعب إنما يقدم له فرصة تنمية قدراته المعرفية، التي تُمكنه من الإمساك بأسلوب التعامل الصحيح مع العالم الواقعي مستقبلاً.

ولأهمية هذا النوع من اللعب للأطفال نقول أيضاً إنه يشبه التمثيل الدراسي إلى حد كبير، فالأطفال يقومون بتوزيع الأدوار، فيما بينهم، ومن ثم يمثلون وهم على بيئة ومعرفة بخصائص الشخصية التي يؤدونها، أي أن اللعب الإيهامي هو نوع من التدريب على التفكير الإبداعي، وقد وجد العلماء أن الأطفال الذين يلعبون هذا النوع من اللعب، يتسم سلوكهم بالجدية والتعقيد والتنوع والمرونة، وتحمل التناقض، وهي جميعاً صفات سلوكية لازمة للإبداع.

ولقد أكد المربي والخبير بنفسية الطفل «ماكارنكو» ما يلي: «يصعب عليك أن تتصور موضوعاً لم يكن قد طرحه الأطفال».

ولم تعد القضية تكمن في أية مواضيع يتم عرضها على الأطفال، فليست هناك مواضيع محرمة، بل كيف تطرح عليهم هذه المواضيع، فبصورة مفهومة وواضحة يمكن أن نتحدث مع الأطفال عن الحياة في كل أشكال ظهورها، حول الخير أو الشر، الكذب أو الحقيقة، الشر أو الخسة، الشهامة أو الجبن، فلا بدّ للأطفال من غذاء روحي غني، إنهم في حاجة إلى فن ذي مستوى فكري رفيع، يُربي فيهم الشعور الجمالي الرفيع ويؤدّد لديهم الحافز للعمل من أجل تحقيق المثل العليا.



مما تقدم نستنتج أن اللعب كشكل من أشكال النشاط مفيد لبنية الطفل النفسية وضروري أكثر من العمل الجاد، كونه يوجه الطفل نحو معرفة العالم المحيط به عن طريق المشاركة الفعّالة في عمل الناس وفي حياتهم اليومية، وفي هذا يكمن الهدف من اللعب، مع أن هذا لم يضعه عن عمد أي من الطفل والراشد نُصِبَ عينيه.

ويمتزج هذا الهدف مع دافع اللعب، لأن الدافع الوحيد الذي يوجه فعالية الطفل نحو ممارسة اللعب، يكمن في النزعة الحارّة والجارفة للمعرفة والإسهام الفعّال في حياة الراشدين وعملهم بما يحملانه من أفعال ورعاية وعلاقات عملية، ويمكن للمربي أن يستخدم اللعب على نطاق واسع كطريقة لتنظيم الخبرة الحياتية للأطفال، وأسلوب لتثبيت بعض قواعد السلوك، عن طريق الفعل وزيادة دقة بعض المفاهيم والقيم الأخلاقية، إن اللعب المنظم يسمح لكل طفل باحتلال منزلة جديدة في جماعة الأتراب في موقف متخيل، ولكنه حقيقي تماماً، ويمكن أن يكون وسيلة لدفع الأطفال نحو تنفيذ الأفعال العملية وتثبيت بعض قواعد السلوك الضرورية.

### الأطفال .. ينفسون عن الطاقة المخزونة باللعب:

اللعب هو شغل الطفولة الشاغل في السنوات الأولى، وهو وسيلة الطفل في التعرف على ما يحيط به والتكيف وفقه، كما يجب أن توكل إليه مسؤولية جمع لعبه ووضعها في مكانها بعد انتهائه من اللعب بها، ويجب أن ينشأ كل طفل على عدم الاعتداء على لعب غيره.

فإذا ما تحدثنا عن أنواع اللعب رأينا أنّ أولها وآخرها هي الكرة، فهي لعبة شائعة لطيفة قديمة، تنفع مختلف الأعمار، والطفل يستفيد كثيراً من لعبه بالكرات على اختلاف أحجامها وألوانها وأوزانها، إذ تتيح له فرص المقارنة والحكم، وتعيّنه على تنمية الحذق وضبط النفس والحركة العضلية والعقلية، ولعلّ الكرة هي اللعبة الوحيدة التي تحتفظ بمكانتها لدى المرء حتى في كبره.

وعقب السنة الأولى يبدأ الأطفال في الميل إلى اللعب والمكعبات والصناديق وينزعون أغطيتها، فإذا تقدموا في العمر قليلاً أخذوا يحاولون إحكام تلك الأغطية - فمن الخير أن يتوفر للصغار من الصناديق والمكعبات، كبيرها وصغيرها، ما يعثون به، أو يرصفونه هندسياً، أو ما يُدخلون فيه ويُخرجون، ولو كان في ذلك بعض السقطات التي قد تؤذيهم.

### اللعب لدى الأطفال ضرورة :

مع تطور الزمن تتطور المفاهيم التربوية ولأن الإنسان هو الأساس فإن المرحلة الأولى من عمره.

الطفولة تأخذ حيزاً مهماً من اهتمام علماء التربية والنفس والاجتماع الأمر الذي ينعكس بشكل نظريات وآراء مختلفة وسنتحدث في هذا الموضوع عن دور اللعب في تنمية قدرات الطفل حيث يلجأ الأهل بعد عناء يوم كامل من العمل المتواصل إلى الاستقرار في المنزل فيجدون الأصوات والضجيج من قبل الأطفال، فلا ينفك الأهل من مطالبة أطفالهم بالهدوء والتزام الصمت التام، متغافلين طاقة الطفل الذي يبحث بدوره عن التسلية والمرح، فالطفل لديه طاقة لا بدّ من استغلالها في وقت اللعب لكن الهدوء والسكينة اللذين ينشدهما الأهل يمنعان الطفل من ممارسة حقوقه، لذلك يجب على الأم أن تتذكر أنّ طفلها يلهو في وقت اللعب وأن هذه الفترة ضرورية لتنمية قدراته رغم انزعاج الأهالي، وأن إحداث الضوضاء أمر طبيعي للتنفيس عمّا بداخله، فالطفل مليء بالحيوية والنشاط والانطلاق الذي يبدو بوضوح خلال أوقات اللعب، ولعلّ عمر الخمس سنوات بداية انطلاق الطفل الحقيقية للعب والمرح ولا بدّ من معرفة طاقات الطفل وميوله كما أنّ الأولاد لا يختلفون بطبيعة الحال عن الفتيات فالأولاد أقرب إلى العنف والألعاب التي تعتمد على الحركة وصرف الطاقة المخزونة على عكس البنات اللاتي يقضين وقتاً ممتعاً في الرسم والخياطة أو حتى ألعاب التسلية البسيطة.

وَيَعْتَبِرُ الأهل والكثيرين من المربين أن انصراف الأطفال للعب عبارة عن شيطنة يتمنون لو استطاعوا تخليص أطفالهم منها فاللعب برأيهم تبديد للجهد والوقت في ما لا طائل من ورائه وهذا الموقف يتعارض مع طبيعة الأمور من جهة ومع النتائج التي انتهت إليها الدراسات والبحوث في الشرق والغرب على حدٍ سواء من جهة ثانية ذلك أن اللعب نشاط رئيسي من أنشطة الأطفال بل أن اللعب صنو لطفولة مرادف لها إذ لا يمكن أن نتخيل الأطفال إلاّ وهم منهمكون في ألعابهم المختلفة يمرحون ويتصايحون ويتضحكون ويغنون ويتنافسون.

ويرى «مكارنونكو» وهو أحد أعلام التربية البارزين أن اللعب في حياة الطفل يحمل نفس الأهمية التي ينطوي عليها العمل في حياة الكبار فكيفما يكون الطفل في اللعب فإنه سيكون كذلك إلى حدٍ بعيد في عمله عندما يكبر، لذلك تنشأ تربية الشخصية مثل كل شيء في اللعب بل أن تاريخ الفرد كشخصية ربما نتصوره في نمو اللعب في الانتقال التدريجي من هذا الشكل الطفولي للنشاط إلى العمل ومن ثم تربية الطفل من حيث تكوين شخصيته ينبغي أن لا تقوم على استبعاد اللعب من حياته وإنما على حُسن تنظيمه بحيث يؤدي إلى تكوين الخصائص البنائية للطفل في نموه ويرأى «ماكارنكو» أن جماعة الأطفال التي لا يجد الطفل فيها الفرصة ليلعب هي جماعة غير حقيقية.

ولعلّ الذي دفع أساطين التربية لتبني هذا الموقف هو إدراكهم لأهمية ما يسديه اللعب من فوائد في النمو الجسمي والانفعالي والوجداني والمعرفي والاجتماعي والجمالي.

### **التنظيم والتوجيه أثناء اللعب:**

لا داعي لوضع لائحة من الممنوعات أمام الطفل ولكن المراقبة المنظمة والحرص الشديد في المتابعة أثناء اللعب أفضل الطرق لحماية الطفل

من الحوادث كأن نهى مكاناً خاصاً للعب واختيار الألعاب المسمّية وفقاً لعمر الطفل وإفساح المجال أمامه للحركة والتنقل حتى لو أحدث صوتاً.

فعلماء النفس يجمعون على أن الطفل الذي يلقي وقتاً كافياً من اللعب نجده أكثر ذكاءً وإدراكاً من الطفل الذي ينقصه وقت للعب والانطلاق. مع ضرورة مشاركة الطفل لمعرفة ميوله ومواهبه مع الانتباه إلى أمور يجب مراعاتها أثناء لعب الطفل، كأن لا نترك المجال للعب في المطبخ وأن نساعد في اختيار الألعاب غير الحادة والمؤذية، ومراقبته من بعيد للتعرف على عالمه الخاص، ومحاولة إبعاد القطع الزجاجية والتحف السهلة الكسر والكهربائيات والأسلاك عن طريقه أثناء اللعب وتجوّاله في المكان، وإذا ما أردنا إبلاغه بخفض صوته الذي كثيراً ما يعلو فيجب محادثته بأسلوب مريح وألاً نلجأ إلى توبيخه، وإنما تركه على سجيته كي يحرق الطاقة المخزونة لديه، فليس هناك طفل لا يحب اللعب وإنما تتفاوت الأنشطة والمهارات والطاقة.

وحين نذكر اللعب فإننا نقصد اللعب المنظم والموجّه بطبيعة الحال لإيماننا بأن اللعب العفوي والتلقائي على أهميته وفائدته لا يمكن أن يرقى لمستوى اللعب المنظم والموجّه إذ إن الخبرات التي يكتسبها الأطفال خلال اللعب التلقائي تبقى رهينة الظروف مما يجعلها فقيرة إلى القيم النمائية والتربوية بل وهنا تكمن الخطورة.

قد تحمل تلك الخبرات في طبيّاتها انطباعات خاطئة وتصورات مشوّهة ومعلومات مناقضة للحقيقة ربما أدّى تراكمها إلى رسوخها ومن ثم إلى الانحراف بالمسار النمائي للطفل فيتجه وجهة سلبية مما يؤدي إلى حدوث خلل في التكوين النفسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي لديه، فاللعب بحدّ ذاته لا ينطوي على أهمية تربوية ما لم يُنظّم ويوجّه وما لم يوظّف لخدمة أهداف مرسومة ومهما بالغ البعض بأهمية الخبرات العرضية وهي مهمة بلا شك، تلك الخبرات التي يكتسبها الطفل من جراء اتصاله بالواقع وتفاعله مع البيئة

المحيطة فإن تحقيق النمو السليم والمتوازن يجب أن يتم وفق خطة مرسومة بعناية تأخذ بعين الاعتبار خصائص النمو واتجاهاته وتعمل على تلبية الحاجات الأساسية عند الطفل ولن يتحقق ذلك إلا إذا تم في إطار نشاط تربوي منظم وهادف يشغل اللعب مساحة واسعة وأساسية فيه لأنّ اللعب كما سبق وأكدنا، حاجة أصيلة لدى الطفل، وبفضل التنظيم والتوجيه يغدو وسيطاً تربوياً ومدخلاً وظيفياً للنمو والتعلّم والتعليم. فهو بالتأكيد يحتاج إلى الاهتمام والرعاية وأوقات اللعب إحدى الخطوات المهمة في حياته، فهو دائماً يبحث عن الجديد ولديه فضول كبير لأن يعرف كل ما يجري حوله.

### مظاهر التفوق:

وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن الأطفال الذين كان اللعب يشكّل جانباً مهماً من نشاطاتهم المدرسية قد تفوّقوا على أطفال آخرين لم يوظّف اللعب في تربيتهم ولم يُعطَ نفس الأهمية في برنامجهم المدرسي، ومن مظاهر هذا التفوق: نمو مهارة جمع وإعداد الأشياء والقدرة على التعبير بواسطتها عمّا يجيش في صدور وعقول الأطفال من اهتمامات وأفكار، كما أن هؤلاء الأطفال قد تفوّقوا في القدرة على التعبير عن النفس بواسطة الرسم الحر وبواسطة اللغة إذا أثبتوا مقدرة لغوية متغيرة من حيث تأليف الجُمْل المفيدة أو من حيث تنظيم الأجوبة أو من حيث غنى الثروة اللغوية التي يمتلكونها، كما أبدى هؤلاء الأطفال تفوقاً في إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين واكتساب السلوك الناضج، كما لوحظ نمو روح التعاون والتكامل والانسجام مع الآخرين لديهم وتفوقهم في أداء الكثير من المهارات الحسيّة الحركيّة بإتقان.

### ممر إلى المستقبل:

تطرّفنا في البداية إلى أن الأهل والكثير من المرّبين يعتبرون اللعب نشاطاً هدفة اللهو وتبديد الجهد والوقت فيضعونه على الطرف المناقض للعمل ويُلحّون

على ترسيخ قيمة وجدانية في أعماق الأطفال ومؤدّاهما أن العمل هو الأساس والأهم وهم يقصدون بالعمل هنا الواجبات المدرسية من جهة وما قد يُكلّف الأهل أبناءهم من مهام من جهة ثانية، إن هؤلاء في موقفهم سالف الذكر إمّا أنهم غير مطلّعين أو أنهم يضرّبون بنتائج البحوث والدراسات عرض الحائط.

### قيمة اللعب:

إن قيمة اللعب لا تكمن في نوعيّة المادة التي صنعت منها ولا في مدى شهرة المؤسسة التي صممتها أو أنجزتها بل إنّ كل القيمة تكمن في الأبعاد التي ترمي إليها والقيم التي تحملها، لذا، فإن أيّ محيط حقيقي، ومهما كانت بساطته الظاهرية يمكن أن يكون مجالاً مهماً وثرياً للعب، إلا أن المرّي هو الذي يعطي للعبة قيمتها الحقيقية، من خلال الطرق التي سيعتمدها في تحديد المجال اللعبي، ويبقى الوعي بقيمة النشاط المنجز هو المُحدّد الأساسي له، فلا مجال للعجز أمام الافتقار الظاهري الذي تشكو منه بعض المجتمعات غير المصنّعة لوسائل اللعب العصرية، ولا فائدة تُرجى من وراء التهافت الرهيب على اقتناء ما تروّجه الأسواق الاحتكارية العالمية، أما التجاوز فإنه ممكن بفضل قوة الإرادة التي يجب أن يتحلّى بها المرّي وكذلك بفضل قدرته على الاستنباط والابتكار.

### تنمية القدرات الحسيّة:

ومما لا جدال فيه أن اللعب يتيح الفرصة المناسبة واللازمة لتدريب العضلات بشكل سليم وتدريب الجسم على أداء دوره بشكل فعّال كما أنه يشكل الوسيلة المريحة والأكيدة لتفريغ الطاقات الزائدة التي يمتلكها الطفل والتي إن تُركت كامنة لديه جعلته متوتراً قلقاً يعيش تحت وطأة حالة عصبيّة مُضنية ومرهقة كما أن اللعب يؤدي إلى تحسين النشاط الحركي ويُمكّن الطفل من أداء المهمات وإنجاز الحركات المعقدة، ثم إنّ الطفل في سياق اللعب يفهم إمكاناته ويتعرّف على قدراته الجسدية ويتمكن بالتالي من السيطرة على جسده

وإخضاعه لمعايير معينة. وتقوم رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية بدورها في هذا المجال إذ تُساهم بإكساب الأطفال المهارات الجسدية الحسيّة والحركية الضرورية من خلال مناهجها المختلفة لا سيّما من خلال دروس التربية البدنية ودروس الرسم والأشغال والكتابة والموسيقا وغيرها، وتتجه النية الآن لإدخال مادة العمل اليدوي في منهاج المدرسة الابتدائية.

### الأسس النفسيّة والاجتماعية لألعاب الأطفال:

والألعاب أساس النمو العقلي والنفسي لدى الأطفال، وكما قال بعضهم: «الطفل الذي لا يلعب فاقده للحياة»، حيث تقام الأسس النفسيّة لهذه الألعاب على ضمان الأهداف التالية:

- إرضاء دوافع الطفل وحاجاته النفسيّة، كالحرية والنظام والأمن والحل والتركيب والقيادة والاجتماع.
  - تهيئة الطفل لاكتساب القدرة على التلقي والتعلّم وتمتية أدوات الترميز كاللغة والحركة.
  - إتاحة الفرص للطفل للتعبير عن حاجاته وميوله ورغباته.
  - تمكين الطفل من مواكبة خبراته ومراقبة نفسه ومتابعة أطوار نموّها، حيث تُمكن اللّعب والألعاب الطفل من تطوير قدراته وطاقاته العقلية والإدراكية، وهي تضمن المؤهلات التالية:
  - تمتية القدرة على الفهم.
  - تمتية الحواس وتدريبها على الإدراك والتعلقل.
  - توفير فرص الابتكار والإبداع.
  - تمتية قدرات الطفل على التفكير المُستقل.
  - توفير فرص الانتقال من العمليات العقلية إلى نواحي النمو المختلفة.
- هذا وترتكز هذه الألعاب على ضمان الأبعاد الاجتماعية التالية:

- الانتقال من الفردية إلى الجماعية.
- الانتقال من الفردية السالبة إلى الروح الجماعية الموجبة.
- المشاركة الوجدانية والتضامن والمنافسة والطاعة.
- القيام ببعض الأدوار الاجتماعية والإيجابية.

### تفهم القيم والأخلاق:

تؤكد الدراسات ولا سيما علم النفس التحليلي أنّ الكثير من أنماط السلوك والمواقف الأخلاقية إنما تستمد أصولها من الأنشطة والممارسات السلوكية التي يعيشها الطفل في سنوات مُبكرة من حياته، وإذا كان الأهل والمُربّون والراشدون عموماً يحاصرون الطفل بقائمة لا تكاد تنتهي من التوجيهات والنصائح والأوامر والقيم والمعايير والالتزامات من باب افعل هذا... ولا تفعل ذلك، هذا حَرَامٌ، وهذا عيب إلا أنّ الطفل ومن خلال اللعب وهو السلوك العملي الذي يناسبه يكون أكثر قدرةً واستعداداً لتفهم القيم واستيعاب المبادئ الأخلاقية خاصة من اللعب الجماعي حيث يدرك الطفل أهمية، أن يكون نزيهاً وعادلاً ومتعاوناً وموضع ثقة وأهمية، أن يبقى لاعباً في حالتي الربح والخسارة وأن يكون قادراً على ضبط انفعالاته إذا أراد أن يكون عضواً مقبولاً في جماعة اللعب.

مما تقدّم نجد أن اللعب كشكل من أشكال النشاط مفيد لبُنية الطفل النفسية وضروري أكثر من العمل الجاد، كونه يوجّه الطفل نحو معرفة العالم المحيط عن طريق المشاركة الفعّالة في عمل الناس وفي حياتهم اليومية وفي هذا يكمن الهدف من اللعب، مع أن الهدف الذي ينشده الطفل والراشد لم يضعاه عن عمد نصب أعينهما، وإنما هو دافع يمتزج مع الهدف من اللعب، ويكمن في النزعة الحارّة والجارفة للمعرفة والإسهام الفعّال في حياة الراشدين وعملهم، بما يحملانه من أفعال ورعاية وعلاقات عملية، ويمكن للمُربّي أن يستخدم اللعب لتنظيم الخبرة الحياتية للأطفال.



## سيكولوجية إدمان المشاهدة والآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على سلوك الطفل

أصبح التلفزيون جزءاً من أثاث كل منزل ووجوده ضرورة عند كثيرين لأسباب شتى كالتسلية وقتل الوقت ولمعرفة آخر الأخبار ووسيلة لإلهاء الأطفال ومنعهم من تضييع أوقاتهم في الشوارع لما فيها من سلبيات تعود عليهم بالضرر. إلا أن التلفزيون ولكونه ينقل الواقع فلا بد من وصول هذه السلبيات بصورة أو بأخرى، فهو وإن كان يشد الأطفال لساعات، ويريح الوالدين من بعض المشاكل، يبقى من ناحية ثانية مصدراً للمشاكل. فكثيراً ما يساهم في إثارة نغمة العنف في تصرفات الصغير، ويشجع على الاقتباس وينعش العقلية المادية، مما يدفع الطفل لاقتناء أشياء ما كان يطلبها لو لم يرها على شاشته ويدفعه لتناول منتجات ضارة بإظهارها بصورة برّاقة وجذّابة، فقد أثبتت الدراسات أن بعض البرامج تحرضهم على استعمال العنف في التعبير عن رغباتهم أمام أولياء أمورهم أو تلقنهم مفاهيم وتلميحات جنسية تفوق قدراتهم العقلية مما يوجّه أفكارهم لخيالات وهمية مؤذية... وفي دراسة تمت في بريطانيا تبين أن أطفالاً بريطانيين لم تتجاوز أعمارهم ست سنوات يدخلون المشافي والعيادات بسبب إصابتهم بمرض فقدان الشهية العصبي الذي يؤدي إلى نقص الوزن، والأطباء قلقون بشأن اهتمام الأطفال الزائد بوزنهم لدرجة أنهم يتبعون نظاماً غذائياً صارماً، ووجدوا أن أكثر من ربع أعداد الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وسبع سنوات يريدون أن يكونوا

أكثر نحافة على الرغم من أن وزن معظمهم متناسب مع طول قامتهم أو دون ذلك، والخبراء ألقوا المسؤولية على التلفزيون الذي يحبذ النحافة عند أمهاتهم وأولياء أمورهم وبالتالي اكتسب الأطفال عاداتهم. والملفت الذي أشارت له الدراسات أن أحداث الحياة الحقيقية كمنشرة الأخبار والقصص الواقعية والجرائم التي تقع في المجتمع ويعرضها التلفزيون والأفلام الوثائقية عن مشاهد الحرب وتقارير المراسلين من مواقع الحروب والبرامج التي تصور الغابات وقتل الحيوانات بعضها لبعض كل هذه تؤثر في نفسية الطفل أكثر من أفلام الرعب والخيال العلمي التي بدورها تدفع بعض الأطفال لتجريب الطيران من على الشرفات أو استعمال المواد الكيماوية لتحضير مستحضرات سحرية يتناولها البطل فيمتلك قوى خارقة لينال ما يريد فضلاً عن الكوابيس والأحلام المزعجة التي تثيرها مشاهد العنف ورجال الكواكب الأخرى والوحوش الوهمية.

والجدير بالذكر أن بعض الأطفال وبعد هذه المشاهدات وإدراكهم أنها مجرد خيال وأوهام بعد أن تابعوها على أنها أحداث حقيقية ومؤلمة كانوا يغضبون في نهاية الفيلم عندما يتبين أنها ملققة وأكاذيب مما يزعزع ثقتهم بالعالم من حولهم وبالنظريات العلمية المفيدة.

لا شك أن وسائل الإعلام مسؤولة مسؤولة كبيرة عن التنشئة الاجتماعية للفرد، فهي تسهم في تربية الأجيال وتوجيههم، ونستطيع القول إنها تسهم في بناء شخصية الإنسان العربي التي نجد فيها الصفات الإيجابية والصفات السلبية.

نستطيع أن نذكر بعض الأدوار السلبية التي أدتها وسائل الإعلام العربية منها إفساد اللغة العربية لكثرة الأغلاط في الاستخدام أو لاستخدام اللهجات العامية والمحلية في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، كما أن مشاهد العنف والقسوة والمكر... أدت إلى اضطرابات نفسية الطفل العربي، وهناك أيضاً مسألة هامة وهي أن الأعمال التلفزيونية تصور الشخصيات بصور

لا تلائم جوهرها وحقيقتها إذ تصور شخصية المجرم أو المرتشي أو المسيء أنيقاً جميلاً قريباً من النفس، في حين تصور المعلم أو المتعلم أو الطبيب النفسي أو المؤمن بالقيم والفضائل، تصوره إنساناً مضطرباً مهلهلاً غير متوازن، فلا بدّ من إعادة النظر بهذه القضايا الجوهرية التي تؤثر على شخصية الإنسان العربي وفي قيمه ومفاهيمه واتجاهاته.

ولا بدّ من إيجاد رقابة تربوية على وسائل الإعلام لتؤدي أدوارها التربوية النفسية على نحو أمثل، ولا بدّ من الإشارة إلى أن التلفزيون استقطب اهتمام الناس ولأوقات طويلة فنقص عدد القراء. وتراجعت ثقافة الإنسان العربي تراجعاً ملموساً، نعني الثقافة المعقدة، فلا بدّ من إيجاد توازن بهذه المسألة حيث إنه مع تطور وسائل الإعلام بمختلف أنواعها وتقنياتها لا نستطيع أن نغفل دور هذه الوسائل في العملية التربوية، ومن المعلوم أنه لم تعد مهمة التربية مسؤولية المعلم والمدرسة وحدهما، كما أن مهمة المدرسة لم تعد مقتصرة على إعطاء المعلومات والمعارف، كما أن المعرفة لم تعد حكراً على المدرسة وحدها، فقد أصبح الأطفال والطلاب على اتصال وثيق بوسائل الاتصال المكتوبة والمسموعة والمرئية وشبكات الاتصال العالمية «الإنترنت» إضافة إلى مصادر أخرى كالجمعيات والنوادي...

وإذا أمعنا النظر والتدقيق لا نجد إنساناً إلاّ ويتأثر بوسائل الإعلام، فهي تؤدي أدواراً مهمة في تنشئة الفرد وتعليمه وتثقيفه وإعلامه، تعلمه القيم والمعايير السلوكية وتنقل إليه الثقافة المحلية والعالمية.. وذلك من خلال البرامج المنوعة التي تقدم إلى الشباب والكبار والمرأة والأطفال يقوم الإعلام بإعلام الجماهير بمجريات الأحداث الهامة محلياً وعالمياً، وهو وسيلة تربوية تتضمن صراحة برامج تعليمية وأحياناً قنوات تعليمية، ولهذه البرامج والقنوات أهداف أربعة على الأقل: تبسيط العلوم - محو الأمية - البرامج التعليمية - الثقافة العامة. ومن المفيد أن نذكر هنا أن هناك تنسيقاً يتم على

مستوى رسمي بين وسائل الإعلام - التلفزيون خاصة - ووزارات التربية والتعليم في جميع أنحاء العالم، حيث تبث برامج محددة زمنياً بدقة يتابعها الأهل مع أطفالهم. وهناك تعليم غير مباشر من خلال برامج المرأة وريّات البيوت تقدم إليهن مواد ملائمة عبر دورات مبسطة من خلال برامج تلفزيونية تتناول أساليب تربية الطفل ومراحل نموه، إضافة إلى موضوعات تربوية ونفسية وطبية واجتماعية حول تربية الطفل، القصد من هذه البرامج تعليم الأم وتنقيتها بشكل غير رسمي وغير نظامي.

ومن المعلوم أن الوزارات والمؤسسات المختلفة ووسائل الإعلام ومنظمات الشباب والمعلمين تهتم اهتماماً خاصاً بالأطفال بطرائق غير مباشرة، إذ تقدم الرعاية الكافية لهم والتوجيه المناسب، إلى جانب ما يقدم من تربية وترفيه وتعليم، توجههم إلى كيفية قضاء أوقات فراغهم، وكم تعلمنا من وسائل الإعلام كيف نقضي وكيف نُرشّد أوقات الفراغ، ومن المعلوم أنه لكل مجموعة من برامج الأطفال لجان متخصصة، وهذه اللجان تحوي أطراً من تخصصات مختلفة في مقدمتها أخصائيو التربية وعلم النفس، والإعلاميون، تقوم هذه اللجان بالتخطيط والإعداد والبرمجة والمتابعة، فلا يمر أيّ برنامج أو مادة ما لم تقرأها وترى نماذج من هذه البرامج وتدرس الفائدة التربوية لها.

إننا بحاجة في إعلامنا العربي إلى هذه اللجان الهامة المتخصصة، ونحن بحاجة إلى دراسات علمية ميدانية لتقصّي آثار وسائل الإعلام في تربية الأطفال، ومن هنا لا بدّ لنا من البحث في الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على سلوك الطفل:

## ١ - تأثير التلفزيون على ملكة الخيال والإبداع:

التلفزيون يقدم للأطفال كل شيء جاهزاً مرسوماً ومصوراً بعناية، وهذا يؤثر بشكل كبير على ملكة الخيال عند الأطفال بتركيز فكرهم وانتباههم على مشاهد التلفزيون فقط. إن القصص والحكايات التي كانت

تروبيها الجدات قبل انتشار التلفزيون كانت تنمي خيال الطفل وتساعد فيما بعد على الإبداع، ومن هنا كانت الحاجة إلى القصص الخيالية ضرورية لتنمية ملكة الخيال والإبداع عند الطفل، حيث إن الإنتاج المقدم للأطفال على الشاشة الصغيرة يقدم لهم الأحداث والشخوص والوقائع بشكل مشوّه وبعيد عن الحقيقة في الأعم الأغلب منه، وأن أنسنة الأشياء والتي قد تكون مناسبة للأعمار الأدنى من عمر الطفولة حيث يتحدث الطفل مع الأشياء التي حوله أو يقبل أن يراها تتحدث مع بعضها تشوّه في بعض العروض التلفزيونية لتقدم للطفل وبشكل غير مقبول الخضار والفواكه والأدوات والحيوانات الغريبة الشكل متحولة إلى كائنات تتكلم وتتصرف مثل البشر، وتمتلك رغبات كرجباتهم، فيرى الطفل أمامه صوراً متلاحقة لمخلوقات عجيبة غريبة تتنازع وتتخاصم وتتآمر وتتعارك بل تشنّ حروباً وحروباً مضادة لا تنتهي، وهي إذ تفعل ذلك تتقدم بأشكالها الغريبة المشوهة في كثير من الأحيان لتحتل خيال الطفل، إن هذه المشاهد من شأنها إفساد ما تبقى من خيال الطفل المعطل أساساً بل وترسم فيه صوراً لتلك الأشياء بشكل ما فمن المؤكد أنها لن تكون جميلة، وسيصعب عليه نسيانها أو اقتلاعها في القادم من أيامه والباقي من عمره...

## ٢ - تغيّب الثقافة المحلية وإحلال ثقافة غريبة بدلاً عنها:

إن معظم البرامج والأفلام التي تعرضها شاشة التلفزيون مستوردة من الغرب وتتناول صوراً وأحداثاً ووقائعاً غريبة عن واقع مجتمعاتنا، ولقد أصبح الطفل معتاداً عليها - للأسف - إذ إنه يعرف عن «أوسكار» و«السيدة ملعقة» أكثر مما يعرف عن الحسناء وزنوبيا، وهناك ندرة واضحة في البرامج المحلية، هذه البرامج التي من المفترض أن تتناول وقائع وأبطال وأحداث من التاريخ العربي والإسلامي، لكي يستطيع الطفل أن يتحصّن بثقافته المحلية ويحافظ على خصوصيته التاريخية والجغرافية، ويقاوم - بالتالي - سبل النتائج التلفزيونية الغريبة...

### ٣ - انقطاع التواصل الثقافي بين الأجيال:

إن حكايات الأجداد والجدّات في ليالي السمر وأحاديث الرجال ومسامراتهم حول مواعيد الشتاء أو ليالي الصيف تحت ضوء القمر كانت تنقل للأحفاد والأبناء ثقافة كاملة وتاريخاً كاملاً زاخراً بالملاحم والأبطال والانتصارات، وهي تنقل أيضاً عاداتهم وتقاليدهم ومكرماتهم، وكان الطفل حين يتوسد صدر أمه قبل النوم وهي تمدد له أغنية عذبة، جميلة، وتحكي له حكاية صغيرة لطيفة، كانت تفعل ذلك ليس لينام الطفل فقط، ولكنها كانت في الوقت نفسه تزرع في نفسه دفء العاطفة، وحنان الأم وأمان الأسرة السليمة، حينما كان الطفل ينتقل بخياله إلى عوالم مسحورة جميلة مع ذلك الصوت الدافئ، العذب، فيغبط هانئاً آمناً في نوم عميق مريح، وبسمة رضى عريضة مرسومة على شفتيه، بل وتغطي وجهه، إن ذلك كله انتهى أو كاد أن ينتهي مع انتشار التلفزيون بمسلسلاته وبرامجه فانجذب إليه الأطفال وأخذ الكثير من وقتهم حتى إنه بات أمراً مزعجاً أن تطلب منه جدّته - مثلاً - أن يناولها كأساً من الماء لأنه يشعر بأن تقديم كأس الماء هذه لجدّته قد صرفه عن مشاهدة لقطة أو صورة أو حدثٍ على شاشة التلفزيون، وبذلك يكون التواصل الذي كان قائماً بين الأجيال من خلال حكايات الجدّات والأجداد قد انقطع بانصراف الطفل إلى التلفزيون وابتعاده عن هذه الحكايات والقصص...

### ٤ - تأثير التلفزيون على الوقت:

في الوقت الذي نعمل ونتعلم ونربي الأبناء، ويمارس الأبناء أنشطتهم ويحققون رغباتهم فالوقت حياة، وبعض الناس يقومون بهدم نظام حياتهم ويعيدون ترتيبه من جديد وفق مزاج التلفزيون، وهذه ظاهرة تعم بلدان العالم كافة، ففي أمريكا مثلاً حوالي ٨٠% يستعينون بالتلفزيون باعتباره «جلسة أطفال إلكترونية» ومن التأثيرات المتعلقة بالوقت تأثير التلفزيون على الأنشطة التربوية، ففي دراسة أجريت في الكويت جاء في نتائجها أنّ

٩٧.٥% من أفراد عينة الدراسة يرون أن بث الدورة الصباحية حدّ من خروج الأطفال من المنزل، وهذا دليل قدرة التلفزيون على الاستحواذ لاهتمام الأطفال، ومن ثم احتمال تدخله في تشكيل اتجاهاتهم وتحوير سلوكهم ومنعهم عن ممارسة الأنشطة الأخرى، كاللعب والقراءة والاختلاط بالمجتمع... التي تعتبر مناشط أساسية في عملية التنشئة الاجتماعية والنفسية، وكذلك يؤثر التلفزيون على درجة إنجاز الطفل لواجباته المدرسية وعلى الطريقة التي يتبعونها في إنجاز هذه الواجبات. ويتمثل هذا التأثير في حرص الأطفال على الانتهاء من واجباتهم قبل بداية الرسوم المتحركة أو تأجيل هذه الواجبات أو خلط ما يجب أن يشاهده وما يجب أن يؤديه نحو أعمالهم المدرسية. وقد يشغل التلفزيون ربة البيت عن أعمال منزلها وتربية أطفالها كما يتسبب في تأخر موعد نوم الأطفال، وقد أيدّ هذه النتيجة ٨٢.٩% من الذكور و ٨٢.٤% من الإناث في المجتمع الأردني.

#### ٥- تأثير التلفزيون على العلاقات داخل الأسرة:

حدث عدد من المشكلات بعد دخول التلفزيون في حياة الناس، وهناك بعض المؤشرات التي تربط بين التلفزيون وارتفاع المشكلات داخل الأسرة ومن تلك المشكلات «أنّه يحد من الحوار بين أفراد العائلة» وذلك بسبب منع الآباء أبناءهم من مشاهدة بعض البرامج أو قلّة الحوار أو بسبب استمرار الاستقبال لمادة برمجية معينة. يريد الآباء ولا يريد الأبناء أو بالعكس، حيث انشغال الطفل بعروض الشاشة الصغيرة لساعات طويلة ومتابعته باهتمام زائد أحداث المسلسلات والصور المتحركة تبعده عمّن حوله وتتفرّقه ممّن قد يشغله أو يبعده عن المتابعة ولو للحظات وهكذا نرى أنّ جلوس أفراد الأسرة أمام شاشة التلفزيون يؤدي بهم إلى حالة تقاربهم المكاني وتباعدهم في الأنفس، تفصلهم فواصل وحواجز لا مرئية، وهذه الحواجز تكبر وتكبر مع كل مقاطعة أو مداخلة فيزداد تباعد الإخوة بعضهم عن بعض، ويمكن أن يزيد هذا التباعد ما ينجم بين الإخوة من

خصومات بسبب مشاهدة عروض التلفزيون إذ إن الرغبات في كثير من الأحيان تتعارض في مشاهدة عرض ما مختلف عما يراه الآخر في قناة مختلفة، ولهذا تنشب بينهم خلافات وشجارات صغيرة تكون البذرة الأولى لخلافات وشجارات كبيرة، وعندما يتم وضع أكثر من جهاز في المنزل يزداد الابتعاد بين أفراد الأسرة فينقسمون أكثر من فريق متباعد عن الآخر، يضاف إلى ذلك نوعية البرامج التي تزرع روح الفردية الاستهلاكية في نفوس الأفراد، إننا نرى الآن تفككاً ملحوظاً في الأسرة الواحدة، وتباعداً بين الإخوة الأشقاء وبين الآباء والأبناء أيضاً، هذا التبعاد لم يكن موجوداً فيما مضى ولسنا بحاجة للتذكير بكثرة الخصومات الناشئة بين الإخوة بسبب تقاسم إرث أو ربح ولو بسيط إننا نعرف حالات كثيرة جداً لم يعد فيها الأخ يرى أخاه حتى في المناسبات المتباعدة كالأعياد والأفراح والأتراح، وبالرغم من أن لهذه الحالات أسباب أخرى تدخل في إطار سيادة نمط المجتمع الاستهلاكي إلا أن للتلفزيون دوره في هذا المجال...

## ٦ - التفسير العلمي لتأثير التلفزيون في سلوك الطفل:

يبدأ الأطفال في تعرفهم على التلفزيون في سن الثانية من عمرهم، وفي السن الواقعة ما بين «٣-١٦ سنة» من عمر الطفل، يقضي الأطفال أمام شاشة التلفزيون وقتاً أطول من الوقت الذي يقضونه في صفوف المدرسة الابتدائية خلال مجمل الفترة التي يذهبون فيها إلى المدرسة. وفي السن المبكرة من حياة الطفل «قبل دخول المدرسة» يشاهد الأطفال التلفزيون ويتابعون برامجه دون تركيز قوي لوقت طويل.

يمر الطفل بمرحلتين حتى يتشكل موقفه من التلفزيون وهما:

المرحلة الأولى التي يعتمد فيها الطفل على الكبار في عملية اختيار البرامج وهذه المرحلة قبل الذهاب إلى المدرسة، ثم يبدأ تأكيد استقلاليته من سيطرة الكبار عندما يتعلم القراءة ويتعرف على الوقائع، وتمثل المرحلة



الثانية تلك المرحلة التي يختار فيها الطفل ولوحده البرامج التلفزيونية التي يرغب أن يشاهدها. وتوصلت بحوث هيلدا هيميلوث وولبرشرام إلى أن أولئك الذين هم بحاجة أكثر إلى اللهو والتسلية هم الأطفال الأكثر اهتماماً ببرامج التلفزيون. ومنذ سن ما قبل الدخول إلى المدرسة وحتى المراهقة يرغب الأطفال بمشاهدة البرامج الموجهة خصيصاً للكبار، وما إن يبلغ الطفل سن الثانية عشرة حتى يصبح موقفه انتقادياً إزاء التلفزيون، لقد بينت البحوث أن برامج التلفزيون لا تشجع النشاط الخلاق والمبدع لدى الأطفال، ولكنه يؤثر تأثيراً إيجابياً في تطور ذهن الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة. ولم يظهر بعد أن البرامج التلفزيونية تزيد من المعرفة العلمية إيجابياً. وتبين أن الأطفال الأكثر ذكاءً وتفوقاً هم الأكثر حكمة في الاختيار والانتقاء إزاء برامج التلفزيون والأقل إغواء وإغراء من الأطفال الأقل ذكاءً ونضجاً والوضع الاجتماعي والمادي للأسرة يلعب دوراً هاماً في هذا الصدد...

## ٧- تأثير أسلوب عرض برامج العنف على السلوك العدواني لدى الطفل:

يتعلم الأطفال من التلفزيون مثلما يتعلمون من أيّ عرض مرئي آخر، وقد يكون العدوان من الميول السلوكية التي يتعلمها الأطفال من المشاهدة. حيث يثير النشاط العدواني في برامج التلفزيون خيال الطفل العنيف من خلال التوحد «أي يدمج الطفل ذاته في ذات الشخص الذي يثير إعجابه، فيدرك أنه هو وهذا الشخص واحد» ومن خلال عملية التوحد هذه يكتسب الطفل أنماطاً وعادات سلوكية كثيرة. وقد لخص البروفسور جورج كومستوك نتائج البحث العلمي عن العلاقة بين عرض العنف والسلوك العدواني فقال ما يلي:

١- أعمال الكرتون وكذلك العروض الحية للعنف يمكن أن تؤدي إلى سلوك عدواني من جانب المشاهد.

٢- التعرض المتكرر لأعمال الكرتون وكذلك العروض الحية للعنف لا تلغي إمكانية أن يزيد التعرض الجديد للعنف من احتمال السلوك العدواني.

٣- إن الإحباط يسهل القيام بعمل عدواني، والسلوك العدواني لا يتوقف على نمط معين من الإحباط.

٤- من العوامل التي تزيد من احتمال التصرف العدواني هي الإيحاء بأن العدوان له ما يبرره، أو أنه مقبول اجتماعياً، أو أن دافعه الحق، أو أن العدوان يعود بمنفعة، وكذلك تصويره بشكل واقعي، وأن تكون مادته شديدة الإثارة.

٥- إن التعرض المتكرر لأعمال العنف ربما يضعف أو يزيد حساسية صغار المشاهدين تجاه الاستجابة إلى العنف في بيئتهم.

٦- حتى لو كان العمل العدواني غير موجه ضد المجتمع. إلا أن المدلولات المتعلقة بإسهام عنف التلفزيون المضاد للمجتمع تظل قائمة.

من هذه المقولات وبيانات أخرى نجد أن التعرض للأفلام العدوانية في التلفزيون يمكن أن يؤدي إلى ما يلي:

- يقلل من قدرة الأطفال على كف الدفعات العدوانية، مما يؤدي إلى ارتكاب العنف والسلوك العدواني.

- يقلد الأطفال السلوك الذي يكافأ عليه فاعله أكثر من الذي يعاقب عليه فاعله، حيث يقلدون السلوك العدواني لاسيما حين يثاب.

- تسهم أفلام العنف في تشكيل صورة ونمط السلوك العدواني لدى الأطفال.

#### ٨- سيكولوجية إدمان المشاهدة:

لقد دلت البحوث أن الإدمان على المشاهدة ينتشر بين قلبي الذكاء عنه بين الأذكىاء. وأن المدمنين من الطبقات العاملة أكثر منهم في الطبقات المتوسطة. ووجد أن الطفل المدمن هو الوحيد الذي لا يشعر بالأمن ويجد صعوبة في إيجاد علاقات مع الآخرين لذلك يبحث عن الصحبة والأمن في التلفزيون. وهناك شبه بين مدمني التلفزيون ومدمني السينما، ويهوى المدمن

التمثيلات والمغامرات والألغاز التي تصور له الشخص الذي يتمنى أن يكون مثله والأسر السعيدة التي يتمنى أن يكون فيها. وهو الطفل الذي يجابه مشكلات لا يستطيع التغلب عليها.

ومدمن التلفزيون إذا لم يجد تلفزيوناً فإنه يدمن على الراديو أو السينما أو المسرح أو الكتب الهزلية، وعلاجه يكون عن طريق معالجة مشكلته لا بحرمانه، وتدل قلة المشاهدة على تحسن حالته، فمن الناحية النفسية هناك حاجة ماسة لتخطيط وقت الفراغ بحيث يشمل على مناشط رياضية واجتماعية وثقافية وخلوية. وعلى القراءة والاطلاع وتنمية الخبرات وممارسة الهوايات، وتنوع هذه المناشط حسب سن الطفل. فالمراهق يرغب في كثير من المناشط خارج المنزل والتي تحقق له الاستقلال عن سلطان الأسرة وتمنحه فرصة لقاء الأصدقاء ويلزم دراسته، أما الطفل الذي يشاهد التلفزيون بصورة مستمرة فإنه يلتصق بطفولته ويعكس اضطراباً انفعالياً. ولكن هذا الاضطراب ليس نتيجة لعادة المشاهدة بل العادة في الواقع هي عرض من أعراض الاضطراب، فالمشاهدة ليست السبب بل هي نتيجة لوجود الاضطراب، والبرامج التي تتجه إلى الخيال تشجع المشاهد على أن يتخلى عن مشاكله في عالم الواقع ويلجأ للاستسلام والسلبية، وتشجع على العاطفية، أما البرامج التي تتصل بالواقع تجعل المشاهد على اتصال دائم بمشاكل الحياة الواقعية وتشجع الإيجابية في التفكير والسلوك وتزيد حصيلة المعرفة.

### خلاصة:

- ١- للتلفزيون أهمية في التعليم الاجتماعي واللغوي وتقص المشاهدون لبعض الشخصيات التلفزيونية وتنمية ذكاء الأطفال وتوعية الآباء والأمهات.
- ٢- يشكو المشاهدون من تنمية التلفزيون للسلبية والكسل وضعف الإبصار وعرقلة نشاط التلاميذ الدراسي بالإضافة إلى عرض مشاهد عن الجنس والجريمة تؤدي إلى اضطراب السلوك.

٣- الطفل المنحرف الذي يشاهد التلفزيون كان منحرفاً أصلاً قبل المشاهدة ولجأ إلى الإدمان كنوع من التعويض أو التنفيس الانفعالي.

٤- من الضروري خضوع البرامج التلفزيونية للتخطيط من قبل الاختصاصيين في علم النفس والتربية والاجتماع.

٥- يساعد التلفزيون على توحيد أفكار الناس وقيمهم واتجاهاتهم وميولهم ويثير خيالهم، ويساعد الفرد على إسقاط آلامه وآماله على ما يشاهد من أناس وأحداث وفي ذلك تصريف للشحنات الانفعالية، ولكنه يثير الخوف والقلق في الأطفال ويوفر منفذاً خيالياً للعوان المكبوت لدى الفرد.

٦- للتلفزيون دور في إقناع الناس والتوجيه المهني وتنمية الحس الخلفي والشعور الوطني.

٧- تبين أنه كلما كبر حجم الأسرة زادت ساعات المشاهدة. ومن ذلك كله نخلص إلى نتيجة هامة تتلخص في أن التلفزيون يؤثر تأثيراً كبيراً في شخصية الإنسان، ويؤدي أدواراً تربوية كثيرة في التنشئة الاجتماعية وتكوين الاتجاهات والرأي العام، وتكوين الوعي بأشكاله المختلفة وتنمية الثقافة العامة وتعليم السلوك والعادات، أي يؤثر في شخصية الطفل وفق مجالات ثلاث: المجال المعرفي الذي يتمثل في اكتساب العلوم والمعارف والأفكار، ونقل التراث العلمي والحضاري، والمجال العاطفي أو الوجداني الذي يتمثل في اكتساب القيم والفضائل والاتجاهات وتكوين العواطف، وتكوين الإحساس بما هو جميل ومفيد والجانب الأدائي أو النفس - حركي الذي يتمثل بتعليم السلوك القويم والعادات الصحية السليمة.

ونؤكد في هذا المجال الدور الإيجابي - بغض النظر عن الدور السلبي - للتلفزيون، فهو يوازي دور المدرسة في الأهمية إذ يستقطب التلفزيون الاهتمام الكبير، ويستأثر بوقت الطفل لساعات طويلة لا سيّما بعد وصول

القنوات الفضائية إلى المنازل ببسر وسهولة وتسابق المحطات في استقطاب الأطفال وإغوائهم ببيت مواد تحمل رسائل فكرية قد تكون خطيرة، ونؤكد في هذا المجال حقيقة أصبحت واضحة وهي أن إعلامنا العربي موجه توجيهاً جيداً لخدمة قضايا الطفولة والإنسان العربي، وقد خطا إعلامنا العربي خطوات وثقة جيدة نحو التطوير الذي نلمس آثاره إيجابياً في تكوين شخصية الطفل في مجتمعنا، وينعكس أيضاً على التحصيل والمردود التربوي لأطفالنا، ولكن لا نزال نطمح إلى المزيد من هذا التطور ليحقق التلفزيون الأهداف التربوية المنشودة التي نسعى جميعاً تربيةً وإعلاماً إلى تحقيقها، هذا ويمكن أن نؤكد في سبيل ذلك المقترحات التالية:

- ١- تعزيز اللغة العربية الفصحى في جميع الأعمال التي يقدمها التلفزيون.
- ٢- الاهتمام بالأعمال التراثية والتاريخية التي تجسد منجزات أعلام العرب والحضارة العربية.
- ٣- الاهتمام ببرامج الأطفال ومسلسلاتهم والارتقاء بها إلى المستوى المنشود.
- ٤- التركيز على صورة العلم المشرقة في برامج التلفزيون.
- ٥- وضع خطط مبرمجة دائمة للإعلام التربوي تشارك فيها المؤسسات الإعلامية والتربوية: وزارة الإعلام، وزارة التربية.
- ٦- إعطاء المسألة التربوية وعالم الطفولة حيزاً أكبر في برامج التلفزيون، وتطوير هذه البرامج علمياً.
- ٧- تنويع أنماط البرامج الموجهة إلى الأطفال وإيجاد قنوات تواصل بين الطفل وبرامجه ليكون حياً فاعلاً لا منفعلاً.
- ٨- تضافر الجهود الإعلامية والتربوية لمواجهة تحديات العصر وظروفه.
- ٩- تطوير البرامج التعليمية في التلفزيون: طرائق، تقنيات، أسلوب، إخراج وتنفيذ.

- ١٠- ترشيد الإعلانات التجارية والحد من استخدام الأطفال فيها، والارتقاء بسوية المرأة في هذه الإعلانات.
- ١١- تصميم مواقف أو إعلانات لقيم تربوية إيجابية.
- ١٢- المتابعة والتقييم لمواد التلفزيون بإعداد الدراسات العلمية لمراجعتها وتطويرها.
- ١٣- المشاركة الفعّالة في الشبكة العربية للتعلم والتعليم عن بعد.
- ١٤- إحداث قناة تعليمية في التلفزيون تعمل على بث برامج تعليمية موجهة إلى جميع فئات المجتمع كافة تحقيقاً لعملية: «التعليم والتعلم عن بعد».

## سيكولوجية الفراغ

أبرزت الحضارة المعاصرة في سيرورتها المتعاضمة بفضل مصادر تطورها الداخلية ظاهرة تدعى «وقت الفراغ» التي سرعان ما وسمت هذه الحضارة بطابعها وجعلتها تعبيراً عنها بحيث باتت تدعى اليوم حضارة «وقت الفراغ» ويتكون وقت الإنسان من ثلاثة أقسام تشكل وحدة متبادلة التأثير هي: وقت العمل الضروري، وقت الراحة، وقت الفراغ... وقد أدى التطور العلمي التقني إلى زيادة وقت الفراغ في العصر الراهن، ولما كان التطور الاجتماعي يقوم على التلازم بين أقسام الوقت الثلاثة فقد أدت زيادة وقت الفراغ إلى زيادة أهميته، فقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ أن: «لكل شخص حق في الراحة وأوقات الفراغ» وأصبح التلازم بين وقت العمل ووقت الفراغ، سمة أساسية من سمات المجتمعات المتقدمة بحيث يمكن استثمار وقت الفراغ من أجل تنمية دوافع العمل... حيث لا يجوز اعتبار وقت الفراغ في هذا العصر مسألة ثانوية يمكن التقليل من أهميته وقيمه بالنسبة للإنسان والمجتمع فقد قال سقراط: «إن وقت الفراغ لهو أثنى ما نملك»، ولا يمكن في هذا العصر تصور الحياة عملاً متواصلًا لأن ذلك يؤدي بعد فترة إلى الشعور بالتعب والملل، لذا فإن تحقيق التوازن بين وقت العمل ووقت الفراغ أمر أساسي للإنسان فالترفيه الثقافي والروحي والجسدي ضرورة حيوية تمهد لحركة العمل والإبداع، وتعتمد سياسة وقت الفراغ في المجتمعات المعاصرة على مبدأ إنساني يطمح إلى تحويل وقت الفراغ إلى ممارسة أنشطة ترويحية بما

يتناسب مع أوضاع الفرد، وتتجلى أهمية وقت الفراغ بأنه منطلق التكوين الذاتي وإعادة إنتاج الحياة الذاتية من خلال ممارسة أفراد المجتمع نشاطات تسهم في بناء شخصياتهم وتنميتها.

فمن خلال معرفة نشاطات أوقات الفراغ يمكن الحكم على شخصية الإنسان أي: «قل لي ماذا تفعل في وقت الفراغ وأنا أخبرك بشخصيتك».

إن الشخصية التي تعيش ظروفًا خالية من أنشطة وقت الفراغ هي شخصية غير سوية، وهناك كلمة شهيرة مؤداها: «أن تشعر بالملل هو أن تقبل الموت»، هذا وتزداد أهمية وقت الفراغ عندما يتعلق الأمر بالشباب عموماً لا سيما الشباب الجامعي هذا الشباب الذي يشكل فئة متميزة في أي مجتمع بشري لأسباب ذاتية وموضوعية تتلخص في تواجدهم في طبقات المجتمع وفنائه وهم أكثر فئات المجتمع حركة ونشاطاً ومصدراً من مصادر التغيير الاجتماعي وحالة نفسية اجتماعية انفعالية تتقبل التغيير وسرعة التوافق مع المتغيرات والتكيف معها بكل جرأة كما تتصف هذه الفئة بالإنتاج والعطاء والإبداع في المجالات كافة، إنهم المؤهلون قوة وعملاً وعلماً وثقافة وسلوكاً للنهوض بمسؤولياتهم في بناء المجتمع لأن خصائصهم المتميزة تختصر الزمن وتدفع عملية التنمية إلى الأمام، فالخطط التنموية التي تعطي نتائج إيجابية تبنى على أساس معرفة الحاجات الاجتماعية من خلال بحوث علمية تجرى على الواقع الاجتماعي مما يؤدي إلى تحقيق توازن الشباب النفسي والصحي والعقلي وإبعاد الشباب عن المؤثرات السلبية التي يفرزها تطور المجتمع والتي تحد من فعالية الشباب وإمكاناتهم.



## وقت الفراغ

### من منظور علم الاجتماع

### وحش يتربص بمستقبل الأجيال... كيف نواجهه؟

تركت الحضارة الإنسانية عبر العصور، حالات متعددة للنهوض الاجتماعي أكدت شخصية الإنسان ودوره في حياة المجتمع، وظهرت نتيجة لهذا الفهم العديد من الأفكار التي ترجمها علماء الاجتماع لدراسة علاقة الفرد بمجتمعه، منها ما تحدث وبشكل واضح عن نمو هذه العلاقة في إطار من العمل البناء تنصهر فيه طاقات الأفراد في سبيل المصلحة العليا للمجتمع ككل، وتحدثت هذه النظريات والأفكار عن بناء المجتمعات ودور الإنسان في تحقيق هذه المعادلة الصعبة في إطار من الوعي المجتمعي. وقد حدد ابن خلدون في مقدمته الشهيرة «عوامل بناء الدولة» وأشار إلى دور العصبية والوعي الجماعي في بناء شخصية الدولة الفتية حيث تتضافر فيها جهود أبناء المجتمع لبناء دولة قوية تستطيع فرض نفسها في دوامة الوجود الإنساني، حيث تسود العصبية في هذه المرحلة وتنجح في الوصول إلى بناء الدولة المنشودة، مستفيدة من جميع المعطيات الحضارية المتوافرة لديها، فيشهد المجتمع عموماً هذه الدولة تنمو وتتطور وتتغرز في إطار يصح تسميته بالنضال من أجل بناء الدولة القوية.

وهكذا تبدأ ملامح الدولة بالظهور وتتشكل بدافع العصبية دولة قوية تستفيد من جميع الطاقات المتاحة للأفراد، لتبدأ بعدها المرحلة الثانية من عمر الدولة حيث تتبلور الأمور وتنهض هذه الدولة قوية متماسكة تفرض

نفسها، حيث تبقى آثار العصبية هي السائدة إلى حد ما في هذه المرحلة بعد تكامل عناصر الدولة، وهكذا يعيش المجتمع عصر الدولة الذهبي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ... لتعيش مرحلة من الاستقرار والبناء المتكامل ممهدة الطريق لجيل جديد يعيش على حرير الإنجازات ويبدأ استثمار ما أتاحت له الدولة العصرية، وفي غياب الوعي تبدأ العصبية بالتراجع فيبدأ الوهن يدب في أوصال الدولة حيث يتوجّه أفرادها إلى اللهو والمُتّع وحصار الإنجازات بعيداً عن الدوافع العصبية التي أكد عليها أجداده، وهنا لا يجد الأفراد ما يشغلهم، فيدخلون المتاهة تاركين المجال للأمراض الاجتماعية بالتفشي مما يسبب في الانهيار التدريجي لدعائم الدولة، وتبدأ المسألة من بداياتها.

وهكذا تكتمل الفصول لتبدأ مراحل نشوء الدول من جديد. وما يهمننا هنا أن أفراد الدولة المنهارة يتحملون عبء الانهيار نظراً لانتشار روح اللامبالاة بينهم والفوضى، وانخراطهم في حياة اللهو... ومثل هذه المسائل تترك مجالاً رحباً لظاهرة الفراغ التي تبسط جناحها على مختلف مناحي الدولة لتبدأ عوامل الانهيار.

إلا أن ابن خلدون في حديثه هذا ترك المجال واسعاً أمام مبدأ الفناء والتآكل الذي يحمل في بذوره عوامل البدء بنشوء الدولة الجديدة. وفي عصرنا هذا تغيرت أسباب ودوافع هذا الوضع لأن العالم الجديد أو المتغيرات التي فرضت نفسها منذ عصر النهضة وبدء مرحلة التطور التكنولوجي قد جعلت الهوة ترتفع بين الفرد بصفته عاملاً أساسياً في تحقيق النهضة بجميع أشكالها وبين المجتمع الجديد الذي أصبحت فيه الآلة تحل محل الإنسان في الكثير من النواحي، والتي جعلت الأخير ينصرف نتيجة توفر البديل إلى ما هو أسهل منغمساً في دوامة التعقيد مما يجعل الفراغ المسيطر الأكبر على حياة الأفراد، فتبدأ المرحلة العكسية في سلوك الفرد

وعلاقته بالمجتمع إذا لم تتوفر البدائل التي تشتت هذا الفراغ وتعيد الفرد إلى مجتمعه، بإذكاء روح العمل لديه، وتعزيز الشعور بأنه إنسان مهم، له هويته التي يريدّها، ويناضل من أجل تحقيقها.

ومن هنا فالفراغ يشغل أحد الركائز الرئيسية، بل أحد الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي يعاني منها المجتمع. والحضارة المعاصرة في سيرورتها المتعاضمة، بفضل مصادر تطورها الداخلية قد أفرزت ظاهرة تدعى «وقت الفراغ» التي سرعان ما وصمت هذه الحضارة بطابعها، وجعلتها تعبيراً عنها بحيث باتت تدعى اليوم بحضارة «وقت الفراغ».

وتشير الوقائع إلى أن ظاهرة «وقت الفراغ» ملازمة لوجود الثقافة في المجتمع، سواء كانت الثقافة قديمة أو حديثة، لكن الذي أعطى هذه الظاهرة بُعدها وانتشارها هو تلك السمة التي تميز الحضارة المعاصرة والمتمثلة في إنقاص يوم العمل وأسبوعه وإنشاء نظام الإجازات المأجورة التي خلقت مزيداً من ساعات الفراغ عند أفراد المجتمع.

### مفهوم وقت الفراغ:

وظاهرة الفراغ كما يقول عنها الدكتور كامل عمران رئيس قسم المكتبات بجامعة دمشق تعد في مفهومها من أكثر الظواهر غموضاً وإبهاماً وتفرض على علم الاجتماع أن يدرسها دراسة شاملة، فقد قام تورستين فيبلن منذ أوائل القرن العشرين بدراسة هذه الظاهرة وتحليلها، ولكنها لم تعرف الانتشار إلا مع تنامي البحوث الاختبارية وازدهارها بدءاً من عام ١٩٣٠ فهذا روزنمير يؤكد أن وقت الفراغ فاعلية يُبرز فيها الفرد سائر قدراته الخلاقة.

أما ماكس كابلان فيرى إنما هو في أفضل معنى من معاني الجد، ما يتيح للفرد أن يتجدد وأن يعرف ذاته وأن يتكامل، أما فيليبكوبا

فقد عرّف وقت الفراغ أنه... اختيار حر بصورة نسبية، غايته الفرد ذاته. ويضيف الدكتور عمران: من هذه التعاريف يتبين أن وقت الفراغ اختيار حر نسبياً يقوم به الفرد دون أي التزام مقيد، كما أنه فاعلية تبرز قدرات الفرد الخلاقة، وليس ثمة نشاطٌ ضائعٌ لا معنى له... وتسمح هذه الفعالية بمعرفة ذات الفرد، معرفة تؤدي إلى تحديد الذات وتكاملها.

ويقترح الباحث الفرنسي دوما زيديه في محاولة لتحديد أبعاد هذه الظاهرة أربعة مقاييس:

١- **الطابع التحرري:** ويعني أن وقت الفراغ تحرير من بعض الالتزامات واختيار بعض الفعاليات. أي تحرير الفرد في ساعات محددة من بعض الأنشطة التي يجب القيام بها سواء اختارها أم لا. لينقله إلى أنشطة جديدة يختارها بملء إرادته وحرية.

٢- **الطابع المجاني:** وهذا يعني أن وقت الفراغ لا يكون في خدمة أي هدف مادي أو اجتماعي، حتى عندما تضغط عليه الحتميات الاجتماعية، ولما كان وقت الفراغ يقابل وقت العمل، فإن وقت العمل يحيل وقت الفراغ إلى نشاط مجاني. وبالتالي دون فائدة مادية تذكر. لكن هذا الرأي لا يعتقد به إلا الفرد المنعزل عن العالم، لأنه من المتعذر أن لا يكون لوقت الفراغ هدف مادي أو اجتماعي.

٣- **طابع المتعة:** وهو أن وقت الفراغ يقترن دوماً بالبحث عن السرور والمتعة. أو البحث عن حالة من حالات الرضى، وهو ما يقود المرء إلى وقت الفراغ.

٤- **الطابع الشخصي:** حيث يرتبط وقت الفراغ مباشرة بالدفاع عن كمال الوجود الإنساني، ويتيح تحرر الفرد من الملل اليومي وهو مرتبط بتحقيق الإنسان الكلي. حيث يوّد نمط الحياة المعاصرة ملاً يومياً يتوق الإنسان للتحرر منه ويتابع الدكتور كامل عمران: يتصف التجلي

التاريخي لوقت الفراغ في حضارتنا بصورة مؤكدة بأنه نوعي ويتخذ هذا التجلي صورة زمن محرر بالتقابل مع زمن العمل، إنه أحد مظاهر صلة الإنتاج الحديث الأساسية بالعمل المأجور، فهو يشارك بتناقض رأس المال والعمل. ويملك إذن طبيعة متناقضة، فوقت الفراغ ليس الزمن المحرر من الزمن الحر بالضرورة، والتميز بين الحدين الذي يعتزمه فريدمان يبقى ضبابياً ولو ظهر مفيداً جداً، وسبب ذلك على وجه الدقة هو الطبيعة المتناقضة، طبيعة أوقات الفراغ التي تحرر وتستعيد تهدم النظام الاجتماعي وتعيد إنتاجه، شأنها في ذلك شأن العمل. وبالمقابل لا يساعد بالضرورة الاضطرار الكبير في مدة اللاعول اليومية في أيامنا هذه على إرضاء حاجات المتعة عندما يستعمل في الانتقال من مكان العمل، أو يستعمل في المساعي البيروقراطية المتنوعة. بل إن هذا مرض اجتماعي يزداد خطورة، فلا يمكن أن نفهم ظاهرة وقت الفراغ إلا بالنسبة إلى الصورة التي يتخذها العمل، أي بصورة أكثر دقة بالنسبة إلى صلات الإنتاج في مجتمع معين من المجتمعات.

### الهروب من الواقع:

وبمناقشة وظائف العمل أو أشكاله نجد أنها تتمركز في مجال وظيفة الهروب من الواقع المعاش، أو ما يسمى بالتعويض. ويمكن تعريف الهروب بأنه الفرار الخيالي أو الحقيقي من واقع معاش قاسٍ وشاق، أو رتابة الحياة اليومية، وبمعنى أدق أن هذا الهروب يتحقق في الخيال، ويتميز في أيامنا هذه في انتقال الشخص من المكان اليومي المتوحد بصورة رمزية مع ضروب قسوة الحياة المهنية، في حين أن التعويض بواسطة وقت الفراغ عمل يضيف التوازن بهدف إملاء فراغ معنوي تخلفه الممارسات الشاقة.

ويختلف هذا الفراغ من شخص لآخر باختلاف المكان الجغرافي أو المهنة أو الجنس ودرجة التعليم، والوضع الاقتصادي والوضع الاجتماعي ويتخذ هروب ساكن المدينة على سبيل المثال صوراً تزداد مغالاةً تعويضاً عن ضعف الخيال كالنزهات والرحلات الجماعية، والدورات السياحية.

إن الهروب الخيالي بالنسبة لغالبية السكان هو هروب إلى السينما والتلفزيون، والعروض الرياضية، والسير في الشوارع أو ممارسة الألعاب المختلفة كلعب الورق والشطرنج وغيرها.

والهروب هو أيضاً وسيلة من وسائل استعادة القوى وهي الوسيلة الموضوعية في تكوين الكمون الطاقوي البيولوجي والسيكولوجي تكويناً جديداً. وقد اهتم العلماء والمفكرون كثيراً بوقت الفراغ في استعادة القوى ويخلص الدكتور: كامل عمران إلى القول: - يتقابل وقت الفراغ مع العمل، لكن العمل يملي قانونه، حيث تتدرج البطالة في دائرة الاستهلاك الواقعي، بصفتها سلعة أنتجها الإنسان ويكمن الخوف في أن يتحول وقت الفراغ إلى سلعة تباع وتشتري وإلى ظاهرة لتأكيد المكانة الاجتماعية، إلى الخوف من ممارسات في وقت الفراغ الذي يتحمل جميع تصورات المجتمع المسمى مجتمع الاستهلاك. وأضاف: إن مفاهيم التسلية والراحة... الخ التي يقرنها الناس بوقت الفراغ وقائع سيكولوجية لا تعطي في شيء مدلول الزمن الحر والمعاصر ولا مضمونه. حيث يندرج الزمن الحر في منظومة من التبادلات الاقتصادية والرمزية المعقدة.

### الشباب وأوقات الفراغ:

يقول الشاعر العربي أبو العتاهية يصف الفراغ الذي يصاحب الشباب بأنه مفسدة كبرى ولا تضاهيها مفسدة، وهو بهذا القول يحذر من خطر الفراغ في حياة الشباب فيقول:

## إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسدة

فالفراغ وحش يتريص بأفراد المجتمع وفي مقدمتهم الشباب لأنهم يمثلون الجانب الأكثر التصاقاً بالواقع وعلى عاتقهم تقع مسؤولية التغيير والبناء فهو أداة التحول التتموي والاجتماعي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وعندما يصيب الفراغ الشباب فإن ذلك يبشر ببداية تخلخل البنيان الأساسية في بناء المجتمع الأمر الذي يرتب على المعنيين والمهتمين ضرورة التصدي لهذا المرض الاجتماعي الخطير، وتجنب المجتمع مخاطر الفساد. فكما ذكرنا في البداية أن مستقبل الحياة يقوم على الشباب، وكذلك بناء الدول كما ذكر ابن خلدون في مقدمته. ولهذا لا بد لنا أن نقف على أسباب الفراغ في بداية معالجتنا للظاهرة للفراغ أسباب كثيرة منها ما هو ذاتي يعبر عن نزعة ذاتية لدى بعض الشباب في التخلص من روتين الحياة وقسوتها فيلجؤون إلى الهروب الخيالي أو التعويض بالتمرد على أشكال الحياة الجديدة والانصراف إلى ما يوفر لهم المتع الذاتية، مستهلين الطريق خصوصاً إذا توافرت لهؤلاء الشباب عوامل المتعة وأسبابها من مال وجاه وغير ذلك فيكون المناخ ملائماً لتحول الشباب من عناصر فعالة في بناء المجتمع إلى عناصر تعيش على هامش المجتمع فتخرج من عملية البناء، وربما تتحول إلى الجانب الهدام... فالشعور بالملل على سبيل المثال جراء تكرار مفردات الحياة اليومية دون جديد يذكر قد يخلق لدى الإنسان حالة من الرفض الذاتي لهذا الواقع، فيسقط في يده وخصوصاً، إذا افتقد الشباب إرادة العمل والتغيير فينصرفون إلى الاتجاه المعاكس، فيصبحون عالة على المجتمع.

كذلك فإن هناك دافعاً اقتصادياً يجعل الفراغ ينتشر في صفوف الشباب، وذلك لانعدام فرص العمل البناء الذي يبحث الشباب من خلاله عن هويتهم الاجتماعية، فلا يجدونها، لأن كل إنسان تتحكم فيه نوازع العمل والإنتاج،

فيصبح الفراغ أحد أهم المشكلات التي يواجهونها، وإذا فشلوا في الوصول إلى عمل مقنع يوفر لديهم الراحة الذاتية، أو المكانة التي يجدون أنفسهم من خلالها، فإنهم سيتحولون إلى الانحراف والفساد طريقاً للتعبير عن رفضهم وتمردهم على الظروف الصعبة التي يعيشونها.

أما الحالة الثالثة فتتمثل في فشل الشباب في أخذ فرصتهم في التعليم والعمل وبالتالي يعيشون غربة صعبة في بيئتهم الاجتماعية، فيبدأ الروتين يشمل معظم مراحل حياتهم مما ينعكس على نظرتهم للمستقبل فيقعون أسرى الفراغ.

فالشباب كما هو متفق عليه لا يمثلون طبقة وإنما هم شريحة عمرية غير متجانسة موزعة على مختلف طبقات المجتمع، غير منفصلة عن المرحلة التي سبقتها، ولا هي منفصلة عن المرحلة التي تليها، لكنها تتميز عنها بتطلعاتها ونظرتها إلى الكون واعتمادها على الذات ووعيها للأمور العامة وقدرتها على التأثير ورغبتها في التغيير، لكن هذه القدرات لا تتحقق بصورة عفوية، أو مجرد بلوغ عمر الشباب لا يزود المرء بصورة تلقائية بهذه الصفات، بل لا بدّ من تنشئة الشباب تنشئة سليمة ومركزة وتكوينه تكويناً علمياً يتماشى مع ما تتطلبه التطورات الفنية التكنولوجية الحديثة، تكويناً يُمكنه من مواجهة تحديات العصر بثقة وثبات، وتتدخل بهذه التنشئة عوامل عديدة من أبرزها التعليم. فالشباب يمرّ بمرحلة عمرية يحاول فيها إيجاد إجابات عن تساؤلات متعددة عن الوجود والذات والمثل والأخلاق، يحتاجها لتأكيد ذاته وترسيخ كيانه ولما كانت المدرسة لا تشبع حاجات الشباب بحكم كثافة منهاجها، والجامعة لا تلبّيها بسبب نقص أساتذتها أو بتعبير آخر حسب أعداد طلابها: كان لا بدّ للشباب أن يلجأ لمصادر أخرى للإجابة عن تساؤلاته، وقد يجره هذا إلى تبني اتجاهات غير سليمة، ويؤدي إلى تذبذب شخصيته وتبديد جهوده. لذلك لا بدّ من وجود الأخصائي الاجتماعي في المدرسة الثانوية ضرورة لمساعدة الطلاب على حل



مشكلاتهم والإجابة عن تساؤلاتهم، كما أن جهود المراكز التعليمية والثقافية والإعلامية ذات أثر بليغ في هذا المجال وذلك من خلال قيامها بالأنشطة الثقافية المختلفة.

فتكوين الشباب لا يتم داخل المدرسة أو الجامعة فقط، فهناك وسائل الإعلام المختلفة ومؤثرات البيئة الاجتماعية بما تملكه من قوة في المحتوى وجاذبية في العرض، كلها يجب أن تخضع لرقابة واعية حتى تكون توجهاتها نحو تكوين فكر علمي للشباب.

### الشباب والعمل:

يشكل الشباب في الوطن العربي خُمس القوة البشرية العاملة أو التي يعتمد عليها في أداء أعمال إنتاجية معينة، وهو العصب الرئيسي للمجتمع والاقتصاد. ومع ذلك نجد طاقات جمّة للشباب تبدو بشكل عشوائي، أو تصرف دون أي طائل، وكثيراً ما يصرف الشباب جزءاً من طاقاتهم في مراحل تجريبية تهدر الزمن، وتترك آثارها من الإحباط والسلبية لأنهم لم يحسنوا الاختيار منذ البدء ولم يتوجهوا توجهاً مهنيّاً يناسب قدراتهم وميولهم. فالعمل من الناحية الاجتماعية يساهم في تكريس قيم جديدة تقوم على التعاون وخدمة المصالح العامة والتفاني في تحقيق الانسجام بين الفرد والمجتمع وبذلك تحارب قيم المجتمع المحافظ التي تكزّس الاتكالية وازدراء الأعمال اليدوية، وتكمن أهمية عمل الشباب من الناحية الاجتماعية في دخولهم كقوة منظمة تساهم في شعور الفرد بذاته وقدرته على العطاء مما تؤكد الثقة بالنفس والقدرة على الإدارة وتنفيذ المهام بمهارة. وبذلك يمكن زج الشباب في الأعمال المنتجة مما يقتل لديهم الشعور بالفراغ ويحولهم إلى عامل البناء المطلوب.

أما المشكلة الأهم في مجال عمل الشباب فتتمثل في أن الكثير من الخريجين يشكون من عدم حصولهم على فرص العمل مدة تصل إلى عدة

سنوات وهذه فترة يصل الشباب إلى درجة واضحة من الضيق بالحياة وينسى العدد الكبير منهم جزءاً كبيراً من المهارات والمعلومات التي جمعها في سني الدراسة وبالتالي تتكون لديه اتجاهات سلبية تجاه المجتمع إذ غالباً ما يفقد الشباب في مثل هذه الحالة تقديرهم لأنفسهم، واحترامهم لكفاءاتهم وتظهر مشاعر اليأس واللامبالاة ما دام يتصرف المجتمع بهذه الدرجة من اللامسؤولية. وفي حال حصول معظمهم على فرصة عمل فإن انخفاض الأجور التي يتقاضونها يشكل خطراً على الشباب ليس من الناحية المادية فحسب بل يتعداها إلى الإحساس بالظلم الاجتماعي، مما يؤدي إلى نتائج سلبية تتمثل في الانصراف عن العمل وسيادة اللامبالاة وانشغال الشباب بالبحث عن مصادر أخرى للرزق على حساب أعمالهم الوظيفية ومصالحه المجتمع. أو يسقطون في انحرافات خطيرة.

مما تقدم يمكن القول بأن مشكلات الشباب في عصرنا الراهن من أكثر المواضيع اهتماماً لدى الباحثين وعلماء الاجتماع والتربية. وقد دلت الدراسات الأخيرة على وجود علاقة جدلية بين ارتفاع السلوك المنحرف عن الشباب وسوء التركيبات والبنى الاجتماعية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مثل هذه العلاقة أكثر ما تلاحظ في المجتمعات التي تمتلك رؤوس الأموال والتي سعى أصحابها وبشكل مقصود إلى ترسيخ الانحراف في نفوس الشباب ودفعهم نحو أنماط من هذا السلوك لإبعادهم عن القيام بأي نشاط مثمر ومفيد يخلص المجتمع من الضياع الذي يعيشه الإنسان في هذه المجتمعات.

لكن الأمر مختلف لدينا في الوطن العربي، فشبابنا اليوم تشده أصالة من جهة للتمسك والإبقاء على قيمه العربية الأصيلة، ومن جهة أخرى حضارة غربية زائفة لیتعلق بها، ولنقل إن توجيه الشباب نحو التمسك بهذه الأصالة تجسد في الدور الذي تقوم به المراكز التعليمية والثقافية والتي جعلت

من الشباب في الوطن العربي لا يبلغ ما بلغه الشباب من انحراف ليس في المجتمعات العربية فحسب بل حتى في المجتمعات الغربية نفسها، ويرجع الباحثون المشكلات إلى:

- ١- حالة عدم الاستقرار الاجتماعي.
- ٢- نزوع الشباب نحو الحرية واصطدامه بالقيود الاجتماعية.
- ٣- التعارض بين ما يريده الشباب وما يمنحهم إياه المجتمع.
- ٤- وجود أشكال متعددة للتمرد نتيجة للتضارب بين الشباب وبين ما هو سائد من قيم في المجتمع، من جهة والتصادم الذي يعيشه الشباب نتيجة لاختلاف القيم من جهة ثانية. والتمرد يأخذ أشكالاً متعددة منها ما يتمثل في التمرد النفسي يخلق شخصية أخرى تشبع لدى الشباب حاجة للقدرة على السيطرة وتحقيق الذات، أو قد يتحول إلى نوع من الانطواء والعزلة. وهنا يكون الفراغ أحد أهم أشكال هذا التمرد.

- ١- مشكلة الحب والجنس الآخر.
- ٢- الانتقال من فرض لآخر ومن فكر لآخر.
- ٣- الصراع بين نزعات الماضي وحاجات الحاضر.
- ٤- الالتصاق بالطبيعة والخضوع لأحكام القدرية.
- ٥- ضعف الثقة بالنفس وهو ما يرافقه تضخم الشباب بحقوقهم.
- ٦- غياب الإبداع. غياب الهوية وانتشار الحيرة تجاه المستقبل. وقد أكد الدكتور خلدون الحكيم أستاذ علم النفس بجامعة دمشق أن الأزمة بالأصل هي أزمة البحث عن هوية بشكل عام، وتتفاقم هذه أكثر عند الشباب أنفسهم ما دام الأكبر منهم سنّاً والأكثر وعياً لا يعرفون بالتحديد ماذا يريدون فالهوية التي نطالب بها شبابنا يجب أن تكون أصلاً واضحة وأصيلة عند كهولنا والراشدين مثلاً. وإن جهودنا في سبيل تحديد الهوية

ما زالت قاصرة وسطحية وطفيلية ومتناقضة وما زالت إلى حد كبير لفظية غير قابلة للترجمة إلى سلوك فعلي وموضوعي لإنقاذنا من الكوارث التي تحيط بنا وما أكثرها، ويختم الدكتور خلدون الحكيم بالقول:

كم هي صعبة المهمة التي تنتظر شبابنا لإنقاذنا من الانتحار الحضاري الصامت.

### ماذا عن الحلول؟!:

بعد دراستنا للجوانب المتعددة للمشكلة لا بدّ من التوقف قليلاً وسؤال أنفسنا ماذا فعلنا كي نجنب الشباب مغبّة السقوط في متاهات الفراغ وما يمكن أن يتركه هذا المرض الاجتماعي من ظلال على نفوس الشباب وبالتالي على مجتمعنا بشكل عام.

وبالتالي علينا أن نقف عند طاقات الشباب وحدودها... وحين نقول إن الصراع على الشباب أكيد لكسب أفئدتهم وعقولهم فهذا هو الصراع الحقيقي اليوم. فكلما كانت: المراكز التعليمية والثقافية قادرة على مسك وتحسين عقول شبابنا كانت المسألة تحسم لصالح المجتمع أكثر، وكانت النجاحات على هذا الصعيد أكبر. إذن هناك ولا شك جهود مشكورة لاستيعاب طاقات الشباب وزجهم في عملية بناء المجتمع من خلال إدراكنا الواعي لأهمية هذا القطاع، والمطلوب أن تتضافر جهود الأسرة والمدرسة والمؤسسات التعليمية بأسرها، مع جهود المؤسسات الإعلامية والجامعات وجهود الباحثين من أجل مناقشة مشكلات الشباب وفي مقدمتها التخلص من مشكلة أوقات الفراغ كي لا يتحول هذا المرض إلى وحش ضار يفتك بالشباب والمجتمع.

## سيكولوجية أمراض الكلام وظاهرة التأتأة لدى الأطفال

تعثر الطلاقة في الكلام «تكرار الأصوات والمقاطع والكلمات وإطالتها» صفة مميزة للنمو السوي للكلام تظهر عند معظم الأطفال في وقت وفي آخر. إنها تظهر وتغيب في موجات في السنين قبل المدرسية وفي السنين الباكرة من المدرسة وتكون واضحة عند بعض الأطفال أكثر من بعضهم الآخر. ولقد وجدنا أن هذا الكلام التكراري يظهر أكثر ما يظهر في الأعمار التالية: سنتين ونصف، ثلاث ونصف وست سنوات، وفي الحالات السوية يمر الطفل بهذه المراحل مروراً سريعاً ليصبح كلامه فيما بعد مستقيماً نسبياً وطلائعاً.

وفي المتوسط فإن الطفل فيما بين السنة الثانية والسنة السادسة - وهو ما زال في مرحلة تنمية كلامه - يكرر «٤٠-٥٠» مرّة في كل ألف كلمة، وهو قد يكرر الحروف أو المقاطع أو الجمل، كما أنه قد يقف وقفات غير مناسبة أو يطيل إطالات غير مناسبة.

إن عملية التكلم عملية معقّدة ولذلك فمن غير المدهش أن يكون كلام الطفل الصغير غير ثابت ولا طليق، إن مثل هذا الطفل يكون مشغولاً بإتقان الأصوات والمفردات الجديدة وتركيب الجمل وغير ذلك من تعقيدات لغة الكلام، وغير خافٍ أن الراشد نفسه يتصف أحياناً ببعض التوقفات والتكرارات وبالرغم من أن التأتأة تحدث إثر صدمة عاطفية أو أزمة من الأزمات فإن بداية عدم الطلاقة تكون متدرجة وعامة وفي معظم الحالات تلاحظ أول ما تلاحظ في الأوضاع الروتينية للحياة اليومية.

## دواء نفسي... لمعالجة سبب وراثي:

قَدَّرت بدقة الإحصاءات البريطانية عدد الذين يعانون من التأتأة (Stammering) في كل من اسكتلندا وويلز وإنكلترا وشمال إيرلندا بـ ٢.٥ مليون شخص يتوزعون على مختلف الفئات الاجتماعية والبيئية وبالرغم من هذا العدد الهائل من المصابين بالتأتأة فإن طرق العلاج الشائعة ما زالت تقليدية وذلك من خلال تدريب الصغار على التحدث بصورة دائمة ومساعدة الكبار على الثقة بالنفس لتجاوز العقبات الكلامية التي قد تقف كحاجز نفسي بينهم وبين مجتمعهم في حالات كثيرة منها مجالات التعليم والمخاطبة وشغل الوظائف وبخاصة تلك التي تتطلب إتقان اللغة بشكل أساسي.

غير أن طرق العلاج الشائعة لم تقف حائلاً دون بذل الجهود الطبية والعلمية في سبيل التوصل إلى علاج دوائي حديث، وعلى الرغم من أن رحلة البحث عن عقار فعال لمعالجة ظاهرة التأتأة قد بدأت منذ وقت ليس بالقصير إلا أن النجاح لم يكتب لها خلال الفترة الماضية، ومع ذلك ترددت معلومات عن تَمَكُّن الأخصائيين أخيراً من تحديد عقار دوائي يستخدم لمعالجة انقسام الشخصية بإمكانه أن يبذل إحدى المواد الكيميائية الدماغية المسببة للتأتأة وهذا يعني إمكانية استخدامها كعلاج نافع.

لقد حققت التجارب السريرية المبدئية نتائج جيدة في هذا المجال، حيث بدأ الأطباء في الولايات المتحدة استخدام دواء يدعى «زيبركسيا» لمعالجة التأتأة، ولم يلاحظ بنتيجة التجارب وجود تأثيرات جانبية سلبية ناجمة عن استخدام هذا العقار الدوائي، وتبين للأستاذ «روجر كورلان» من جامعة روتشستر في نيويورك أن المرضى الذين يعانون من التأتأة تكون ملامح تعابير الوجه عندهم أثناء المعالجة شبيهة جداً لمرضى نفسيين لديهم حالة تدعى متلازمة «تورتي» ووجد أن معالجة المتلازمة هذه بدواء زيبركسيا يُحسِّن من ظاهرة التأتأة، ومن هنا نشأت فكرة استخدام هذا العقار الدوائي لدى الناس العاديين الذين يعانون من التأتأة دون وجود مرض معين.

ويرى أطباء الأمراض العصبية أن التأتأة ناتجة عن زيادة الفعالية الدماغية لدى بعض الناس، وقال كورلان: إن هناك سيالة عصبية كبيرة في أعماق دماغ الذين يعانون من التأتأة حيث تؤدي زيادة نشاط الدماغ إلى منع خروج الكلمات بشكل متناسب ومتناسق.. وإذا تسنى للأطباء تثبيط الفعاليات الكيميائية الدماغية عندها يمكن تخفيف حدّة التأتأة بشكل كبير وقام كورلان بتجربة دواء «زيبيركسيا» على كهل يعاني من ظاهرة التأتأة ووجد أنه يؤدي إلى نتائج مذهلة، وعلق «كورلان» إن معالجة الكهل بأساليب التدريب على النطق والمحادثة تكون مهمة أصعب مما هو عليه لدى الصغار، ويفيد الاختصاصيون بأن هذا الدواء من الممكن أن يساعد الكثيرين، فأحدى المريضات والبالغة من العمر «٣٤» سنة تركت مدرستها الإعدادية بسبب التأتأة وعندما كبرت حاولت الحصول على وظيفة مناسبة لكنها فشلت مراراً بسبب سيطرة هذه الظاهرة عليها، ولاحظ الأطباء تحسناً واضحاً على حالتها بعد أن عولجت لمدة أسابيع بدواء «زيبيركسيا»، كما تبدلت شخصيتها بشكل واضح في الفترة الأخيرة حتى غدت أكثر ثقة بنفسها وهي أم لطفلين وتبحث عن وظيفة، وفي دراسة لمرضى آخرين يعانون من نفس الحالة وجد الأطباء أن نسبة تحسن التأتأة قد تصل إلى ٨٠% لدى بعض الناس لكن هذه النتائج مازالت مبكرة ولا يُعرف مدى التأثير الدوائي بعد مرور مدّة طويلة من الزمن على استخدامه، ويعتقد الدكتور كورلان أن ظاهرة التأتأة في تزايد وهي ناتجة عن خلل وراثي في إحدى الجينات «المورثات» ولكن لا يصاب بها كل الأطفال الذين يحملون هذه المورثة.

أما في بريطانيا فينتظر الباحثون نتائج دراسة الأستاذ الأمريكي والتي ستم على «٥٠» شخصاً يعانون من التأتأة.

### دور الأهل في الطلاقة السوية عند الطفل:

في معظم الأحيان يقلق الوالدان لعدم الطلاقة السوية هذه ويصفونها بأنها تأتأة، لكن هذا السلوك يختلف عن التأتأة الحقيقية المزمنة والتي تتجلى

عند الراشدين، والطفل الصغير قلما يكون واعياً لهذه «الصعوبة» إلا بعد أن ينبهه إليها إنسان ما في محيطه وذلك بخلاف المتأتمئ الأكبر سناً الذي يكون واعياً لتردده في الكلام والذي تبدو عليه أعراض أكثر تعقيداً.

والوالدين اللذين يفلقلهما هذا السلوك كثيراً يتساءلان عما إذا كان ثمة خطأ في لسان طفلهما أو عما إذا كان متأخراً عقلياً أو عصبياً، ومع ذلك فإن الكلام التكراري يحدث بصورة شائعة بين الأطفال الذين يكونون أسوياء في كل شيء والذين تكون ظروفهم المنزلية ممتازة وشخصياتهم متناسقة.. إلخ. ولذلك فنحن لا نعتبره دلالة على أن شيئاً ما خاطئ عند الطفل.

ومع ذلك فإن عدم الطلاقة السوية هذه قد تصبح خطيرة إذا ما عولجت معالجة سيئة، إن الطفل الذي يقاطع دوماً عندما يحاول الكلام، والطفل الذي يعاقب لأنه يكرر كلامه، والطفل الذي لا بد له من المنافسة لكي يجد فرصة للكلام، أو الطفل الذي يجبر بقسوة على الاعتراف بعمل سيئ اقترفه نقول إن مثل هذا الطفل قد يصاب بعدم الطلاقة في الكلام ويتخذ منها متنفساً لتوتراته العاطفية. إننا لا ننصح بمعالجة الطفل الذي يكرر كلامه بصورة عادية ولاسيما في السن قبل المدرسية، ولكن ثمة أشياء كثيرة يستطيع الوالدان فعلها لمساعدة طفلهما على التقدم بسهولة في الكلام الطليق وخير مقارنة للموضوع هي المقارنة الوقائية وغير المباشرة، وفيما يلي بعض الأمور التي يجب على الوالدين فعلها وبعض الأمور التي يجب عليهما تجنبها والتي يمكن اعتبارها مرشداً لهما:

### الأمور الواجب فعلها من قبل الأهل:

- ١- أول الطفل الانتباه الذي يستحقه حين يتكلم إليك.
- ٢- أصغ إليه بصبر وتفهم حين يخبرك عن شيء وقع له ويعتبره هاماً.
- ٣- اسمح له بإنهاء ما يقوله دون أن تقاطعه مهما كانت الصعوبة التي يلقاها في قوله ذلك.



- ٤- اقض قدر الإمكان على أسباب التوتر والتثبيط في روتينه اليومي.
- ٥- أبعد المؤثرات المزعجة التي تبدو وكأنها تعمق من عدم طلاقته.
- ٦- احرص مثلاً على أن تتوفر له فرص التعبير عن نفسه على طاولة الطعام دون أن ينافسه كثير من الأطفال الأكبر منه سناً.
- ٧- حاول أن تحافظ على أعظم قدر ممكن من الهدوء والراحة في جو البيت، ويمكن التوصل إلى ذلك بتبطئة سرعة سيرك ومعالجة الأمور بطريقة سهلة غير مستعجلة.
- ٨- حاول أن تتكلم ببطء وهدوء وببساطة إلى طفلك، فإذا كنت أنت هادئاً ومسترخياً فإنه يشعر بدوره بالهدوء والاسترخاء أثناء كلامك معه وكذلك أثناء كلامه معك، في بعض الأحيان يكون من الصعب عليه أن يجاريك أنت وغيرك من الراشدين في سرعة كلامكم، أما إذا ما تكلمت بجمل قصيرة بسيطة وبنغم بطيء فإنه يكون من الأسهل عليه تحقيق الطلاقة في الكلام.
- ٩- احرص على عدم إثارته إثارة شديدة وعلى أن لا يكون متعباً.
- ١٠- افعل كل ما تستطيع للحفاظ على صحته.
- ١١- احرص على أن تكون مطالبك إليه مناسبة لقدرته على الفهم والتنفيذ.

### الأمور التي يجب على الأهل تجنبها:

- ١- لا تسمِّ عدم طلاقته «تأتأة» إنك إذا ما وصفته بالتأتأة «أو بأي اسم آخر» وفي وجهه فإنه قد يستجيب للوصف ويصبح شاعراً بصعوبة كلامه مما قد يزيد هذه الصعوبة.
- ٢- لا تناقش في حضوره إطلاقاً «مشكلته» والصعوبات التي يلقاها في كلامه.
- ٣- حاول أن تتجنب القلق بخصوص كلامه، ولعل مما يسهل تراخيك في هذا الصدد معرفتك أن معظم الأطفال يمرون بعدم الطلاقة هذه التي

تعتبر مرحلة نمائية وأن معظم الأطفال يتغلبون عليها، إن قلقك قد ينتقل إلى الطفل.

٤- حين يتكلم الطفل إليك لا تظهر بأية طريقة «بتعبير وجهك أو بعدم صبرك أو غير ذلك»، أنك تلاحظ صعوبته في الكلام.

٥- لا تطلب إلى الطفل أن يتكلم ببطء أكثر أو أن يقف ويعيد الكلام أو يبتفس أو يفكر قبل أن يتكلم، حتى ولو كانت هذه الاقتراحات تؤدي إلى بعض التحسن.

٦- إن مثل هذه المطالب لا تفيد في المعتاد إلا في زيادة مصاعب الطفل.

٧- لا تكافئه على طلاقته ولا تعاقبه على عدم طلاقته أو تكراره للكلام.

٨- لا تجبره على مواقف كلامية «من مثل إسماع الغرباء قصيدة حفظها أو الاعتذار أو الاعتراف أو غير ذلك».

إن الكثير من الاقتراحات المذكورة أعلاه تهدف إلى وقاية الطفل من الشعور بعدم طلاقته، إن هذا هو مثلنا الأعلى ولكنه لا يتحقق دوماً، ذلك بأن رفقاً من رفاقه أو أحد الراشدين الآخرين قد يشعره بعدم طلاقته، فإذا ما حدث ذلك فإن من واجب الأب أو الأم الحكيمين أن يطمئنا الطفل، إن في إمكانهما إخباره أن «كل الناس يترددون أحياناً في كلامهم إذا ما كانوا متهيجين أو إذا ما تكلموا بسرعة».

فإذا ما ثابر الطفل على التأتأة وشعرت أن فترات انطلاقه قصيرة جداً وبخاصة إذا ما شعر الوالدان بأنهما لا يفهمان تأتأته فهماً صحيحاً أو شعراً بعدم الكفاية في معالجتها فإن من واجبهما أن يستشير أخصائياً في الكلام أو عيادة كلام...

## سيكولوجيا التفوق

ظاهرة إغناء المعارف... وصل المواهب...  
واكتشاف المجهول... « دوافعها – مشكلاتها »

إن التفوق ظاهرة إنسانية نبيلة، ترتبط برغبة عارمة في إغناء المعارف وصل المواهب، واكتشاف المجهول. أو لنشدان الاستحسان والتقدير من قبل الغير، وهي تمنح الفرد تفواؤلاً واعتزازاً ببلوغ الهدف المنشود نتيجة العمل المنظم الجاد والمتواصل.

حيث إن اهتمام الآباء والمدرسين وعلماء النفس والمشتغلين في حقل الإرشاد، في دراسة المواهب الخاصة لدى الأطفال والمراهقين آخذ بالازدياد، ليست هذه الدراسة جديدة وتقوم الآن محاولة بشيء من النجاح لتقدير المواهب الخاصة للناشئة بطريقة موضوعية وعلمية أكثر من الطرق السابقة، كما بدأت المدارس تشعر بأنها مسؤولة إلى حد ما عن اكتشاف الأطفال الممتازين أو الموهوبين جداً بأسهل الطرق الممكنة، وذلك لكي تستطيع فهمهم فهماً أفضل، وإرشادهم إرشاداً أحسن لإنماء قابليتهم المتفوقة.

تعرف الموهبة بأنها القدرة أو القابلية الموروثة العظيمة للقيام بأحد المساعي كأحد الفنون، أو أحد الدروس، أو إحدى المهن، فالموهبة في الموسيقى مثلاً، تعني بصورة عامة قابلية تفوق كبيرة، قابلية الشخص المتوسط في التعليم في هذا الميدان من النشاط، والنبوغ (Talent) موهبة من النوع الراقى قادرة على الاستفادة من نوع راق من التدريب، والعبقرية (Genius) هي القابلية العظمية للإبداع والأداء أو الإنجاز (topperform) ولا توجد إلا في أرقى المواهب البشرية.

ما هي أهمية كل من الوراثة والبيئة بالنسبة للأخرى في تعيين القابليات الخاصة؟ إن البراهين التجريبية تشير بصورة لا تقبل الشك إلى أن المواهب موروثية، وإلى أن البيئة مع ذلك قد قامت بدور عظيم في إنماء إمكانات الأفراد الموهوبين، وربما كان للفرص والدوافع التي تهيئها الأسر والمدرسون أكبر الفضل في إنتاج الأشخاص الذين يتمتعون بشهرة بارزة في الإبداع والإنجاز، إن عوامل الاهتمام والحماس والتركيز التي تغذيها ظروف البيئة الملائمة لا يمكن التقليل من قيمتها، ولكن يجب ألا يغيب عن الذهن أن الموهبة أو النبوغ أو العبقرية يجب أن تكون متوافرة وإلا لم يغن العمل الشاق والتشويق مهما كان مقدارهما في إبداع أي عمل فني عظيم أو إنجاز أي عمل من النوع الراقى.

ويوضح عالم النفس (Garrison) هذه النقطة بالاستدلال ببعض الموسيقيين المشهورين: «إن أعمال أشخاص من أمثال (Mozart) و (Mendelsshon) و (Beethoven) و (Liszt) وغيرهم هي أمثلة على أعمال أشخاص لم يكونوا نابغين منذ طفولتهم فحسب بل شجعوا أيضاً وفي كثير من الأحيان دفعوا من قبل آبائهم الموسيقيين لكي ينتفقوا الثقافة الصحيحة أثناء السنوات المرنة من حياتهم، وهذا يعني أن الطبيعة لم تقم أية حدود في وجه اهتمام الطفل وحماسه وتقانيه».

يقال إن: «Paderwski كان في سني مراهقته يتمرن ساعات كثيرة في غالب الأحيان، كان يملك نبوغاً موروثاً ولكن كفاءته الموسيقية نمت بسبب اهتمامه وحماسه وتقانيه في حقل نبوغه».

لقد لفتت ظاهرة الطفل الموهوب نظر المفكرين والمربين منذ أقدم العصور وحاول بعضهم أن يقدم تفسيرات شتى لهذه الظاهرة، كما استخدمت بعض المصطلحات للدلالة عليها، كالعبقرية والنبوغ والإبداع، والواقع أن الموهوب يختلف عن المبدع، فالموهوب هو الذي يملك قدرة عقلية عالية، أما المبدع يتسم بالإنجاز الجديد الأصيل ذي السمة الابتكارية، وينظر علماء النفس إلى الماضي أثناء تعاملهم مع المبدعين، وكأنهم في حال التعامل مع الموهوبين يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة من هؤلاء الموهوبين.

وتؤكد الدراسات والأبحاث الحديثة في هذه الظاهرة أن الموهبة وثيقة الصلة بالذكاء، وأن أصحابها أفراد ينعمون بظروف بيئية تساعدهم على إنماء طاقاتهم العقلية، وتمايز في اتجاه الموهبة، وأن نجاح الطفل يثير لديه قدراً مناسباً من الدافعية للمثابرة والجد والدأب، هذا الوضع بالتحديد يحقق للفرد أداءً ممتازاً في المجال الذي نمت قدرته العقلية العالية، وبرزت موهبته الخارقة فيه.

ولا ينحصر التفوق في مجال معين من أوجه العمل. أو ناحية محددة من نشاطات الحياة، بل يشمل كافة المجالات العملية والنظرية، والفنية والأدبية والرياضية وميادين الإنتاج المادية، ومع أنه غالباً يشار إلى التفوق في مجال التحصيل الدراسي والعلمي. إلا أن التفوق لا يقل أهمية وشأناً في أي مجال آخر عن التفوق العلمي سواء كان التفوق في الصناعة أو التجارة أو بالعمل الإيديولوجي أوفي حقول وميادين أخرى... فالرغبة بالتفوق لتحصيل دراسي، أو تنفيذ مهمة معينة، أو تدليل مسألة طبيعية أو فلسفية، والتغلب على مشاكل أساسية، وحل أمور اجتماعية قد تتحول إلى رغبة متأججة تمنح «الراغب» أملاً متجدداً متواصلًا في الكفاح والمثابرة وبذل الجهد، ولا بدّ له من أن يجد طاقة جسدية وحيوية نفسية عظيمتين تمنحه العزيمة والإرادة لبلوغ ما يصبو إليه. تظهر بوادر التفوق لدى أغلب الناس في المراحل الدراسية الأولى إذ يتطّلع الطفل - الذي تتوفر له المعطيات التربوية الأسرورية الجيدة والبيئة المناسبة - للحصول على درجات عالية في المواد الدراسية، ولنيل مراتب متقدمة في الصف لإشباع ميوله ورغباته من جهة، ومن جهة أخرى حصوله على استحسان وإعجاب معلميه وتقديرهم، وتميزه عن أقرانه ليفرض احترام زملائه وتقربهم منه، وبنفس الوقت يلقى الاهتمام والرعاية والرضى من قبل أهله وذويه... أي أن التفوق حتى للطفل الصغير يعني جملة مكاسب معنوية له من قبل المحيطين به. وشعوره بمكانة رفيعة، وثقة كبيرة بالنفس وبالقدرات العقلية لديه بالإضافة إلى أنه قد يحصل على مكاسب مادية تقديراً لتفوقه هذا بشكل عام لذا فإن أهم دوافع التفوق هي:

## أولاً: إثبات الذات:

وهي قضية عامة تظهر في حياة كل فرد لتمييز ذاته عن الآخر سواء بأفكاره أو باتجاهاته التي يختص بها، أو سلوكه وعلاقاته وتصرفاته سواءً كان ذلك بوعي أو من دون وعي... ويتطلّع إلى مستقبله كيف يمكن أن يكون؟ وما وظيفته وقيمه؟ وفي أي عمل أو مهنة سيثبت نجاحاً باهراً؟ هل سينخرط بالحياة العامة ويبيغي الظهور والمغامرة؟ أم يمارس دوره بهدوء...؟ وكيف سيثبت وجوده؟ وما هي الوسائل والسبل؟ مما يدفع البعض في بذل جهد مضاعف في الدراسة أو المهنة بغية الحصول على معلومات جديدة. واستغلال جميع الفرص المتوفرة والإمكانات المتاحة في سبيل تحقيق التطلّعات والآمال لإثبات الذات.

وفي حالات كثيرة يتغاضى المرء عن أمور حياتية كثيرة، ويضع نصب عينيه هدفاً واحداً ويسعى إليه، فكثير من الشباب يعزف عن الزواج لإثبات وجوده وتفوقه، سواء كان ذلك في التحصيل العلمي ومتابعته أو في مشروع اقتصادي منتج يدر ربحاً معقولاً وقابلاً والازدياد أو وجوده في عمل ووظيفة تتطلب مهام وأعباء كثيرة.. الخ لأنهم يعتقدون أن الزواج وتكوين أسرة يلقي على عاتقهم مسؤوليات إضافية جديدة تعيق المتابعة بجدٍ ومثابرة. هذا الدافع لإثبات الذات يترافق بالتأكيد مع فهم الذات وتأمّلها وتقدير قيمتها الحقيقية ونبذ الخيالات والأوهام والأمور السلبية، والاستمتاع بالجهد والعمل وإدخال الميزات الحسنة، والقدرة على التماسك وهذو الأعصاب ومتابعة الجد رغم العوائق والفشل أحياناً، وبذلك يتحقق للفرد إثبات ذاته المؤدية به للتفوق.

## ثانياً: الرغبة في التحكم بالأحداث:

إن الأساس الثاني لنشوء التفوق هو الرغبة في التحكم بالأحداث وضمان الاستقرار في المستقبل فالمرء يبغى أن يكون فاعلاً ومؤثراً في الوسط والبيئة لا أن يكون تابعاً وتتولد لديه الرغبة في الحصول على نفوذ ومكانة هامة في المجتمع تكريساً لنزعة «حب السيطرة» التي تظهر بين الفينة والأخرى في حياة الفرد والتحكم بالأحداث لا يعني التعسف والاستبداد وإنما

يعني إغناء النفس بقوى مؤثرة تخاطب الوجدان الإنساني، وتريح الضمير، وتتشد الحقيقة ولا يستطيع امرؤ أن يمتلك ذلك ويمارسه في حياته الخاصة أو العامة إلا من امتلك نفسه أولاً وأخضعها لكثير من التجارب، وتيسرت له خبرات ومعارف متنوعة وأرجع فكره وعواطفه للمنطق.

وهكذا فالتفكير في التحكم والسيطرة يرضي توجهات الفرد النفسية والجسدية ويحاكي غريزة «الغرور» لديه، لكنه من جانب آخر يعزز النشاط في المثابرة والكفاح لضمان النجاح والتفوق، لذلك نرى الطالب المجتهد مفعم بالحيوية والجد، ولديه الفناعة والرغبة في الاجتهاد لأنه يراه وسيلة لتحقيق مبتغاه، من خلال تحصيله درجات عالية تؤهله للدخول في معهد أو كلية، أو اختصاص معين تؤمن له وظيفة جيدة ودخلاً محترماً بعد التخرج، ويضمن لنفسه شأنًا في الوسط، والذي يعود عليه بالفائدة الشخصية أولاً وعلى المجتمع بالمحصلة وأمام ذلك فإن الشخصية القوية الجادة لا تتهرب من العقبات والفشل، وإنما تقف من جديد، وتتابع المسير مستفيدة من كل تجربة أو فشل في سبيل تحقيق الهدف.

### ثالثاً: التنبؤ والرغبة في اكتشاف المجهول:

التنبؤ هو المتعة في تحدي المجهول، واكتشاف أشياء جديدة، فالعلماء في بحث دائم ومستمر للتوصل إلى حقائق وقوانين مفيدة، ويجدون متعة في التفتيش والدراسة والعطاء، وبذل الجهد، يتسلحون بالإرادة والعزيمة الثابتة للكشف عن معطيات مستورة غير مكتريئين بالأمور الصغيرة والمعروفة، على عكس ذوي النفوس الدنيئة الذين قال عنهم شوينهور «أولئك يجدون اللذة في التفتيش عن أخطاء العظماء».

والتنبؤ الجاد يوجّه نحو العمل الإيجابي المثمر، ويستقطب طاقات النفس ويحشدها لبذل جهد واع في سبيل غاية أو مثل أعلى يراد بلوغه، وبه يظهر التوازن العقلي والمعرفي الثقافي والذي بدونهما لا يحصد الإنسان إلا الخيبة والفشل ولا يبني التنبؤ الجاد على أوهام وخيالات، أو بشكل عشوائي واعتباطي، وإنما هو موقف يبني على أسس سليمة يعنى أولاً بفحص المسائل

من جميع الوجوه ودراستها بكل هدوء وثقة وبتجرد عن العصبية والمؤثرات الأخرى وخلاصة التنبؤ هو جهد مبذول يعتمد على الذكاء بعيداً عن الغرور والمظاهر يسبر أعماق القضايا والأحداث، يتابع مسيرته في البحث والتنقيب للإحاطة إحاطة واسعة ودقيقة كاملة بالحقائق الموضوعية كي يبني تصورات جديدة منطقية.

#### رابعاً: الأوضاع النفسية والاجتماعية:

إن المؤثرات التربوية والأسرية والمدرسية التي يتعرض لها الطفل لها صلة عميقة بالتفوق كمحرّض وباعت قوي في تنشئة الطفل.

ودائماً المسائل الخاصة بالتفوق تبقى موضوع نقاش وإثارة - خاصة في السنوات الأخيرة - ما طبيعة صيرورة التفوق؟ ما المؤثرات الثقافية أو التربوية التي تحرّض على التميز والتفرد؟ ما علاقة الدراسات الجامعية بنمو الفكر المبدع؟ كيف يعمل الإنسان المتفوق؟ وهل يمكن تعليم كل فرد لأن يصبح متفوقاً؟.

لا شك أن الإجابة عن هذه الأسئلة متشعبة وتتطلب بالضرورة دراسات مستفيضة، ولكن ليس ثمة قاعدة مثلى تروق لأصحاب نظرية الوسط الاجتماعي والبيئة الذين يعتقدون أن الوسط هو الذي يصنع العبقرية والتفوق... بل على العكس يظهر التفوق ويبدو قادراً - في بعض الحالات على الأقل - على مقاومة الشروط الأشد قسوة، سواء كان من منبت طبقي فقير، أو وضع بائس، ومعقّد أو حتى لذوي العاهات وحاملي الأمراض، حيث يصبحون في النهاية رجالاً عظاماً متفوقين.. وكم أيضاً يوجد من الناس الذين خنق وسطهم الاجتماعي وبيئتهم العبقرية التي كانوا يتحلون بها وقضي على الخيالات الثرية، والمعرفة الذهنية في عقول كثير من الأطفال أي أنه ليس هناك معيار ثابت للتفوق لأنه ليس الأذكاء هم متفوقون دائماً... بل تدل المعطيات أن كثيراً من المتفوقين يتراجعون عن تفوقهم - عندما كانوا في سني الدراسة الأولى - وتخلّفوا عن زملاء لهم كانوا أدنى منهم مستوى، وذلك لأن الجد والاجتهاد المتواصل كفيل بأن يصقل الذهن ويفتح العبقرية



والبراعة والموهبة المؤدية إلى النجاح والتفوق ويمنح المتفوق تفاؤلاً واعتزازاً وكسباً مادياً إلا في حالة واحدة عندما يكون المجتمع خاضعاً للألقاب والشهادات والمحسوبيات، والشهادة من غير قيمة فعلية لا تجعل من صاحبها رجلاً كفوئاً، ولا عبقرياً ولا ينجح بها إلا في حدود ضيقة وتبعاً للمصادفات والحظ... أي أن الواقع يؤثر بالفرد ولكن ليس من الضرورة أن يكون الوسط إيجابياً لكي يدفع للتفوق، فثمة عدد كبير من الرجال المشهورين انحدروا من أوساط بيئية أشد تعاسة ومرضاً وتناقضاً مثل ديكنز، غاندي، لنكولن، لوثر، داروين، ستالين... أو حتى لم يتلقوا أي تربية مدرسية أو رافة وحنان.

### مشكلات الطالب المتفوق:

يكاد يكون من المتفق عليه بين كثير من المربين أن المدارس الحالية بمناهجها وإمكاناتها وبرامجها لا تستطيع أن تواجه حاجات المتفوقين ولا أن تنمي استعداداتهم بما يشبع تطلعاتهم لخيرهم وخير المجتمع، ويبدو أن المدارس والنظم التربوية لم تطور نفسها بالقدر اللازم لتهيئة المناخ التعليمي المناسب لتفجير طاقات المتفوق وتوجيهها في المسار الصحيح لإشباع حاجاته النفسية والتعليمية الخاصة.

ومن أهم المشكلات التي يعاني منها الطالب المتفوق في نطاق مدارس العاديين ما يلي:

أ- عدم ملائمة المناهج الدراسية والأساليب التعليمية: نظراً لأن المناهج توضع في مستوى الطالب المتوسط فهي تؤدي غالباً إلى شعور الطالب المتفوق بالإحباط والملل وأحياناً إلى فشله الدراسي، ولا تشجع أساليب التعليم الحالية على التفكير الإبداعي لأنها لا تعطي الطلاب فرصة للتعبير عن أفكارهم الأصلية ويستجيبون للتعليم السائد الذي يركّز على تعليم القراءة والكتابة والحساب واستظهار المعلومات وتعود النظام والطاعة وفقاً لمجموعة القيم والعادات السائدة في المجتمع إذ يفشل الكثير من المتفوقين في تطوير جانب كبير من استعداداتهم بسبب المعوقات والضغوط التي تنجم عن عدم انسجامهم مع المناهج والأساليب التعليمية

ووسائل تنفيذها وأساليب تقويمها في مدارس العاديين فهي لا تتناسب ومقدراتهم كما لا تتيح لهم فرصة الدراسة المستقلة ولا تستثير حبهم للاستطلاع وشغفهم بالبحث وإجراء التجارب، ونظراً لما يتميز به المتفوق من مقدرة على التعليم وفق معدلات أسرع من أقرانه العاديين فإن جزءاً كبيراً من وقته - يتراوح بين ٢٥-٣٠% على حد زعم بعض الباحثين - يضيع هباءً دون استثماره بدرجة كافية مما يبعث في نفسه الملل والسأم من جو المدرسة، ويُفَرِّقه منها ويعيق توافقه النفسي والمدرسي.

وكثيراً ما يستخف الطالب المتفوق بالتعليم ويتذمر منه، ويشعر بالملل والضيق، وأحياناً يترك المدرسة أو يهرب منها إلى الانحراف لأمر تحقق ذاته وذلك بسبب شعوره بأن التعليم دون مستواه.

ب - قصور فهم المدرس للطالب المتفوق وحاجاته: إن تطوير مناهج دراسية بدرجة تحقق المتطلبات الأساسية لتنمية استعدادات المتفوقين يُعدّ شرطاً ضرورياً لرعايتهم لكنه لا يُعدّ كافياً ما لم يكن هناك مدرس كفاء للعمل معهم. فالمعلم هو عماد العملية التعليمية وأساسها وهو الذي يهيئ المناخ الذي من شأنه إما أن يقوّي من ثقة الطالب بنفسه أو يزعزعها ويشجع اهتماماته أو يحبطها وينمّي مقدراته أو يهملها، ويقدم إبداعيته أو يُخمد جذوتها، ويستثير تفكيره الناقد أو يكفّه ويساعده على التحصيل والإنجاز أو يُعطلّه. ويغلب أن تكون فعاليات الحصة الدراسية العادية وأنشطتها أقل بكثير من مستوى القدرات الحقيقية التي يتمتع بها الطلاب المتفوقون لأن هذه الأنشطة تركز على الطالب المتوسط والطالب المقصّر في معظم الأحيان، وتكون حالات الاهتمام بقدرات المتفوقين من خلال تكليفهم بواجبات تتحدى قدراتهم وتحرّضها وهي واجبات قليلة أو نادرة. ويؤكد عدد قليل من الباحثين أن المعلمين غالباً ما يكونون أكثر تعاطفاً مع الطلاب العاديين وأكثر استحساناً وتقبلاً لهم من الطلاب المتفوقين وذوي التفكير والسلوك الاستقلالي نظراً لما يسببونه من مشكلات ومواقف محرّجة ومربكة تستثير غضب المعلم بل عداؤه، فهم

متعطشون للمعرفة ميالون للنقد وإثارة الأسئلة غير المتوقعة كما أنهم أقل انصياعاً لنظم الضبط داخل الفصول الدراسية يتسمون بغزارة إنتاجيتهم للأفكار والحلول غير المألوفة لما يطرح عليهم من قضايا ومسائل مما يشكل صعوبات جمّة أمام معلّميهم في تقديم هذه الأفكار بل وفي فهمها أحياناً، ويعاني الطلاب المتفوقون نتيجة ذلك من عدم إشباع حاجات التعلّم والإنجاز لديهم في كثير من الأحيان لأنهم يتفوقون على أقرانهم العاديين في سرعة التعلّم.

هذا وتقود سهولة الأنشطة الصفية والاستمرار بتقديم أنشطة تدريسية غير مناسبة للمتفوقين إلى سلبيات كثيرة عند الطلاب المتفوقين أهمها قلة الاهتمام والرغبة في التعليم وضعف التركيز وضعف الاندفاع للإنجاز والتحصيل والهروب من المدرسة وبروز مشكلات سلوكية وانفعالية.

ج - استخدام منبئات ومحكات غير كافية للكشف عن مظاهر التفوق: تستلزم عملية تربية المتفوقين وتشجيعهم بشكل هادف ومنظم أن تسبقها خطوة التعرف المبكر إلى قدرات التفوق وتحديد مستوياتها ومجالاتها. ويؤكد بعض الباحثين على أهمية التبكير في اكتشاف المتفوقين عقلياً وعدم الانتظار لأعمار متأخرة خشية اكتسابهم أساليب وعادات معوّقة لتكيفهم مع النظم التعليمية بالإضافة إلى ما يترتب على تأخير اكتشافهم من تعريض طاقاتهم للهدر والفقْد. فقد تظل بعض القدرات والاستعدادات والمواهب كامنة لا تظهر خاصة فيما يتعلق بالإبداع والابتكار، وذلك بسبب الإهمال والحرمان من جانب البيت والمدرسة فما يزال هناك قصور في النظم التعليمية من حيث توافر الوسائل العلمية السليمة القادرة على تشخيص قدرات الطلاب والكشف عن استعداداتهم التعليمية، فمن الملاحظ في مدارسنا استخدام وسيلتين أساسيتين للتعرف على المتفوقين وهما:

١ - اختبارات التحصيل التي يُعدّها الدارسون ويطبّقونها في مدارسهم ويستخرجون نتائجها ويحكمون بموجبها على مظاهر التفوق، ومن عيوب هذه الاختبارات أنها لا تتصف بالصدق والثبات الكافي وأنها

محددة بالغرض الضيق الذي أعدت من أجله وبعدد الأفراد الذين أُعدت لهم وقد تخضع للأحكام الذاتية للمعلمين، ومع ذلك فهي معتمدة في المدرسة الواحدة بسبب سهولة إعدادها وتكرار بنائها وتطبيقها.

٢- تقديرات المعلمين التي لا تتسم بالدقة والموضوعية في جميع الأحوال كما تتأثر بالسّمات الشخصية المضللة لدى الطلاب ومن ثم فإنّ المدرسين كثيراً ما يعجزون عن التعرف على بعض الطلاب المتفوقين ولا سيّما أولئك الذين لا يتفوقون من حيث خصائصهم السلوكية مع إطارهم في الحكم. إلا أن كل وسيلة من هاتين الوسيلتين لا تُعدُّ كافية لتحقيق الغرض وفي أحيان أخرى قد لا تُعدُّ مناسبة.

إنّ النظم المدرسية السائدة بمناهجها وطرق التدريس والعوامل السلبية التي تسيطر عليها تحوّل دون الكشف عن قدرات الطلاب. فغالباً ما يهتم المعلم بالقدرة النظرية المجردة وما يرتبط بها من جوانب الاهتمام بالحفظ والاسترجاع دون فهم أو تمييز والاهتمام بالنظام والطاعة دون إبداء وجهات النظر وهذه النظم غالباً ما تؤدي إلى محو أي موهبة أو قدرة علمية أو مهنية أو تكنولوجية قد تبدو عند الطالب المتفوق.

وهناك كثير من الدوافع للتفوق، لكن أفضل وسيلة وأنجح طريقة للتفوق هي العزيمة الراسخة المستمرة التي لا تلين ولا تتخاذل، يقول الدكتور لاموت ساج «هناك نفوذ لطيف دقيق لا تدركه الأبصار ينبثق عن إرادة قوية توجه الآخرين وتراقبهم وتفعل فعلها فيهم مما لا يفعله البيان أو الكلام فمن امتلك هذا النوع من النفوذ استطاع أن يكون قوة متينة لا تتزعزع وفي اللحظة التي تقترب بها منه لا تتمالك أن تشعر بقوته تلك وليس ثمة ما يعيقك أبداً عن تحصيل تلك القوة فليدرك المَلَكات الذهنية المطلوبة فخذها ونمّها».

## سيكولوجية التفوق لدى الأطفال الموهوبين

في السنوات العشرين الماضية من هذا القرن ازداد الانتباه إلى دراسة الأشخاص الموهوبين، ولكن دراسة الموهوبين ليست بشكل من الأشكال ميادين الدراسة والبحث، لأن «السير فرانسيس كالتون» الإنكليزي أخذ يحلل طبيعة الشخص العبقري منذ عام ١٨٧٥م، ولكننا لم نصل إلا مؤخراً إلى الاقتناع بأن أطفالنا المتفوقين يؤلفون جماعة لها مشاكلها الخاصة التي تقتضي من الآباء والمدرسين انتباهاً إذا أريد لإمكانيات الأطفال الغالية أن تنمو نمواً مفيداً للمجتمع.

إن أول الصعوبات التي تواجهنا عند دراسة الموهوبين هي تحديد من هم الموهوبون؟ يُعرّف الطفل الموهوب بأنه الطفل الذي يكون ذكائه إلى من ذكاء (٩٧% أو ٩٨%) من السكان، وهناك طريقة أخرى لتعريف الموهوب وهي تعيين حد معين لحاصل الذكاء «I.Q» ووصف كل من يفوق حاصل ذكائه هذا الحد بأنه موهوب، وقد استخدم «Terman» هذه الطريقة الأخيرة فعين حاصل الذكاء «١٤٠ - I.Q» حداً أدنى للأطفال الموهوبين الذين هم في الحادية عشر من العمر، أو لمن هم دون ذلك، وعين حداً أدنى للأطفال الأكبر سناً، أما الاتجاه الحديث فيميل إلى اعتبار الحد الأدنى لحاصل ذكاء الموهوبين (١٥٠ - I.Q).

هناك اعتراض واضح على اعتبار حاصل الذكاء الوسيلة الوحيدة لتعيين الموهوبين وتمييزهم، وما ذلك، إلا لأن حاصل الذكاء «I.Q» مبني

على اختبار الذكاء، وهناك اتفاق عام على أنه لا يوجد حتى الآن أي اختبار للذكاء يصلح لقياس بعض قابليات الأصالة والإبداع التي يملكها الأفراد والموهوبون.

لقد وُضعت اختبارات الذكاء وبينت على أساس الطفل المتوسط ، فهي إذن أقل كفاءة إذا أُريد بها تقدير ذكاء الأطفال المتفوقين... ولذلك يجب في سبيل تمييز الأطفال الأذكياء واكتشافهم، أن يتمّ حاصل الذكاء بدراسة تحليلية للأعمال التي ينجزها الطفل، وبتقارير المدرسين وغيرهم عنه.

الموهوبون عبر التاريخ: كان هناك منذ سنوات كثيرة اعتقاد بأن المتفوقين عقولٌ يجب أن يكونوا دائماً تقريباً متخلفين في النواحي الجسمية والعاطفية والاجتماعية، وقد حاول (Galton) دحض هذا الاعتقاد، ولا سيما فيما يتعلق بالقابليات الجسمية، قبل أكثر من «٩٥ سنة»، ومنذ ذلك الحين قدّم كثير من الباحثين الآخرين بما فيهم «Terman» الدليل على أن الأشخاص الموهوبين ليسوا هم أولئك الأفراد النحفاء الضعفاء العاجزين سيئ التكيف كما يُشاع عنهم، بل هم على عكس ذلك، يفوقون في أكثر الأحيان الأطفال المتوسطين في الحجم والصحة والطباع والتكيف العام العاطفي والاجتماعي، ولكن بالرغم من ذلك لا يزال هناك أناس يعتقدون أن الذكاء العالي يكون مصحوباً دائماً بحالات عاطفية مرضية وبنقص في النشاط الجسدي.

إن تراجع مشاهير التاريخ تشير بعض الإشارة إلى أن ذكاءهم كان عالياً جداً في جميع الحالات تقريباً، ودراسة هؤلاء الرجال العظام ترينا أيضاً أن مواهبهم الخارقة تلوح منذ عهد مبكر من طفولتهم.

كان «السير كالتون» يستطيع القراءة منذ الثانية والنصف من عمره وقد قدر «تيرمان» بعد دراسة حياة «كالتون» أن حاصل ذكائه «I.Q» لا بدّ أنه كان قريباً من «٢٠٠ - I.Q» وقد بدأ «فولتر» القراءة في الثانية من عمره

وكتب مأساة وهو في الثانية عشرة من عمره، وكان «غوته» وهو في السابعة عشرة من عمره قد طالع كتباً كثيرة في الألمانية والفرنسية واللاتينية والعبرية، وكان يعزف على البيانو والناي Flute وكان يُعتبر من الطلاب الذين ينتظر لهم مستقبل عظيم في الفن، وقد قُدِّرَ حاصل ذكائه بين «١٨٥ و ٢٠٠ - I.Q.» إن تاريخ طفولة كل من «باكون وديكارت وسبينوزا» وكثيرين غيرهم يشير بصورة مبكرة إلى عظمتهم المستقبلية.

من الملاحظ أن الأشخاص البارزين أمثال هؤلاء الأشخاص الذين جننا على ذكرهم، لم يكونوا موهوبين بعض المواهب الخاصة فقط بل كانوا على عكس ذلك متفوقين جداً من الميادين، و كانوا يستطيعون بلوغ الذروة في أية ناحية تقريباً من النواحي التي يعيرونها اهتمامهم.

### مزايا الموهوبين:

لكي نفهم الفرد المتفوق في ذكائه، من المفيد أن نعدد تلك الصفات والقابليات التي تتوافر له عادة والتي تميزه عن أقرانه:

١- إنه يفوق قليلاً وسطي الأطفال من أقرانه في الطول والوزن والمقاييس الأخرى للنمو الجسمي، وهو أقوى وأصح من وسطي الأطفال.

٢- إنه ذو قدرة عظيمة على التركيز ومتابعة الانتباه وذو احتمال عظيم للأعمال العقلية.

٣- يبدي «مخايل» ظاهرة لتفوقه في الأصالة والابتكار وحب الاستطلاع.

٤- ذو قدرة خارقة على التعميم - وهو أسرع من غيره من الأطفال إلى إدراك المبادئ التي ينطوي عليها أحد المواقف.

٥- متفوق في تناول الأفكار المجردة وحل المسائل، وهذا يعني بصورة عامة، أنه قوي جداً في القابليات اللغوية.

٦- سريع التعلم، سريع الاستجابة، يتمثل الأشياء التي يتعلمها بسهولة خارقة.

- ٧- يقرأ بسرعة و يفهم أكثر من القارئ المتوسط.
- ٨- متفوق في تحليل ذاته ونقدها.
- ٩- أولاده أكثر تنوعاً من أولاد معظم الأطفال.
- ١٠- سلوكه أفضل من سلوك الشخص الوسطي، لأن قابليته العقلية العالية تمكنه من أن يفهم بسرعة الفرق بين السلوك الاجتماعي الجيد والسلوك الاجتماعي الرديء.
- ١١- يميل إلى أن يكون أكثر من المتوسط استقراراً من الناحية الانفعالية وتفوقه في الفعالية الجسمية والقدرة العقلية يمكنه من مواجهة أتعاب الحياة وهمومها بقدرة على التكيف أعظم من قدرة الشخص المتوسط.
- ١٢- مستعد للتكيف بصورة جيدة للحياة الاجتماعية ما لم تكن ظروف بيئته سيئة جداً.
- ١٣- نجاحه في المدرسة عظيم، على العموم، ولكن نتائجه في كثير من الأحيان تكون أقل مما تشير إليه قابليته العالية.
- لدى دراسة الخصائص السابقة الذكر يجب ألا يغيب عن بالنا أننا نتكلم بصورة عامة، وأننا يمكن أن نقع على شواذ لهذه الأحكام، مثال ذلك أننا جميعاً قد تعرّفنا على أشخاص متفوقين في الذكاء، وكانوا فاشلين في صلاتهم الاجتماعية، أو محرومين من الاستقرار الانفعالي، أو كانت نتائجهم المدرسية أو الجامعية سيئة، ولكن هذه الشواذ لا تنفي القواعد التي وُضعت اعتماداً على الدراسات الصحيحة.

### مشكلات الموهوبين:

لا يصح القول بأنه ليس للموهوبين مشاكل، لأنهم في الحقيقة يتعرضون للكثير من دواعي القلق التي يأتي معظمها من الفروق ذاتها التي تميزهم عن الأشخاص المتخلفين والعاديين، وسنتحدث عن هذه المشكلات ونصنفها إلى مشكلات جسمية وعاطفية واجتماعية وتربوية ومهنية.



إن الأطفال الموهوبين كما سبق ذكره، يفوقون نوعاً ما الأطفال المتوسطين في حجم الجسم والقابليات الجسمية، ولكن الأطفال الموهوبين يميلون في المدرسة و في خارجها بسبب تفوقهم على أقرانهم في الذكاء إلى معايشة أطفال أكبر منهم سناً، وأغنى منهم في المهارات الجسمية والتجارب، وتكون النتيجة أن هؤلاء الأطفال الموهوبين قد يشعرون بأنهم مقصرون في الفعاليات الجسمية، السبب الآخر يعود إلى الاهتمام، فالطفل الذكي المتفوق يميل في معظم الأحيان إلى الأعمال العقلية كالقراءة الكثيرة، ويتجنب الألعاب الرياضية والفعاليات الأخرى التي تقتضي توافقات جسمية، ولذلك لا يستطيع تعلم بعض المهارات السليمة المستحبة من قبل المجتمع، وموجز القول إن تفوقه العقلي يربو صفاته الجسمية الضئيلة، نوعاً ما، وقد يعاني الآلام من جراء هذه الحالة.

تنشأ مشاكل الأطفال الموهوبين الاجتماعية والعاطفية في معظم الأحيان، من أخطاء الآباء غيرهم من الأقرباء في البيت، ومن أخطاء المدرسين في المدرسة، إن دراسة «٣٨ طفلاً» يتمتع كل منهم بحاصل ذكاء يفوق المئة والثلاثين «١٣٠ - I.Q» ويتصف سلوك كل واحد منهم بانحرافات جدية، أشارت إلى الأخطاء الآتية التي قد يرتكبها الأبوان:

«بعض الآباء استثمروا مهارة أطفالهم، والبعض دفعوهم وحقزوهم أكثر مما ينبغي لهم، وقسم منهم كان متمسكاً بهم ومغالياً في المحافظة عليهم، ومنهم الذين حاولوا بالقوة الضغط على أطفالهم الأذكياء وكتبهم خوفاً من أن يفوقهم ذكاءً، وتبين أن أكثر من نصف الأطفال قد عوملوا معاملة غير منطقية وغير معقولة، و كان الأطفال يستجيبون لهذه الظروف المنزلية السيئة استجابة تمتاز بطابع الهجوم، وتأكيد الذات، الأمر الذي كان يؤدي إلى إحالتهم إلى إحدى عيادات الإرشاد».

تنشأ مشاكل الموهوبين الخاصة في المدرسة على الأغلب، من مواقف المدرسين الذين ليس بوسعهم أن يتقبلوا عاطفياً هؤلاء الفتيان والفتيات الذين

يفوقونهم ذكاء، فيحاول هؤلاء المدرسين أن يعاملوا الطلاب المتفوقين بالاستهزاء والسخرية، ويقللوا من قيمة أعمالهم، ويقوموا بكل ما في وسعهم للنزول بهم إلى مستوى الطلاب الضعاف، فواضح أن أمثال هؤلاء المدرسين يجب ألا يكونوا في عداد المربين، ولكن كثيراً منهم لا يزال في عدادهم. وتلك القابلية الخارقة على تقدير الذات وتشخيصها التي يتمتع بها الشخص الموهوب هي أيضاً قد تسيء إليه لأن هذه الميزة تتطوي على الميل إلى الحساسية المفرطة والتأمل الذاتي (Introspection) فهو قد يتألم كثيراً من الشعور بعدم الأهلية شعوراً ليس له في أغلب الأحيان ما يبرره، وقد يشعر بأنه غريب لا ينتمي إلى أية مجموعة من مجموعات الطلاب، وأنه فاشل في علاقاته الاجتماعية، وقد ينظر إلى الماضي بمنظار الخيبة وإلى المستقبل بمنظار الخوف والريبة، وقد يصبح ضحية قلق وشكوك وأحزان تحطم شخصيته وتسيء إلى نتائج أعماله وثمراتها.

إن مشاكل الموهوبين التربوية تنشأ غالباً من أن جميع المدارس تقريباً تعمل على هدي مصلحة الطلاب المتوسطين أو الضعاف وعلى ضوء تقدمهم، فهذه المدارس لا تشجع الطلاب اللامعين على إنماء قابليتهم الصحيحة أو استعمالها، بل هم يتعلمون فيها أن الأفضل ألا يتفوقوا، ويستولي عليهم السأم من منهاج الدروس الذي لا يستغرق إلا جزءاً صغيراً من وقتهم في فعاليات حيوية، و ينتج من ذلك ميلهم إلى الإخلال بالنظام، وإلى سلوكٍ سلوِكٍ غير اجتماعي، ويجنحون إلى الوقاحة والأنانية، ويتدنى كثيراً تحصيلهم المدرسي عن مستوى قابليتهم الحقيقية.

### مقترحات وحلول للأسرة والمدرسة:

يجب على الراشدين الذين يعيشون ويعملون مع الأطفال الموهوبين أن يذكروا دائماً أن هؤلاء الأطفال يشبهون كثيراً الأطفال الأسوياء المتوسطين بالرغم من أنهم يملكون مواهب خاصة خارقة، لذلك يجب ألا يُستغلوا أو

يُباهى بهم كأطفال أذكىء نادرين، يجب ألا يُشجَّعوا على القيام بأدوار فعَّالة في نشاط التسلية والفعاليات الاجتماعية التي يتوافر فيها الشعور بالألفة، وبالروابط البشرية، ويجب الحدُّ من ميلهم إلى التأمل الذاتي، أو إلى الفردية الوجدانية «Solitary» وذلك عن طريق الفرص التي ترضي حاجاتهم إلى الصلات الاجتماعية، لأن المشاكل الخطيرة التي يقعون بها هي مشاكل اجتماعية بالدرجة الأولى.

يحتاج الطفل الموهوب في المدرسة إلى أن يتعلم تنمية قابلياته الراقية وتمرينها، يحتاج إلى إتقان وسائل التعلم والتعبير الشخصي كالقراءة والكتابة والكلام، يحتاج إلى التدريب على طرق الدراسات والبحوث بصورة مستقلة، وإلى التشجيع على الابتكار والإبداع، يحتاج إلى الواجبات الدراسية التي تحفز موهبته العقلية للوصول إلى الأفكار العامة، ولحل المشاكل الصعبة، يحتاج إلى التدريب على الانضباط الذاتي والدروس الصعبة، يحتاج إلى إنجاز أعمال راقية المستوى.

قليلة هي المدارس التي تستطيع فتح صفوف خاصة لتلامذتها المتفوقين، بالرغم من أن المدارس في بعض المدن الكبيرة قد استطاعت ذلك ونفذته، ولكن هذا لا يمنع المدرس القدير المجرب من أن يجد ضمن مجموعة طلاب صفة العادي، الوسائل التي يتمكن بها من مساعدة من هم في صفه من الطلاب اللامعين، فتراه يرشدهم إلى القيام بالواجبات الخاصة التي يعينها لهم، أو المسؤوليات الكبيرة التي يحملهم إياها، ويعرِّضهم للتجارب التي تستفز عقولهم، وفي نفس الوقت تساعدهم على إنجاز تكيفهم الاجتماعي، وبالنهاية فإن الفتيات الموهوبات والفتيان الموهوبين غالباً ما يحتاجون إلى الإرشاد كحاجة المتوسطين منهم إليه، ربما كانت حاجتهم أشد إليه أثناء اختيار مهنتهم والتهيؤ لها وذلك لأنهم يملكون عدداً كبيراً من الأولاد، وغالباً ما يتمتعون بمواهب في عدة نواح، وهذا ربما يدفعهم إلى صرف قواهم في نواح كثيرة

مختلفة، فلا يستطيعون حصر هذه القوى والجهود في ميدان واحد رئيسي، وهم يحتاجون إلى الفرص التي تمكنهم من الاطلاع على أحوال الوظائف المهمة، وإلى زاد كبير من المعلومات المهنية لكي يستطيعوا من دون إضاعة كثير من الجهد والوقت، واختيار عمل في الحياة يُمكنهم من الاستفادة من قابليتهم الراقية.

وأخيراً: إن مسؤوليتنا عن إنماء الأطفال المتفوقين جاء وصفها بإيجاز في تقرير لإحدى اللجان التربوية: «يحتاج المجتمع إلى أقدر أعضائه للقيام بوظائف القيادة والنفوذ، ولكن المجتمع يخسر نسبة كبيرة من قابليات الأفراد الموهوبين في الوقت الحاضر، لأنه لم ييسر لها فرص النمو الكافية، أو لأنه لا يستغلها الاستغلال الكافي، أو لأنه يسيء استغلالها، يجب أن تحوي التجارب التربوية التي تُقدّم للطلاب الموهوبين ثقافة عامة جيدة بصفاتهم كائنات بشرية ومواطنين، ولكن يجب أن نُطلِعهم بصفاتهم زعماء المستقبل في عالم آلي متقلص، على سجل الخبرة البشرية وعلى اللغات والثقافات الأجنبية، ويجب أن ندرهم تدريباً أساسياً على أفكار العلم الحديث وأدواته، يجب أن يبذل الناس من مواردهم الاقتصادية نصيباً أوفر لتربية الأفراد النابغين، وسوف يجني المجتمع نتيجة ذلك أضعاف ما بذله» هذا الرأي لا يدع مجالاً للشك في أنه يجب علينا، في مجتمع متطور ألا نهمل الثروة الوطنية العظيمة التي تتألف من مواهب الأطفال الموهوبين وقواهم.

## العوامل المحددة للتفوق الدراسي

يكاد يكون من المتفق عليه بين كثير من المربين أن المدارس الحالية بمناهجها وإمكانياتها وبرامجها لا تستطيع أن تواجه حاجات المتفوقين ولا أن تنمي استعداداتهم بما يشبع تطلعاتهم لخيرهم وخير المجتمع، ويبدو أن المدارس والنظم التربوية لم تطور نفسها بالقدر اللازم لتهيئة المناخ التعليمي المناسب لتفجير طاقات المتفوق وتوجيهها في المسار الصحيح لإشباع حاجاته النفسية والتعليمية الخاصة، حيث ظهرت اتجاهات متعددة في تفسير التفوق بوجه عام فأوضحت نظريات التحليل النفسي أن التفوق هو نوع من الإعلاء أو التسامي أو التصعيد، ويعني فرويد أنه تقبل الأنا للدافع الغريزي، ولكن مع تحويل طاقته من موضوعه الأصلي إلى موضوع بديل ذي قيمة ثقافية واجتماعية، في حين فسّر «ألفرد أدلر» ظاهرة التفوق بصورة عامة في ضوء عقدة النقص، أو القصور التي تستوجب القيام بعملية تعويض تشكل حافزاً للتفوق، وترى النظرية الكمية أن التفوق هو نتاج فارق في الكم أساسه تفاوت في درجة وجود السمات المختلفة لدى المتفوقين وغير المتفوقين... أي أن التفوق هو نتاج تمايز في نسب الذكاء والقدرات العقلية المعرفية، وهذا يعني أن الاختلاف هو اختلاف في مستوى الصفة وليس في جوهرها أي اختلاف في الكم وليس في النوع وذلك على خلاف النظرية النوعية التي تقول: إن الاختلاف بين العباقرة هو اختلاف في النوع أكثر منه اختلاف في الدرجة أي أن هؤلاء العباقرة يتميزون بقدرات ومواهب

لا تظهر عند الفرد العادي وهذا ما ينسحب على المتفوقين، ويرى «هنري موراي» أن الحاجة والدافع للإنجاز يندرجان تحت حاجة كبرى أعمّ وأشمل هي الحاجة للتفوق... في حين أن «تكنسون وفيشر» قد عدّا الدافع للإنجاز هو عبارة عن استعداد ثابت نسبياً عند الفرد، متفاعل مع احتمالات النجاح أو الفشل بالإضافة إلى جاذبية أو قيمة الحافز الخارجي للنجاح أو الفشل... وهناك نظرية التفاعل بين العناصر الوراثية والعناصر البيئية حيث ترى هذه النظرية أن التفوق هو نتاج تفاعل عناصر وراثية تمنح الفرد إمكانيات التفوق، وعناصر بيئية تصقل وتنمي هذه الإمكانيات، ولهذا فإن مستوى أداء الفرد وظيفة يضطلع بها كل من العوامل الوراثية والبيئية... ومهما يكن من أمر هذه الاتجاهات فإن التفوق كأى جانب سلوكي آخر لا يتحدد بعوامل عقلية فقط أو عوامل انفعالية وإنما يعتبر التفوق محصلة لعدد كبير من العوامل يرتبط بعضها بالفرد وبعضها يرتبط بالمجال الذي يجد الفرد نفسه فيه، وهذه العوامل يتفاعل بعضها مع بعض ويعزز بعضها البعض لتكوّن تفوقاً دراسياً، وأهم هذه العوامل:

### أولاً: عوامل بيئية واجتماعية:

إن المناخ الاجتماعي للنمو السوي يعطي قوة دافعة موجهة لطاقات الفرد نحو التفوق والاستمرار فيه، فاتجاهات الوالدين الإيجابية نحو التعليم تشجع الأبناء على المضي قدماً في النجاح والتفوق، كما أن استمرار التقدير الاجتماعي وتدعيمه وتشجيعه من قبل المجتمع، ومن الجماعات المحيطة بالطالب من شأنها أن تدفعه إلى حشد طاقاته وتوجيهها نحو التفوق، وتلعب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأسرة دوراً كبيراً في دعم التفوق حيث إن المستوى الثقافي والاجتماعي للوالدين يساعد على تحقيق فرص النجاح والتفوق لأبنائهم وذلك بالمشاركة الإيجابية الفعالة في تحديد مستويات من الطموح تتناسب مع قدرات الأبناء، ومنحهم الاستقلال في

اتخاذ قراراتهم نحو الدراسة المناسبة لهم، وتهيئة الجو الملائم للدراسة وتوفير الإمكانيات اللازمة والمشاركة الإيجابية في تذليل العقبات والصعوبات التي تعترض سبيل تفوقهم وتقديمهم، وتوفير الطاقات الملائمة للنمو السوي للعلاقات والتفاعل الأسري.

### ثانياً: عوامل ذاتية:

وتتمثل هذه العوامل في طاقات الفرد العقلية وسماته الشخصية التي يستغلها لتحقيق التفوق، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى:

#### أ - القدرات العقلية:

إن أكثر القدرات العقلية ارتباطاً بالتحصيل الدراسي هي:

##### ١ - الذكاء:

لقد أوضحت العديد من الدراسات المختلفة ومن أهمها دراسات «بيرت» في انكلترا «وبوند وتيرمان» في أمريكا أن هناك ارتباطاً موجباً بين اختبارات الذكاء والتحصيل المدرسي كما يقاس بالاختبارات المقننة أو تقديرات المدرسين وعلى ذلك يلعب الذكاء دوراً مهماً في عملية التفوق الدراسي، بمعنى ضرورة توفر قدر مناسب من الذكاء لدى الأشخاص المرجو تفوقهم.

##### ٢ - القدرات الخاصة:

لقد اتضح أن أكثر القدرات ارتباطاً بالتحصيل الدراسي نتيجة بحوث عربية وأجنبية هي القدرة اللغوية، والقدرة على فهم معاني الكلمات وإدراك العلاقات بينهما بطريقة تؤدي إلى الفهم الصحيح والدقيق لمعاني التعبيرات اللغوية، وكذلك القدرة على الاستدلال العام، وهي سهولة إدراك العلاقات واستقراء القاعدة العامة، ثم تصنيفها بدقة لاستنباط الإجابة الصحيحة، إن

السّمات العقلية المعرفية هي بمثابة الطاقات الكامنة القابلة للعمل بكفاءة في مواجهة المواقف المدرسية إذا وجدت القوى المحركة لتشغيلها والدافعية لاستمرار عملها في مواجهة الصعوبات المختلفة.

### ب - السمات الدافعية:

تتمثل هذه السمات في القوى الدافعة للفرد والضاغطة عليه للوصول إلى أهدافه واستغلال طاقاته وأهم هذه السمات:

#### ١ - الدافعية الدراسية:

ويقصد بها الرغبة القوية في تحقيق التفوق الدراسي، فهذا الدافع المتمثل في الرغبة في الدراسة يعمل كقوة محرّكة تدفع بطاقات الفرد إلى العمل بأقصى إمكانياتها لتحقيق التفوق، ولا شك أن انخفاض الدافع الدراسي سمة مرتبطة بانخفاض التحصيل الدراسي، ويترتب على انخفاض الدافع خصائص معينة كفقدان الحماس للمدرسة وعدم تقبل أهدافها، وعدم الإيمان بها وربما العدوانية واللامبالاة، وكلها عوامل تعزز الفشل الدراسي، في حين أن الدوافع القوية تعمل كقوى محرّكة للوصول إلى التفوق الدراسي.

#### ٢ - مستوى الطموح:

إن وضع مستويات طموح تمثل الأهداف التي ينبغي الوصول إليها، فهذه المستويات الموضوعية المنشودة التي يتوق الفرد لإنجازها تحفز الفرد إلى تجنيد كل طاقاته وإمكانياته لتحقيق تلك المستويات، فلا يكمن تصور متعلم يتفوق دون مستوى لائق من الطموح، وذلك لأن طموحه يلعب دوراً في الدفع به نحو تحقيق المزيد من التحصيل والتفوق.

### ج - سمات نفسية:

تتمثل هذه السمات من حيث إنها حالات وجدانية تهيئ المناخ النفسي المناسب لاستغلال الطاقات العقلية والاستفادة منها إلى أقصى طاقة ممكنة في الآتي:



## ١ - مفهوم الذات الإيجابي:

وهذا الإدراك يتشكل لدى الفرد من خلال الأدوار والمناسبات والاحتكاك بالمحيطين، والتي تعتمد على التدييمات التي تصدر عنهم سواء كانوا آباء أو معلمين أو أقراناً، فإذا كان الإدراك إيجابياً فإنه يؤدي بالفرد إلى ارتفاع مستوى أدائه ويزيد لديه الدافعية للإنجاز والتفوق.

## ٢ - التوافق النفسي والاجتماعي:

لقد أكدت نتائج العديد من الدراسات أن الطلاب المتفوقين دراسياً أكثر نضجاً من الناحيتين الاجتماعية والانفعالية وأكثر قدرة على التوافق، حيث يبدو الطالب المتفوق واثقاً من نفسه وقدراته ومن مستوى كفايته الذاتية ويتوفر لديه الشعور بالأمن والاستقرار النفسي... ولكن هذا لا يدعونا إلى التعميم حيث إن الطالب المتفوق هو نتاج تأثير البيئة الاجتماعية بما تشتمل عليه من عوامل قد تكون إيجابية أو سلبية، وتأثير البيئة المدرسية بما تشتمل عليه من ظروف ومؤثرات قد تكون إيجابية أحياناً أو سلبية ولذلك نتوقع فروقاً بين الطلاب المتفوقين في توافقهم الشخصي والاجتماعي وهذا يتطلب دراسة الطالب المتفوق لمعرفة مكونات شخصيته في تفاعلها النفسي والاجتماعي.

## ٣ - المثابرة:

تعتبر المثابرة من عناصر التفوق الرئيسية فقد أكدت الدراسات الارتباطية أن العلاقة موجبة بين التفوق وعنصر المثابرة، وذلك أن الوصول إلى مستوى عال من الأداء يحتاج إلى مواصلة الجهد والعمل وتحمل المصاعب ومواجهة الفشل والإصرار على تحقيق التفوق المنشود.

## ٤ - الثقة بالنفس:

تعتبر من أهم السمات النفسية التي تعني الشعور بالقدرة والكفاءة على مواجهة كل العقبات والظروف وتحقيق الأهداف المرجوة فمثل هذا

الشعور مدعاة للعمل والانطلاق دون خوف ليُجرب الفرد ويناقش ويتحدى وصولاً للهدف... إن أثر العوامل الذاتية لا ينصب فقط على التفوق الدراسي وإنما هناك تأثير متبادل بين هذه العوامل بعضها مع بعض، فهذا يعني التعزيز المتبادل للعوامل الذاتية يترك أثراً واضحاً على التفوق الدراسي كما أن التفوق الدراسي قد يترك أثراً بدوره على المحددات الذاتية. ويتضح من هذا أن العوامل المحددة للتفوق الدراسي هي بيئة اجتماعية تمثل مناخاً مناسباً يحيط المتفوقين بالتقبل والتقدير والتشجيع وسمات عقلية معرفية ضرورية تمنح الفرد القدرة على التعامل مع المواد الدراسية بالتحليل والاستقراء والاستنتاج، وسمات دافعية تعمل كقوى محرّكة لتلك الطاقات الكامنة، وسمات نفسية تمثل مناخاً يحمي الفرد من الصراعات والمشكلات...

## سيكولوجيا الانفعالات

### وظاهرة مخاوف الطفولة من منظور علم النفس الخوف آلية من آليات الدفاع ورد فعل طبيعي لما يهدد الأطفال

الخوف ظاهرة نفسية تصنف ضمن الهيجانات وهي موجودة لدى الناس أطفالاً كانوا أم كباراً، كما أنها موجودة لدى الحيوانات أيضاً، وهي أكثر الظواهر النفسية والجسدية مدعاة للتساؤل والقلق من الأبوين والمؤسسات التربوية والاجتماعية، وليس الخوف ظاهرة مرضية في حياة الناس وإنما هو ظاهرة طبيعية، وهو يعبر في حالاته العادية عن الصحة النفسية والعقلية في حياة الكائن البشري، ومن الأمثال المعروفة «لا يخاف غير العاقل» والخوف معروف عند الإنسان مذ وجد في هذا الكون فقد رافقه إبان حياة المغاور والكهوف وفي صراعه مع مختلف ظواهر الطبيعة، وكان يراوده وما يزال كلما التقى بحيوان أقدر منه، أو كلما هبت عاصفة أو دوى رعد، أو سمع صوتاً غريباً، أو حركة غير مألوفة، وقد كثرت الدراسات والأبحاث لهذه الظاهرة بقصد فهمها وأسبابها وآثارها على حياة الطفل من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية أيضاً وتأثيرها على التقدم العلمي للطفل، وقد دلت أبحاث «جيرسلد» jersild و«هولمز» Holmzze على أن مخاوف الطفل تتأثر بمستوى نضجه ومراحل تطوره ونموه، فالطفل في نهاية عامه الثاني لا يخاف من الأفعى بل يحاول أن يمسكها ويلعب بها.

والخوف قديم عرفه الإنسان وتعايش معه منذ بداية حياته في صراعه مع الطبيعة من أجل تأمين متطلبات العيش، ويبدو أن الخوف موجود

مع الإنسان منذ الطفولة، فغالباً ما نجد أطفالاً يخافون الأصوات العالية كصوت السيارات والعواصف كذلك الوحدة والظلمة التي تثير مخاوف العديد من الأطفال.

ويعتبر الخوف ظاهرة من ظواهر غريزة البقاء، فشعور الخوف الذي يراود الناس، يجعلنا كباراً كئيباً أم صغاراً نتجنب كل ما من شأنه الضرر بنا وبصحتنا، فالخوف من المرض يدفعنا إلى إتباع الحمية والشروط الصحية اللازمة وتوفير أسباب النظافة في المأكل والملبس والمشرب وكل شيء من حولنا، وللخوف آثار سلبية وتبدو في أغلب الأحيان ذات وظائف تدميرية تهدد صاحبها وتبعث في النفس مشاعر القلق وعدم الثقة، ويرى بعض الباحثين أن الطفل الذي لا يظهر لديه الخوف على الأغلب يكون على نسبة متدنية من الذكاء، فهم بذلك يشيرون إلى أن الكثير من الأطفال ممن يبدو عليهم النحول وفقدان الشهية للطعام يكون ذلك بسبب خوفهم الشديد الذي يستبد بهم.

ومن مظاهر الخوف السلبية أنه يؤدي إلى ظهور الأمراض الجسدية والنفسية ويترك آثاراً تظهر بشكل جلي في تأخر واضطراب النمو لدى الطفل، ومن الناحية الاجتماعية نرى أن الأطفال الذين يتعرضون للخوف يكونون ميالين بطبعهم إلى الاعتداء على غيرهم ممن هم أضعف منهم، وهم بهذا السلوك يصبحون موضع انتقاد الآخرين، ويشكل ذلك مشكلة بالنسبة لهم، وهذا الخوف يجعل الأطفال يهربون من عالم الواقع إلى عالم الأحلام والخيال الذي يصفونه لأنفسهم للهروب من مخاوفهم.

**معنى الخوف:** بين كل الانفعالات التي لا بدّ أن يستشعرها الناس يعتبر الخوف واحداً من أكثرها شيوعاً، ويثيره ما لا حصر له من المواقف التي تتباين تبايناً كبيراً في حياة مختلف الأفراد، كما تتنوع شدّته متدرجة من مجرد الحذر من ناحية، إلى الهلع والرعب من الناحية الأخرى.

والخوف على أي وجه - يلزم الكثرة منأً أبدأً من المهد إلى اللحد. وهو إحدى القوى التي قد تعمل على البناء أو على الهدم في تكوين الشخصية ونموها. وقد تؤدي إلى تشتيت الطاقة العقلية التي توجه نحو الأهداف النافعة. والخوف كذلك يرشد الفرد، ويكفه، ويدفع عنه القوى الهدامة المؤذية.

فإذا سيطر العقل على الخوف أصبح هذا من أعظم القوى نفعاً للمجتمع وأصبحت له قيمة بنائية فائقة. والخوف إذا كان من هذا النوع البنائي، كثيراً ما يمر مرأً عابراً لا يسترعي النظر إذ يعتبر وقاية أو وزناً للأمر أو اقتصاداً أو فطنة، غير أن هذه الألوان من خصائص الشخصية التي تعود على المرء بالدعة والأمن، ليست سوى مشتقات من ردود الفعل البدائي الغريزي، الذي ندعوه بالخوف، بعد أن شكلته الخبرة وعدلته.

### مخاوف الطفولة... أسبابها... أنواعها:

إذا تحدثنا عن مخاوف الطفل على أنها حمق وقصور في الإدراك، فذلك لأننا نحن الكبار عاجزون عن أن ندرك بعض خبرات الطفولة المبكرة التي تترك في العقل آثاراً تحكم سلوكنا وموقفنا العام تجاه الحياة، بعد أن تكون التجربة نفسها قد غابت عن الذكر لوقت طويل. وقد قال «فيكتور هيجو» في كتابه «ذكريات الطفولة» «إذا قيل شيء مرّة، رسب في العقل؛ أما ذلك الذي يصدّم الذهن، فإنه غالباً ما يعود مرّة بعد مرّة؛ وهكذا تعيش في صدر الطفولة الساذجة كثير من الأمور المغلقة التي تستعصي على البيان والتفسير».

ولا تبدو مخاوف الطفولة ضرورياً من الحمق والسخافة، إلا لعجزنا عن فهم التجارب التي يمر بها الطفل أو التي مرّ بها من قبل. فمثيرات الخوف الغريزية في الأطفال قليلة محدودة، غير أن أكثر مخاوفهم يثور من أنواع الخبرة التي تعرض للطفل بعد إقباله على الحياة. ومع أن الآباء ذوي العقل

الراجح قد صاروا يقلعون عن إثارة الخوف في أطفالهم كنوع من العقاب أو كطريقة لغرس السلوك الطيب، فإن قليلاً منهم من يبذلون نحو المخاوف التي يبيدها الأطفال ما يجب لها من عناية، فهم غالباً ما يغفلون البحث عن أسبابها، ولا يعملون على استئصالها بما يقضي عليها من بيان واضح مفيد. وليس هناك انفعال يكثر تعرض الطفل له أكثر من الخوف إنه يمكن أن تثيره أسباب غامضة عسيرة التحديد، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانفعالات الأخرى، كما أنه يلعب دوراً يبلغ من الأهمية في تكوين شخصية الطفل حدّاً يتطلب أكبر قسط من العناية به وتدبير أمره.

### أسباب الخوف عند الأطفال:

الأسباب التي تثير مخاوف الأطفال كثيرة منها:

١ - الجوع: الذي يهدد الحياة من الناحية البيولوجية والذي يتعارض استمراره مع دافع الجوع ذاته.

٢ - الانفصال عن الأم: بحيث يكون ذلك سبباً من أسباب ظهور الخوف وعدم الطمأنينة ونلاحظ أن الطفل الذي تبتعد عنه أمه سرعان ما يرمي نفسه على صدرها في حال عودتها طالباً الأمن والحماية. ولكن فرويد يسمي الانفعال الناجم بسبب الانفصال عن الأم بالقلق وليس بالخوف.

٣ - الظلام: هو من أكثر مسببات الخوف عند الأطفال حيث نراهم يصرخون أو يطلبون الغوث والنجدة. عندما يتركون في الظلام، بل إننا نجد ذلك سبباً للخوف عند الكبار أحياناً بسبب ما رسخ لديهم من أن الظلام يكون مسكوناً بكائنات خرافية...

٤ - الشعور بمخاوف الوالدين: إذ تنتقل هذه المخاوف إلى الطفل بالعدوى كما تنتقل جراثيم الأمراض السارية من المرضى إلى الأصحاء. ومخاوف الأطفال عادة تكون خوفاً من الحيوانات، الأشخاص، الأشياء غير الحية،

ولا تكون استجابات الخوف عند الطفل دائماً على نمط واحد بل إنها تتنوع تبعاً لتغير الظروف المحيطة به فكلما ازداد ضعف الشخص اشتد خوفه من التهديد أو النبذ. كما أنه كلما ازدادت حاجته لتقدير الناس ازداد خوفه من الاستهجان مثلاً. كما أن اتساع نشاط الطفل يوسع أيضاً من مجال مخاوفه. فعندما تنمو فاعلياته العقلية ويصبح قادراً على التصور وتوقع حوادث المستقبل تنمو عنده في المقابل مخاوف من أخطار بعيدة، أو مما قد يصيبه من عثرات الحظ في مستقبل حياته.

وتتأثر المخاوف بالنمو الاجتماعي عندما ينمو عند الطفل سلوك التنافس ويرافق ذلك لديه مخاوف من الإخفاق والإذلال، كما أنه عندما يبلغ المراهقة تنمو لديه مخاوف يكون محورها الجنس الآخر. وفي مقابل ظهور مصادر جديدة للخوف تختفي مخاوف الطفولة التي يكون النمو العقلي والاجتماعي والجسمي سبباً من أسباب زوالها.

### أنواع الخوف عند الأطفال:

للخوف نوعان متمايزان هما الخوف الموضوعي؛ والخوف الذاتي: والمخاوف الموضوعية هي الأكثر شيوعاً، أو هي على الأقل ما يغلب لأن يتعرفه كثرة الآباء. ولما كان تحديد مصدر هذه المخاوف ليس عسيراً كان التغلب عليها بسرعة أمراً ممكناً. فالخوف من الحيوانات، والجنود، ورجال الشرطة، والأطباء، والبرق وطلقات المدافع، والأماكن العالية يعتمد عادة على بعض التجارب السابقة التي التصق بها انفعال مكثّر، أو على سماع قصة معينة أثارت في ذلك الوقت ردّاً انفعالياً سيئاً. ويخاف الأطفال من أي شيء غريب أو جديد. لكن هذا الخوف يزول بسرعة لو هيئ للطفل ما يكفيه من الوقت حتى يألف موضوع خوفه. ولا يجب دفع الصغار وإقحامهم في المواقف التي تخيفهم رغبة في عونهم على التغلب على الخوف.

والخوف الذي يتصل بالتجارب الحقيقية في الطفولة، والذي لا بدّ منه للإبقاء على النفس وتوجيه السلوك وجهة يرضى عنها المجتمع، وقد يكون أمراً ضرورياً؛ غير أنه مما يجب كل الجواب: ألاّ نسرف في إثارة هذه المخاوف، فإن النوع البنائي نفسه من الخوف إذا اتسع انتشاره أو زادت شدته أصبح عاملاً يعجز نشاط الطفل ويعيقه.

إن الخوف الذي يدعو إلى الحيطة والحذر من الكلاب العابرة، أو من حوادث السيارات، أو الوقوع من الأماكن العالية، أو الاحتراق بالنار، وما إلى ذلك من المواقف التي يلاقيها الطفل في حياته، إنما هو خوف جليل القيمة إذا هو التزم الحدود السوية؛ غير أنه إذا زادت استثارته أصبحت المخاوف مشكلة عويصة للآباء والأطفال معاً.

ومن الحكمة بعد أن يتعرض الطفل لإحدى التجارب المزعجة، أن نشجعه على التحدث عنها كما يشاء، لأنه كلما تحدّث عنها ظهرت له تلك التجربة أكثر ألفة وأقل غرابة، وضعف الخطر من أن تدفن في أعماق نفسه فيكون لها أثر بالغ في حياته المقبلة. وكثيراً ما يخطئ المرء حين ينصح الطفل أن يتناسى الأمر قائلاً له «لا تتحدث عنها» «فكر في شيء آخر» لأن لمثل هذه التجربة لوناً فاقعاً من الخوف لا يمكن نسيانه فمن اللازم له أن يتعرف عليها. ومن الخير أن يمتع الآباء والكبار عن السخرية بالصغير إذا خاف أو عن القول له بأنه شديد الغباوة أو أن يدعوا المسألة تمر دون تعليق.

ويجدر بهم أن يبينوا له أنهم يقدرّون تماماً ما يشعر به، وأن يذكروا له أن كثرة الناس تواجه مثل هذه المشاعر السيئة بين حين وحين في كثير من الأمور في الحياة، وأن يؤكدوا له أن هذا الشعور لن يطول به... هون - مع التزام الصدق - من الخطر الحقيقي للتجربة التي مر بها الطفل، وعد به شيئاً فشيئاً إلى أحد وجوه المنظر الذي أزعجه مرّة بعد مرّة، ولا يجب كبت المواقف الانفعالية من أيّ نوع عند الأطفال. إذ إنهم بما لهم من عقلية كبيرة



المرونة يستطيعون أن يحسنوا تدبير هذه المواقف خيراً من الكبار لو أحسن التصرف معهم. فإذا فقد الطفل أحد والديه بسبب الموت أو الطلاق، فمن الخير أن نصارحه بما حدث بالضبط، وبما يمكن أن يتوقعه، فإذا كنا بصدد الوفاة مثلاً، فنطلب إليه أن ينساها تماماً، وأن ينقطع عن التفكير فيها. ولن يطول الأمر بالطفل، الذي كان قد تملكه الأسى وطغى عليه الحزن عقب الفجعة حتى يستطيع التحدث عن أبيه أو عن أمه التي فقدها بقليل من الانفعال، أو من دون انفعال، على الإطلاق. وهذه الطريقة هي المثلى للتصرف في المواقف الانفعالية التي يُفِيضُ للطفل بل وللكبير أن يلاقيها.

### التقليد يلعب دوراً هاماً في مخاوف الطفولة:

علينا إزاء الخوف في الأطفال مهمة مزدوجة:

أولاً: أن نمنع انفعالات الخوف من أن تنمو نمواً مبعثراً لا نظام فيه، من دون أن يكون لها مثير صحيح أو سبب مناسب.

ثانياً: أن نصون العناصر البنائية للخوف حتى نحفظ الطفل من الخطر الجسمي أو من سخط المجتمع ونبذه إياه، ويلعب التقليد دوراً هاماً في مخاوف الطفولة: فالأطفال لا يقلّدون الكلام والأخلاق والآداب العامة لأبائهم فحسب، بل إن الموقف العقلي الذي يتخذه الطفل حيال أي موقف يغلب أن يكون موقفاً من المواقف التي رآها من أهله. فالأم التي تذعر ذعراً واضحاً من الحيوانات أو الأماكن المظلمة أو العواصف الهوجاء، أو الأماكن العالية، والتي تنتفض ذعراً من الأصوات الحقيقية أو الوهمية يغلب أن تخلف هذه الميول في ولدها، لا عن طريق الوراثة ولكن على شكل نموذج من السلوك يحاكيه الطفل محاكاة غريزية. ومن ثم كان من الأهمية بمكان أن يقوم الآباء الذين يتقلهم الخوف الذي لا نفع فيه بكل ما في وسعهم حتى لا تظهر مخاوفهم أمام الطفل، لأنها سوف تنعكس أبداً في تصرف الطفل حيال المواقف المماثلة.

ولا يكاد يلزمننا أن نحذر الآباء من التظاهر بموقف الخوف - الذي لا أصل له في الواقع - حين يجديهم ذلك كثيراً في التأثير على الطفل. إذ ليست إثارة الخوف وحشية وقسوة فحسب، بل هي معدومة النفع من الناحية العلمية لأنه إذا كان هذا وسيلة تحقق غرضاً نافعاً للتو، وتتخذ طريقة لضبط النشاط الزائد وحد فضول الصغير، ومنعه من المخاطرة بعيداً عن عين أمه الساهرة، فإن النتائج النهائية لا تبرر بتاتاً استخدام مثل هذه المهارب.

وكثير من المخاوف التي لا بدّ أن يلقاها الطفل هي من النوع الهدّام المعجز، لا تجديه نفعاً بل تشتت نشاطه الذي يجب أن يهدف وأن يستخدم في تحقيق رفاهية الصغير، ويلعب التقليد والخيال وكذلك الإيحاء دوراً هاماً في تكوين هذه المخاوف، فكثيراً ما يكون مصدرها قائماً في علاقة الطفل بأبيه أو أمه، حين يجد الآباء أن الخوف طريقة نافعة في فرض الطاعة والامتثال للأوامر. ومما يؤسف له في هذا الموقف:

هو أن الطفل لا يحكم عليه بإحدى التجارب الانفعالية القاسية فحسب، بل إن هذه التجربة تخلف وراءها ندوباً نفسية تقوم عليها نماذج السلوك في المستقبل فالجبان الرعديد من الجنود لا ينشأ في ميدان القتال بل في أحضان أمه.

### أشكال الخوف:

١- الخوف المكتسب في السن المبكرة: مع أن كثيراً من أشكال الخوف ليست فطرية، إلا أنها تكتسب في سن مبكرة، وهي عظيمة النفع للطفل. وهذا النوع من الخوف لازم لحفظ الذات، وعامل هام في تكوين السلوك الذي يرضى عنه المجتمع. ولو أن هذه الأشكال المعدلة من الخوف يجب ألا تستأصل، غير أنه من اللازم ألا نبالغ في استئثارها، حتى لا يتسع انتشارها، ولا تبلغ من الشدة حدّاً تصير معه عاملاً معجزاً في حياة الطفل.

٢ - الخوف فكرة طاغية تعرض الطفل للخطر: ومن الميسور أن يصير الخوف فكرة طاغية متمكنة من عقل الطفل إذا داومنا الإيحاء إليه باحتمال تعرضه للخطر. فمن الآباء من لا يقطعون عن تحذير أطفالهم من الامتناع عن هذا اللون من النشاط أو ذاك، حتى لا يلحقهم الأذى؛ وما أكثر ما يسمع الطفل مثل هذه العبارات:

«لا تجر وإلا عثرت»، «لا تتسلق وإلا وقعت»، «سوف يعقرك الكلب»، «سوف يخطفك الرجل الغريب إذا خرجت من الفناء»، «إذا لم تكن مهذباً أخذك الشرطي»، «سوف تتركك ماما وحدك إذا كنت شقيماً»، «لا يحب الله الأولاد السيئين»، «بابا لا يحبهم إذا علت منهم الجلبة»، «ستجعلك الحلوى مريضاً». وما هذه إلا بعض التحذيرات التي لا حصر لها مما يفرض سماعها على كثير من الأطفال يوماً بعد يوم. ولا بأس بالتحذير في ذاته، ولكن هناك أذى كبيراً في خلق جو من الخطر الجاثم الدائم يعيش فيه الأطفال، بتحذيرهم أبداً إلى توقع كارثة تنزل بهم في أي وقت على غير توقع أو انتظار.

وقد يكون لهذا التحذير من الخطر أثر مؤقت كوسيلة للتهذيب، غير أنه ليس طريقة باقية الأثر في السلوك الحميد فرغم أن كثيراً من الأطفال لحسن الحظ سرعان ما يقفون على كذب هذه التحذيرات الأبوية وسخفها ثم يتصرفون إزاءها على أنها كذلك، إلا أن من تزيد قابليتهم للاستهواء يتأثرون كثيراً بهذا التوقع الدائم للخطر، حتى يصبح جانباً طاغياً في شخصيتهم لا يمكن التخلص منه بسهولة حتى عند بلوغهم السن التي تسمح لهم بتحكيم عقولهم فيها بأنفسهم. ومن ثم كانت البيئة سبباً في إعجاز كلا الفئتين من الأطفال: الأولى لضياح ثقنها في الآباء والثانية من حالة القلق التي تقوم على الشعور بعدم الأمن الذي بدأ مبكراً في مقتبل العمر. إن البالغ الذي اعتاد في طفولته توقع الخطر أو العناء الذي قد ينزل به في أي وقت، يكون دائم التملص من حقائق الحياة بحجة أو أخرى يدفعها الخوف. وهو غالباً ما يكون

شعوراً غامضاً خفي العلة مثل الهلع من خطر قريب جائم. ثم يمتد الخوف إلى الناس والمواقف حتى يؤثر في القدرة على العمل وفي الكفاية وفي سداد الحكم وإذا بهؤلاء الناس قد أفعمت نفوسهم شكاً وتردداً تعوزهم الثقة وتتقصم الشجاعة، يشعرون بالعجز عن مواجهة الحياة، ولا يستطيعون العيش إلا في البيئة التي تحنو عليهم وتحيطهم بالرعاية.

٣ - **الخوف من الألم البدني:** يخاف كثير من الأطفال، خوفاً شاداً من الألم البدني، فيعملون جهدهم على تجنب المواقف التي تؤدي إلى أذى الجسم. وتنتج هذه الحالة العقلية من الإلحاح في تنبيه الطفل إلى أن الشيء المحرم سوف يخلف ألماً موجعاً، حتى يصير الألم وحده أهم شيء يجب تجنبه في الحياة، بل إن هؤلاء الأطفال ليعجزون مثلاً عن الاشتراك في مباريات الرياضة الخشنة الشديدة، لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم إزاء الفتية الذين يزيدون عنهم إقداماً، إذ سرعان ما يكشف هؤلاء مواطن الضعف في أولئك، ويغلب أن يشتد نفور أولئك الأطفال من الألم، حتى يضيع جل وقتهم في العمل على تجنبه فيعتبرهم أترابهم جبناء «بنات» تصبح حياتهم مليئة بالبؤس والمرارة.

ويعود كثير من المخاوف المعجزة في حياة البالغين إلى فكرة أو تجربة في حياة الطفولة. وسوف نتحدث في موضوع آخر من هذا البحث عن بعض الأمور التي يراها الطفل مبعثاً للخوف ومصدراً للقلق والأوهام. والخوف طريقة كثيراً ما يسوء استغلالها للحصول على السلوك الحميد في الأطفال، ولما كان التخويف يؤدي إلى أسرع النتائج بأقل جهد ممكن يبذله الآباء، كان هذا مما يدفع إلى انتشار استخدامه كطريقة لتهديب الطفل في السنوات الأولى.

٤ - **الخوف قوة هدامة في تكوين الشخصية:** وكثيراً ما يكون الخوف قوة هدامة في تكوين الشخصية، لهذا يجب ألا نلجأ إلى استخدامه إذا كانت هناك

طرق أخرى يمكن اصطناعها لتحقيق الهدف المطلوب. وكثيراً جداً ما يلجأ الآباء إلى التهديد والوعيد كطريقة سهلة مضمونة لإجبار الطفل على القيام بأمر معين، أو منع الطفل من الاستمرار في طريق من السلوك الذميم. فبدلاً من أن يبينوا لطفل في الرابعة من عمره أن ضوضاءه سوف توقظ أمه المتعبة التي تَمَلَّكها الصداغ، وأن يطلبوا إليه أن يبذل معونته، يأخذ أبوه أو مربيته في إنذاره: بأنه إذا لم يصمت وقع به عقاب صارم شديد، ووضع في الغرفة المظلمة. تلك محاولة لتحقيق السلوك الحميد عن طريق الخوف، وقد يكف الصغير عن الضوضاء، لكنه ليس من المستبعد عند ذلك أن يرى أمه عجوزاً متعبة ترغب دائماً في النوم أو الهدوء عندما يود هو أن يلهو ويمرح، وأن يرى في أبيه أو مربيته اللذين يصدران الأوامر قوماً ظَلَمَ مستبدين، لا يستطيعون إخضاع الصغار إلاّ لأنهم أكبر منهم. أما إذا أمكن من الناحية الأخرى أن يهتم الطفل بتوعك أمه، فإنه قد يحلو له أن يقوم بما يعتبر منه تضحية كبيرة في الظروف العادية. ومن ثم كان من اللازم أن نلجأ إلى أسمى الدوافع لإقامة السلوك الحميد، لكن الخوف نوع منحط من الدوافع التي تؤثر في أكثر أنواع السلوك لهذا يجب أن نعمل على تجنبه. ومع أن الخوف طريقة ناجعة في ضبط الطفل ضبطاً مؤقتاً، فمن الخير أن يوقن الآباء أن الطفل يستطيع أن يكشف بخبراته أن الخداع والتهديد من جانبهم ليس إلاّ دليلاً على ضعفهم وقلة حيلتهم في معالجة الموقف بما ينبغي من صراحة وعمل إيجابي نافع والوالدان إذا ربطا عنصر الخوف بالموقف أو الناس أو الأشياء رغبة في إرهاب الطفل، لا يلحقان به ظلماً كبيراً فحسب، بل هما يحطمان ثقته في كل منهما.

٥- انفعالات الأطفال: فلا يجب أن تكون انفعالات الأطفال مجالاً للاستغلال والاستخفاف، لأن ذلك لا يقل خطورة عن العبث بأعين الطفل أو آذانه أو

التي لا يخطر ببال أي والد عاقل أن يعبت بها البتة. والخوف انفعال يمكن استثارته بطرق شتى، وله آثار بعيدة المدى تتطلب من الآباء أن يكونوا على حذر منها وانتباه لها في كل الأحياء. والعيادات النفسية تواتينا بكل الأدلة يومية والتي تجسّد ما نتركه مخاوف الطفولة من أثر سيئ هدّام في سعادة الناس وكفائاتهم بعد ذلك في حياة الكبر. وكثيراً ما يلقي المعلمون والمعلمات، والمريبات، والمرشدون والمرشدات الاجتماعيات، من الأطفال من أفعمت نفوسهم استحياءً وتهيباً، ومن يشعرون بعجزهم عن مواجهة المسائل المألوفة في الحياة اليومية وعن التنافس والتعاون مع غيرهم من الأطفال، لأن غريزة الخوف عندهم قد بُلغ في استثارتها فطغت عليهم وتحكمت في نفوسهم: فرجل البوليس الذي ينبغي أن يلتمس الطفل عنده الحماية صار مصدراً للفرع؛ وذلك الرجل الفقير المهلهل الثياب، وذلك السنّان الذي يمر في الشارع بدلاً من أن يكونا مثاراً للذكريات الممتعة - أصبعا مثاراً للرعب، بل الطبيب الذي كثيراً ما يعتمد عليه الطفل وأهله في حالات الخطر، قد وضع للطفل في صورة تجعل عمله أمراً عسيراً كل العسر، بل تؤدي بجهوده أحياناً إلى الضياع هباءً منثوراً وقد تبدو كل هذه التحذيرات أموراً لا لزوم لها في هذا الزمن الذي استنار فيه الناس، لكن الواقع أن هذه الطرق ما زالت تستخدم إلى درجة تبلغ من الخطورة حدّاً نستطيع أن نتركه دون تعليق.

### الخوف والتربية:

ليس الخوف دائماً كما ذكرنا ظاهرة مرضية لذلك فإنه لا خطر البتة من تلك المخاوف التي تساعد صاحبها في عملية حفظ البقاء وفي التكيف.

ولكن عندما يغدو الخوف معوقاً للنمو الجسدي أو النفسي والاجتماعي ومسيطرّاً على مشاعر المتعلمين، فلا بدّ من البحث عن وسائل تساعدنا في إنقاذ المصاب، وهذه الوسائل ترتبط بصورة أساسية بالأسباب التي تولّد الخوف:

- ١- إذا كان الجوع سبباً من الأسباب التي تدعو إلى ظهور المخاوف عند الطفل فإن الشبع والامتلاء يسببان له ارتياحاً ويعطيانه ضماناً نفسياً ينقذه من الشعور بالخوف ويكوّن بدلاً من ذلك لديه شعوراً بالأمن والسكينة.
- ٢- إفساح المجال في حياة الطفل ليشرع بحب الآخرين له وحنوهم عليه وإبعاده عن أجواء الضغينة والكرهية التي تجعله فريسة المخاوف.
- ٣- جعل الطفل في جو اجتماعي كيما يجد نفسه دائماً في وسط الجماعة، فليس كالوحدة ما يثير الخوف، فاتباع طرائق تعليمية يكون فيها عمل المتعلم جزءاً من عمل الجماعة أحد الأسباب التي تحرر الفرد من المخاوف.
- ٤- على الكبار إخفاء مخاوفهم عن الصغار كيلا تسري فيهم عدوى الخوف.
- ٥- تجنب الأطفال مشاهدة المسلسلات والأفلام المثيرة للربح كما يكون مفيداً جداً عدم إسماعهم قصصاً وروايات تبعث الخوف في نفوسهم كقصص الجن والعمالقة وغيرها.
- ٦- وفي بعض الحالات يكون العلاج الطبي هو الوسيلة الوحيدة لإنقاذ المريض من المخاوف المستبدة به، خاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بضعف جسدي عام أو وهن نفسي.

### لماذا يخاف الأطفال...!؟

تقوم بعض الأسر بأساليب خاطئة في طريقة تربية أطفالها، حيث تزرع الخوف بداخلهم لإجبارهم على الانصياع لأوامرهم أو توجيهاتهم حيث تقوم بإخافة أطفالها من أشياء غالباً غير موجودة، وغالباً ما يحملون هذا الخوف معهم حتى كبرهم. فقد ترى شخصاً كبيراً يخاف من الظلمة أو من حقنة الدواء وما هذا الخوف إلا ترسبات منذ طفولتهم، كان الأهل يستخدمونها

لإجبارهم على القيام بأعمال أو الكف عن أعمال أخرى، فغالباً ما نسمع الأم تقول لطفلها، لا تذهب خارج البيت كي لا يخطفك الجنّي، أو تناول طعامك وإلاّ أحضرت لك الدكتور ليعطيك حقنة ومن هذا الشيء الكثير. حيث يرى علماء التربية أن الخوف في بداية الأمر يكون سببه الأهل، فعندما لا يكون هناك أمان يحس به الطفل فإن ذلك يسبب الخوف، هذا الخوف وعدم الإحساس بالأمان تسببه المشاحنات والتوتر بين الأب والأم، هذا الجو المشحون بالتوتر وعدم الراحة يسبب للطفل حالة من المرض ويدفعه إلى الكذب.

والمفروض من الأهل اكتشاف ذلك منذ البداية، وإبعاد الطفل عن جو المشاحنات الذي يُخلق بين الأب والأم. وغالباً ما يكون خوف الطفل في المرحلة الأولى عند دخوله إلى المدرسة سببه اختلاف بين جو المنزل وجو المدرسة وخصوصاً أن الطفل لم يسبق له الدخول إلى روضة أو مدرسة تحضيرية. وهذا الشيء يسبب لنا المتاعب في البداية حيث يستغرب الطفل معلمته وقد يخاف منها لأنه قد اعتاد على أمه ومعاملتها له. وقد تصادفنا حالة خوف في المدرسة عند أحد الطلاب والذي رفض الذهاب إلى البيت وقت الانصراف وقال أريد أن أبقى هنا وعندما تسألته لماذا قال لك: بأن والده يضره «عندما يكسر قلمه أو يفقد أيّ غرض من أغراضه» بشكل مبرح فأصبح الطفل يخاف ويكره العودة إلى منزله ووالده.

وعن هذه الحالة من الاضطرابات النفسية نجدها بكثرة عند الأطفال، وتختلف درجتها وشِدَّتْها من طفل إلى آخر وقد تأخذ أبعاداً عميقة ومستمرة إذا لم يتم علاجها وقد تنعكس سلباً على نمو وتطور الطفل مسببة له مشكلة أو عقدة نفسية قد تعطل مجرى تطوره ونموه بشكل سليم في المستقبل.

إن الخوف «رد فعل» كشعور الطفل لما يهدده وهو آلية من آليات الدفاع وهو يختلف من شخص لآخر ورد الفعل السريع هو الصراخ. كل



الأطفال يتعرضون للخوف وهو أمر طبيعي، ولكن ما يستدعي الاهتمام هو الخوف المرضي «الفوبيا» فعندما يخاف الطفل من الظلام والأحلام المزعجة أو الأماكن المغلقة أو الأماكن العالية يحمل في داخله تصوراً مسبقاً عن تلك الأشياء ويجب أن يلاحظه الأهل في كل سلوكه ويحاولوا أن يبينوا الخطأ من الصواب بعد أن يُعرّفوه على حقيقة الأشياء ويكفي لكي نواجه الخوف السلبي لدى الطفل أن نسمح له بتسمية مواهبه ومهاراته التي يستطيع بها أن يصبح جريئاً ونوفر له الفرصة أن يتعرّف تدريجياً على الموقف أو الموضوع الذي أخافه ورافقته في البداية لنوضح له بأن خوفه لم يكن له مبرر ومن الخطأ أن يستهزئ الأهل بالطفل إذا خاف بل يجب إظهار التقدير لمشاعره علاوة على ذلك كله يبقى لمسألة الوعي دورها الرئيسي في مواجهة الخوف. فالطفل يخاف الأشياء بحسب وعيه لها فإذا كان وعيه مكتملاً وصحيحاً كان محقاً في خوفه.

والخوف عند الأطفال الرضع الذين يكون وعيهم غير مكتمل تماماً يتجلى في مسألتين أساسيتين يخافهما الرضيع هما: الضوضاء والظلام والشعور بالانفصال والوحدة، ويتفق معظم الباحثين على أن سن الحادية عشرة هي السن التي يحدث فيها تزايد حقيقي من مخاوف الطفل ففي هذه السن تصبح معظم مخاوف الطفل موجهة نحو صحته حيث يبدأ وفي هذه السن بالذات خطواته الأولى نحو عالم الكبار وتظهر عليه بعض التغيرات الفيزيولوجية والمفاجئ بين الحين والآخر إذا كان الأهل ممن لا يحبذون مناقشة تلك الأمور مع أطفالهم عرضوهم إلى تقاوم خوفهم وتأزم نفسياتهم.

ولا بدّ من القول إنه تقع على الأهل مسؤولية تنشئة الطفل التنشئة السليمة التي تُمكنه من الاستمرار في هذه الحياة بصحة نفسية سليمة فأى شيء سلبي أو إيجابي سوف يحصده أطفالنا آلاماً، أو حياة ملؤها السعادة في المستقبل.

## علاقة الخوف بالخيال:

أما الدكتور عزت عبد العظيم أستاذ علم النفس «بجامعة بنها» فيرى أن الأطفال يتفاوت خوفهم طبقاً لدرجة تخيلهم: فأكثر الأطفال تخيلاً وتصوراً هم أكثرهم هلعاً وخوفاً: ومن أسباب الخوف عند الأطفال، طريقة التربية الخاطئة من جانب الأسرة كالحض على العزلة وتمجيد الانطوائية وعدم اللعب مع الأطفال، وتدليل الأم لطفلها وقلقها الزائد عليه.

## الخوف والقلق؟

يقول الدكتور أحمد عبد الخالق أستاذ علم النفس «بجامعة الإسكندرية»: القلق شعور عام بالرعب أو الخشية أو أن هناك مصيبة على وشك الوقوع أما الخوف فهو استجابة لخطر واضح وموجود فعلاً، في حين أن القلق استجابة لتهديد غير محدد أو غير معروف: ولكن الخوف والقلق متلازمان وفي كلتا الحالتين يتوتر الجسم ويضطرب التنفس، ويصاب الإنسان بالمرض العصبي والنفسي والجسماني.

## كيف نُعلم أطفالنا عدم الخوف...؟:

الخوف شعور طبيعي وضروري جداً ما دام يتعلق بقانون البقاء.. لقد ابتدأ الخوف مع بداية الحياة... وإذا ما أنصت جيداً إلى صرخات طفل رضيع. للمسنا فيها مشاعر الخوف... خصوصاً إذا ما فوجئ بضجة مباغتة أو حركة مفاجئة أو إذا كان جائعاً.. كذلك خوفه من ذهاب أمه وتركه لوحده فهو يعتقد أنها ستذهب إلى الأبد وتختفي.

إن أحد المخاوف الرئيسية لدى الأطفال هو الخوف من الحشرات الزاحفة والطائرة... وغالباً ما تعكس الأمهات طريقة رد فعل خاطئة جداً أمام طفلها الذي يرى خنفساء أو عنكبوتاً لأول مرة في حياته... فهي تصرخ بهلع أو تحذره بطريقة حادة وعصبية... الأمر الذي يخلق الرعب في نفس الطفل

من تلك الحشرات... فقط لا بدّ من إفهام الطفل بأن هذه الحشرات غير محببة ويجب إخراجها من المنزل. وهناك الخوف من الظلام فكثير من الأطفال يخافون الظلام ولذلك يجب على الأهل وضع الطفل وجهاً لوجه أمام الحقيقة وأن الظلام شيء لا يخيف ورغم ذلك لا بدّ من ترك ضوء خافت في غرف نوم الأطفال أو ترك الصالة المقابلة لغرف النوم مضاءة حتى يشعر الطفل بالأمان والراحة إذا ما أستيقظ أثناء الليل ليفعل أي شيء يريده... إضافة إلى ذلك يشعر الكثير من الأطفال بالخوف من الأحلام المزعجة التي تجعل الطفل يستيقظ مذعوراً وغارقاً في بركة من الخوف... قد يكون السبب ارتفاع درجة الحرارة أو مشاهدة أشياء مزعجة ومخيفة في التلفزيون قبل أن ينام... الحل يكمن في حضان الأم وكلماتها الحنون هو كل ما يحتاجه الطفل في هذه الحالة وعندما يستيقظ لا يتذكر ما حصل في الليلية الماضية.

يوجد فئة من الأطفال تخاف من الضيوف وتعتقد بأنها ستفرّقه عن أهله لذلك يكون من الأفضل التحدث أمام الطفل عن الضيف حتى يكون مستعداً للقائهم. كذلك الضيوف يجب أن يتركوا الطفل فترة حتى يسترخي ويعتادهم ثم تبدأ حفلة الاهتمامات ما بينهم.

هي المفاجأة باكتشاف الطفل ومخاوفه لذلك يجب مناقشة هذه المخاوف بصوت عال حتى تتم معالجتها ما بين الأم والأب وعدم النظر إلى هذه المخاوف بسخرية أو مزحة أو الاستخفاف بل يجب أن نتعرف على المخاوف الصغيرة التي تعذب الطفل في سني نموّه الأولى والقضاء عليها شيئاً فشيئاً. الدكتورة «فؤادة هديّة» ترى أن الحب والتفاهم والتحاور والحنان والاحترام من جانب الأسرة هي أفضل الوسائل لتجنب الخوف لدى الأطفال فالحوار واحترام وجهة نظر الطفل وآرائه و انفعالاته مدخل لتقنّه بنفسه، ويجب أيضاً على الأم أن تعرّض طفلها لخبرات حياتية ومواقف تتناسب مع قدراته وإمكاناته النفسية، وتعطيه الوقت لكي يستوعب هذه الخبرات ويتعلم منها،

ويجب أن تحترم لحظات ضعفه بالحنان لا بالتأنيب والتقليل من شأنه وخصوصاً بين الآخرين.

كما أن اللعب وممارسة الهوايات والتعرّف على البيئة وفهم أسرارها أحد العوامل التي تساهم في استقرار الطفل ونضج شخصيته. ومن المحال أن يقف الآباء على كل خبرة قد تكون مصدراً أثار الخوف عند صغارهم، غير أنه لا يبعد عن الصواب أن نقول: إن الآباء الذين يثق بهم أبنائهم، تواتيهم الفرصة للوقوف على مخاوف صغارهم حالما يشعرون بها تقريباً، فيستطيعون بذلك أن يقدموا لهم ما ينبغي من توجيه ومعونة. وكثيراً ما يجدي قليل من الشرح والإيضاح على الخوف الذي يبعثه أي موقف أو خبرة يمر بها الطفل وكل ما يستطيعه الأب الحصيف أن يتطّلع إليه: هو وقاية الطفل - ما أمكنه ذلك - من التجارب التي تبعث الخوف في نفسه على أنها إذا وقعت وجب عليه أن يحاول القضاء على تلك المخاوف في أقرب وقت مستطاع.

ولا يمكن القيام بهذا إلاّ إذا شعر الطفل بأن متاعبه سوف تكون محلاً للعطف والتقدير الصحيح، ويعني هذا أن تكون ثقته تامة في تفهم أهله للمشكلات التي تعرض له. لهذا لا ينبغي أن نستهيّن، أو أن ننقد، أو أن نهزأ بمخاوف الطفولة: لأنها تتطلب منا الاهتمام والعطف وحسن التقدير.

## سيكولوجيا التربية

### الأطفال... أزهار الحاضر... وأمل المستقبل وأثر الأسرة في تربيتهم

تتألف الأسرة عادة من بضعة أفراد يختلفون من حيث الطبع والعمر والمزاج، وتتشأ فيما بينهم من جهة وبينهم وبين الطفل من جهة ثانية علاقات متباينة، وكم هي كثيرة ومتنوعة تلك التقلبات التي تؤلف الجو اليومي للأسرة، وتحمل البيئة الأكثر قرباً «الأسرة» باعتبارها تجسيدا جزئياً للبيئة الاجتماعية الواسعة الأفكار والمفاهيم والمطالب والمسائل المتقدمة التي يطرحها المجتمع وتنقلها إلى الطفل، وكلما كان المربون المباشرين أكثر تمثيلاً للمجتمع، كانت آفاق نمو الطفل كعضو طبيعي في المجتمع، أرحب وأفضل... إن خبرة الحياة تُظهر لنا أن هناك عدداً من المفاهيم والأفكار تبدو كأنها تتلاءم وتتوافق مع الواقع الموضوعي لمجتمعنا وتصلح كأساس لبناء جيل المستقبل وتربيتهم تربية صالحة من حيث عدم الإفراط والمبالغة بالاهتمام بالطفل، والابتعاد عن الانتقادات الجارحة والاستهزاء به وتعويده على مواجهة الحياة بانتظام وتحدي الصعاب، وكذلك عدم الإكثار من الألعاب واختيار النوعية التي تدغدغ خياله، والأخذ بعين الاعتبار إشراك الأطفال بالعمل المنزلي والأعمال الضرورية بشكل تدريجي، واستخدام أسلوب الحزم التربوي مما يحقق مصلحتهم، وتؤكد البحوث في مجالي التربية وعلم النفس، ولا تزال تؤكد على حقيقتين هامتين تتعلقان بالتنشئة الأسرية وهما:

- ١- الدور المؤثر الذي تمارسه الأسرة خاصة فيما يتعلق بأسلوب تنشئتها لأبنائها، في تخليق شخصيات هؤلاء الأبناء على نحو أو آخر.
- ٢- انعكاس الخبرات التي مرَّ بها الأبناء في سنوات عمرهم المبكرة على طابع شخصياتهم في الفترات العمرية اللاحقة.

إن سلوك الأبناء في جانب كبير منه يتحدد بالمتغيرات الاجتماعية المحيطة بهم، وإن تأثير هذه المتغيرات الاجتماعية رهن بمدى نفاذها المباشر إلى الأبناء، وبمعنى آخر إذا كانت هذه المتغيرات الاجتماعية ممثلة لوعاء الخبرة الأساسي بالنسبة للطفل كان تأثيرها نافذاً وعميقاً، أما إذا كانت هذه المتغيرات الاجتماعية ممثلة لنمط ثانوي من الخبرة تضاعل حجم نفاذها وخفت عمق تأثيرها، ويمثل المنشؤون الاجتماعيون المحيطون بالطفل مصادر خبرة مختلفة له: بمعنى آخر أن المنشئين الاجتماعيين يلعبون أدواراً هامة في نموه وارتقائه بحكم ما يمثلونه من متغيرات اجتماعية تجد طريقها إلى بنائه النفسي.

يرى كثير من المفكرين أن الأسرة تلعب دوراً كبيراً في تكوين شخصية الإنسان وتوجيه سلوكه وتطوير أفكاره، فهي التي توظف القوى الكامنة، وتحرك فيه الغرائز الدفينة، وتنمي فيه المواهب المتعددة. فالأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يحيا فيها الإنسان ويتأثر بها كثيراً سواء في تكوينه الجسدي أو العقلي أو الوجداني أو الخلقى، أو من حيث اكتسابه العادات والتقاليد والأفكار والقيم والاتجاهات.

إن نمو الطفل يتأثر بظروف الأسرة وبأجواء المنزل، وبمستوى المعيشة داخل الأسرة، وانتشار الوعي الصحي والثقافي والاجتماعي بين أفرادها، وبالتالي فإن الطفل يتأثر بكل ما يحيط به من منبهات منزلية وكيف سلوكه تبعاً لها.

فالطفل الذي يجد نفسه محاطاً بكل ما يساعده في تربية فكره، وتهذيب ذوقه، من مكتبة غنية وصور جميلة وحديقة يلعب فيها، ولعب وأدوات يلهو بها... ويجد إلى جانب ذلك أمّاً حنونة وأباً عطوفاً، وأسرة يسودها الوئام والانسجام، فهذا الطفل سيجد فرصة للتعلم وستنمو جوانبه كافة.

أما الطفل الذي ينام في مسكن مزدحم، ويعيش في أسرة مفككة وجاهلة بأساليب التربية الحديثة فغالباً سيخفق في التعلم، ويسوء سلوكه، وتضطرب نفسيته.

إن تأثير الأسرة في تربية الطفل كبير جداً، ويتجلى هذا التأثير في جميع جوانب نمو الطفل، فهي تؤثر في سلوكه، وفي معاملته، وكذا في ذوقه الفني وتقديره لجمال الطبيعة ونظرتة إلى الحياة إلى جانب تأثيرها في صحته وفي تكيفه الاجتماعي.

ويرى علماء الاجتماع والتربية أن الأسرة هي أصلح بيئة لتربية الطفل وتكوينه ولا سيما في السنوات الأولى من عمره ولذلك فإن تنشئة الطفل مع والديه خير وسيلة لتهديب انفعالاته ووجدانه، ولكن جهل الأسرة بأساليب التربية الحديثة قد يؤدي إلى نتائج غير محمودة، فقد يندفع الأب أو الأم وراء حبه لطفله وعاطفته نحوه، فلا يستخدم الحزم والحكمة في الوقت المناسب، أو يكون قاسياً على الطفل مثقلاً عليه فيصبح هذا الطفل ضحية لسوء المعاملة.

إن الروابط التي تربط الأب أو الأم بالابن أو البنت هي روابط عاطفية والآباء في كثير من الأحيان لا يفكرون جيداً عندما يعالجون مشاكل أطفالهم فتكون مواقفهم وأعمالهم في بعض من الأحيان غير منطقية، وغير منسجمة، وفي مجتمعنا العربي تبرز بعض الممارسات الخاطئة في بعض الأسر، وتتمثل هذه الممارسات في أساليب التربية وطرق التعامل مع الأطفال من الجنسين مما يؤثر تأثيراً كبيراً على سلوك البنين والبنات، وبالتالي على مستقبل حياتهم، ويمكن هنا أن نعرض نماذج لبعض الممارسات وأساليب التربية المختلفة المتبعة في العديد من الأسر في مجتمعنا، منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي وذلك على الشكل الآتي:

● **النموذج الأول:** في ظل هذا النموذج يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه من قبل الأب أو الأم أو من كليهما، وهو لذلك لا يجد في البيت أية عناية أو اهتمام، فلا عجب أن نجد الطفل في مثل هذه الأسر معقداً نفسياً، فهو

لا يشعر بالأمن في البيت ولا بالحب، مما يؤثر على سلوكه الاجتماعي، فيضطر إلى البحث عن هذا الحب بطرق أخرى، ومن المحتمل أن يلجأ إلى الكذب والسرقة والتشرد والقسوة، وبما يؤثر ذلك في مستقبل حياته.

● **النموذج الثاني:** في هذا النموذج يسيطر الأبوان على الطفل في جميع الأوقات وفي جميع مراحل نموّه، وينوبان عنه بما يجب أن يقوم به هو، ويتحكمان في كل عمل من أعماله، مما يجعله يشعر بالاستبداد، وفقدان إرادته وضياع شخصيته، ويعتقد بعض الآباء - خطأً - أن التحكم في تصرفات الابن أو البنت، وخضوعهما لإرادة الأب في مصلحتهما، وربما يكون مثل هؤلاء الآباء قد تربوا تربية استبدادية فيعاملون أبناءهم بمثل ما عوملوا به.

وفي مثل هذه الأسر قد ينشأ بعض البنين أو البنات ممن يتمتع بسلوك حسن، وأخلاق مهذبة، ولكن هذا السلوك لن يدوم طويلاً، إذ سرعان ما يتلاشى، لأنه سلوك غير طبيعي لارتباطه بالاستبداد، فكثير منهم عندما يصلون إلى مرحلة المراهقة ينحرفون لشعورهم بالنقص والارتباك، مما يسهل على أصدقاء السوء قيادتهم إلى الضلال.

● **النموذج الثالث:** هنا نجد الأبوين ينتبهان انتبهاً شديداً على الطفل وبيالغان في العناية به، وقد يسرفان في التساهل معه وبيالغان في إظهار الحب له، ولا يرغبان في التغيرات الطبيعية التي تطرأ على نموّه، فيحاولان إبقائه في مرحلة نمو أدنى من المرحلة التي قد وصلها حيث يظنان ينظران إليه - وهو في مرحلة المراهقة - كما ينظران إلى طفل صغير، ولا يطيقان التفكير بأنه أصبح بحاجة إلى نوع من الحرية.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن البنين أو البنات الذين يعيشون في مثل هذه الأسر ويتربون بمثل تلك التربية يصعب عليهم النجاح في الحياة، لأنهم قد فقدوا الثقة بأنفسهم وصاروا عاجزين عن مواجهة مواقف الحياة المختلفة، وربما نجدهم يميلون إلى الانطواء أو التهرب من المسؤولية.



• **النموذج الرابع:** في هذا النموذج يحتل الطفل منزلة هامة، فينمو في جو من العواطف الحارّة والحب العميق المتبادل، فيشعر الطفل بأنه مرغوب فيه، لأنه يعيش في بيئة منزلية يسودها الحب والعطف والحنان والمعاملة الحسنة، ومعظم المواطنين الصالحين هم الذين يأتون من هذه الأسر.

• **النموذج الخامس:** تعترف الأسرة في هذا النموذج بأن أولادها وبناتها أشخاص يختلفون بعضهم عن بعض، وأن كلاً منهم ينمو نحو مرحلة من العمر يتمكن فيها من تحمّل نوع من المسؤولية وصولاً بهم إلى أن يتحملوا مسؤولياتهم الكاملة في الحياة، فهذه الأسرة تعترف بأن أبناءها وبناتها مطالبون بالقيام ببعض الواجبات بانتظام، وتعترف لهم بالحق في اتخاذ القرارات بأنفسهم... والبنون والبنات الذين يعيشون في مثل هذه الأسر، لا شك أنهم سيدركون أن للوالدين حقوقاً وامتيازات يجب أن تحترم، وهم لا ينتظرون في الوقت نفسه أن يكونوا موضع الاهتمام الزائد، والعناية الدائمة لأنهم قد تعلموا كيف يديرون أمورهم، وينظمون حياتهم.

إن مثل هذه الأسر يستطيع أفرادها - بنين وبنات - أن يعيشوا في وئام وانسجام تامين، لأنهم يعالجون مشاكلهم بالمناقشة، وبروح التعاون والمحبة، ففيها يُعاقب الأطفال حينما يتصرفون تصرفاً غير لائق، وفيها أيضاً يقدر لرب الأسرة دوره في القيادة، وحقه في التوجيه والإرشاد.

إن الأطفال الذين يعيشون في مثل هذه البيئة المنزلية يتمتعون بحظ وافر في الوسط الاجتماعي الذي يؤهلهم لأن يتكيفوا مع المجتمع تكيفاً حسناً، لأن الوالدين قد استطاعوا أن يوفر لهم الفرص المناسبة لتكوين العادات الاجتماعية الحسنة، حتى يصبحوا قادرين على التكيف مع المجتمع، ويؤثرون فيه.

تأسيساً على ما سبق يمكن القول إن سلوكنا مع أبنائنا شأنه في ذلك شأن أي سلوك آخر محكوم بعدد من التصورات، بعض منها، وهو ليس بقليل غير صحيح، ومن ثم يستوجب الأمر منا أن نرسي عدداً من

الأسس الصحيحة نرى ضرورة التعرف من وحيها إزاء التعامل مع الأبناء،  
ومن أهم هذه الأسس التي يمكن أن تساعد الطفل على تكوين صورة إيجابية  
عن نفسه ما يأتي:

أولاً: رعاية الأبوين للأبناء بشكل يكشف للأبناء عن الاهتمام بهم وبحاجاتهم  
الأساسية.

ثانياً: الاستجابة للتعبيرات التي تصدر عن الأبناء مثل تعبيرات الراحة أو  
عدم الراحة.

ثالثاً: تنبيه الأبوين إلى ضرورة خلق فرص للأبناء يتاح من خلالها القيام بأعمال  
ناجحة ، وتحاشي الأعمال الفاشلة.

رابعاً: الاهتمام بنقاط قوة الطفل وإبرازها له، وتمكينه من التغلب على  
نقاط ضعفه.

خامساً: الحديث مع الطفل عن المناشط التي يقوم بها بشكل يعكس رضانا عمّا  
يفعله وخاصة إذا كان ما يفعله في الإطار المقبول من الأفعال ومن  
أفضل الطرق التي يتم بها ذلك أن تصف بنفسك ما يقوم به الطفل كأن  
تقول له مثلاً: «هل تحب العربات ذات اللون الأحمر» أو تشير إلى  
رغبتك في مشاركة الطفل فيما يقوم به من أعمال كأن تقول له:  
«سأمسك لك بالعربة وأنت ترتدي ملابسك» أو تمدحه وهو يمارس  
نشاطاً معيناً، كأن تقول له: «أنت تقود العربة بشكل جيد».

وتبقى أخيراً توصية نوعية على الأسرة أن تعمل بها وهي ضرورة  
تفهم الأسباب التي تدفع الطفل في بعض الأحيان إلى إصدار استجابات  
عدوانية، فمعالجة هذه الأسباب تؤدي إلى تلاشي هذه الاستجابات أو على  
الأقل إقلال احتمال حدوثها.

## سيكولوجية المراهقة

المراهقة مرحلة من مراحل العمر، تتسم بعدم الاستقرار الانفعالي، وإن هذه المرحلة تختلف باختلاف الأجناس، فتستمر عند الذكور من «١٤-٢٠»، وعند الإناث من «١٢-١٨ سنة»، ويمكن أن تنتهي قبل الموعد المذكور تبعاً للظروف التربوية والاجتماعية التي يعيشها المراهق، فالنمو الاجتماعي هو تكامل النمو الجسدي من وزن وطول، هناك مقاييس للنمو النفسي الذي يحيط بالمراهقين.

فإن مرحلة المراهقة تحتاج إلى فهم ورعاية وتوجيه من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع، وإن هذا الموضوع يجب أن يناقش أولاً مع الآباء، فهم الدافع الأول في تحسين سلوك المراهق، وإن عدم تفهم الآباء لمضمون عملية التوجيه التربوي، وعدم قدرتهم على القيام بالإشراف الكامل، كل هذه الأمور تدفع المراهقين لحالات نفسية قاسية ومضطربة، منها الفوضوية في السلوك، والطموح إلى الاستقلالية بعيداً عن سلطة الآباء القاسية، عندها ينشأ صراع حاد وعنيف بين أحلام المراهقين، وقسوة معاملة الآباء.

فالمراهق يريد لنفسه الحرية، والراحة النفسية، والحياة الهادئة بين أفراد الأسرة، ويريد أيضاً أن يشعر بأنه عضو فيها، وله الحق في إبداء الرأي، عندها يشعر بأنه قد أثبت ذاته في هذه الأسرة، و لكن هذه المطالب لا تُواجه من الأهل إلا بالرفض وعدم الاستجابة، أو الاستماع له عندها يفرضون عليه قيودهم الملزمة باتباع الأساليب القاسية، فما يكون من المراهق إلا التمرد

على والديه، والفوضوية في السلوك، والاتجاه إلى أحلام اليقظة التي يحقق جميع رغباته من خلالها. وأخيراً المراهقون لا يريدون سوى الحياة النفسية الهادئة، والتكيف السليم لبناء مستقبلهم، والإرشاد النفسي الذي لا بدّ له من تعاون وتفهم الأسرة لهذه المرحلة الصعبة، وتعاون المجتمع معهم على حل هذه المشكلات، فهم لم يعودوا كما كانوا أطفالاً منذ سنوات قليلة، بل بضعة أشهر، والواقع أن أغلب الكبار يعاملون المراهقين كما يعاملون الأطفال الصغار، وينشأ الهم والقلق أيضاً، نتيجة أن النمو لا يسير على نمط واحد عند جميع المراهقين، فالواحد منهم في الغالب إذا ما وجد أن صديقاً له أسرع منه في النمو، أو أبطأ منه، إذ يعتقد أنه شاذ عن غيره.

ومما لا شك فيه أن بعض هؤلاء الشبان لديهم مشكلات صحيّة تحتاج إلى رعاية طبية، ولكن معظم ما ينتابهم من قلق إنما ينشأ عن عدم معرفتهم للتغيرات الجسمية التي تحدث لهم، واهتمام الشباب الزائد بوزنهم وقوامهم دليل واضح على ذلك، فلو أنهم عرفوا ما ينتظر أن يحدث لهم في أثناء نموهم، لاختفى الشيء الكثير من قلقهم هذا، وإذا ما أدرك كل صبي أن أسلوب النمو عنده قد يختلف عن أسلوب النمو عند أصدقائه، لكان مدعاة إلى تساؤل القلق.

### المراهقون ومشكلة السن:

مشكلة السن هذه مشكلة حادّة بالنسبة لصغار المراهقين والمراهقات، فعندما يبلغ المراهق السادسة عشرة أو السابعة عشرة، يدرك الآباء جميعاً أنه لم يعد طفلاً، وأنه لا ينبغي أن يعامل على هذا الأساس، أما المراهق الذي يبلغ من العمر الثالثة عشرة، أو الرابعة عشرة، فهو طفل في نظر عدد كبير من الآباء، إن لم يكن في نظر معظمهم، وهم يتوقعون منه أن يفكر، وأن يسلك كطفل، ويعاملونه على هذا النحو أيضاً، هذا على الرغم من أن نتائج البحوث تشير إلى أن صغار المراهقين والمراهقات يعانون من نفس

المشكلات التي يعاني منها المراهقون والمراهقات الذين يكبرونهم بخمسة أو ستة أعوام، كما أن لديهم نفس الميول التي توجد لدى هؤلاء، وليس معنى ذلك أن المراهقين والمراهقات السن الثالثة عشرة، أو الرابعة عشرة، في مثل درجة النضج التي وصل إليها المراهقون الذين يبلغون سن السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة، فهؤلاء المراهقين والمراهقات الصغار لا يزالون في حاجة إلى سنوات عدّة من الخبرة قبل أن يستطيعوا الوصول إلى درجة الكبار في التفكير والسلوك، ولكنهم أصبحوا يشعرون بمركزهم كمراهقين ويودون لو عوملوا كما يُعامل الكبار، فهم يشعرون شعوراً واضحاً بما يطرأ عليهم من نمو رغم أنهم لم يصلوا إلى تمامه.

### رغبة المراهق في التحلل من إشراف الكبار:

عندما يشكو الفتية والفتيات من أنهم يعاملون كالأطفال، إنما يحاولون أن يُفصِحوا عن رغبتهم في أن يسلكوا كالكبار، فهم يريدون أن يختاروا ملابسهم بأنفسهم، وأن يضعوا خططهم بأنفسهم وأن ينتقوا أصدقاءهم دون تدخل من المحيطين بهم، وأن ينفقوا نقودهم في الأوجه التي يرونها أنسب من غيرها، وبالاختصار إنهم يريدون أن يكونوا أكثر استقلالاً، وأكثر تحرراً من إشراف الكبار.

فقد تسمع فتى يقول لزملائه: «إن الرجل العجوز - يقصد أباه - يريدني أن أذهب إلى متجره بعد خروجي من المدرسة، ولكن... كلا! إنني ذاهب إلى النادي» في حين أن والده لم يفعل سوى أن اقترح عليه أن يعمل معه في متجره، وأن الفتى اتخذ من هذا فرصة ليبين لزملائه أنه قد وصل إلى مرحلة من السن أصبحت له فيها أفكاره الخاصة. وقد يبدو أنه لم يكن عادلاً تجاه والده، ولكنه ليس كاذباً أيضاً، فهذا هو ما يشعر به نحو هذا الأمر على الأقل في تلك اللحظة، إنه في حاجة لأن يجد وسيلة يظهر بها استقلاله، أو شخصاً يثور ضده لكي يثبت ذاته.

والآباء في نظر كثير من الشباب، رمز للطفولة التي يريدون أن يتركوها وراء أظهرهم، فهم يُذكرون الشباب بالفترة التي كانوا فيها صغاراً ضعفاء، أو الفترة التي كان يعتمد الشباب فيها على آبائهم في إشباع حاجاتهم اعتماداً كلياً، ولذلك فليس الآباء باعتبارهم آباء هم الذين يتنازع معهم المراهقون أو يعارضوهم ولكن ربما كان هذا النزاع والمعارضة نزاعاً ومعاونة مع طفولتهم أنفسهم، إنهم يحتاجون إلى المساعدة، ولكنهم لا يريدونها أيضاً ويُظهر المراهقون تجاهلاً فيما يتعلق بمساعدة والديهم ونصحهم في الوقت الذي يحتاجون إليهما لأن الآباء يذكرونهم بالفترة التي كانوا فيها يعتمدون عليهم عندما كانوا أطفالاً، وقد وجد أن عشرة في المائة فقط من طلبة وطالبات المدارس الثانوية من الذين أجرينا عليهم أبحاثاً قد أجابوا بأن آباءهم يقدمون لهم توجيهاً وإرشاداً أكثر مما ينبغي، ويبدو أفراد هذه المجموعة الصغيرة يريدون السيطرة على حياتهم بصورة واضحة، وفي الوقت نفسه نجد مجموعة من المراهقين يبلغ عددها حوالي (٣٣%) من مجموع من سُئلوا من الطلبة والطالبات أبدت رغبتها في أن تنال توجيهاً وإرشاداً أعظم من آبائهم، وهؤلاء المراهقون يشعرون بأن آبائهم لا يريدون القيام بهذه المهمة، ومعنى هذا أن المراهقين يريدون الاعتماد على آبائهم أكثر مما يعتمدون عليهم حالياً، ولكنهم يشعرون أن آباءهم يريدون إبعادهم عنهم.

وفي إحدى الدراسات عندما سُئل المراهقون السؤال التالي: إذا ما واجهت مشكلة شخصية، فلن تلجأ طلباً للمساعدة؟ أجاب أكثر من خمسين في المئة منهم أنهم يطلبون المساعدة من والديهم، وفي نفس الوقت أجابت نفس النسبة من المراهقين بأن آباءهم لا يدركون مشكلاتهم إدراكاً تاماً.

### كيف يستذكر المراهقون دروسهم:

من المحتمل أن ترجع بعض المشكلات إلى أن المراهقين والمراهقات تعوزهم مهارات وأساليب الاستذكار السليمة، ويتضح هذا بوجه خاص عندما

نلاحظ أن نسبة مئوية من طلبة الأول الثانوي، تبدي قلقها حول المشكلات، وهي نسبة أعلى من نسب الطلبة الذين يبدون مثل هذا الشعور في السنوات الدراسية الأعلى منها، ويستطيع الطلبة أن يقوموا بدراساتهم على نحو أفضل إذا أمكنهم التعرف على طرق أكثر فعالية، وعلى وسائل أكثر اتصالاً في الوقت والمجهود، للحصول على المعلومات، وإذا ما تعلموا كيف يجيبون عن الأسئلة في الامتحانات والاختبارات، ومن الاقتراحات التي تساعد المراهقين على التغلب على هذه العقبات التي تحول دون قيامهم بعملهم المدرسي على أفضل وجه: أن نيسر لهم الحصول على المواد التي تساعد على الدراسة، مما يفيد الطلبة عادة الاقتراحات الخاصة في تدوين المذكرات والاستعداد للاختبارات وتنظيم الواجبات المدرسية، وكذلك القيام بدراسة مبسطة عن أساليب الاستذكار، والحصول على مساعدة جميع المدرسين، حيث إن من أكبر مشاكل الطلبة التعبير عن أنفسهم كتابةً وتحدثاً، ومن الممكن أن يقوم أعضاء هيئة التدريس في المدرسة وموظفيها بمساعدة هؤلاء المراهقين في ذلك الشأن أيضاً.

### الفروق الفردية:

إن مجرد معرفة عادات الدراسة الجيدة لا يقدم لنا أي ضمان بأن جميع الطلبة سوف يقومون بأعمالهم المدرسية على نحو أفضل، ذلك أن المراهقين يختلفون في قدرتهم على التعلم اختلافاً كبيراً، أي أنهم يختلفون في ذكائهم، ولكن ليس سمة واحدة تتفاوت من شخص لآخر فهناك عدة أنواع من «الذكاء» فذكاء المراهق على أنحاء مختلفة، فالقدرة اللفظية المعنوية هي القدرة على فهم الكلمات المكتوبة أو الملفوظة، والقدرة المكانية هي القدرة على التفكير في العلاقات بين الأشياء التي توجد في بعدين أو ثلاثة أبعاد، وهي القدرة على تصور كيف يمكن لهذه الأشياء أن تتركب فيما بعد بينها، والتفكير هو القدرة على استيعاب المشكلات وحلها، والقدرة العددية هي

القدرة على معالجة الأرقام، والسلاسة اللفظية هي القدرة على استخدام الألفاظ بسهولة في الحديث والكتابة والذاكرة هي القدرة على استرجاع الخبرات التي حدثت في الماضي أما السرعة الإدراكية فهي القدرة على إدراك أوجه التشابه والاختلاف بين التفاصيل بسرعة.

وإذن فمن السهل أن ندرك أن الطفل لا يتصف بأنه ذكي أو غبي، فهو عادة ذكي وغير ذكي، جيد في بعض الأشياء، وضعيف في البعض الآخر.

### الاستفادة من الإمكانيات:

يستطيع المدرسون والآباء أيضاً مساعدة كل طفل على أن يكون فكرة دقيقة عن قدراته، وهذه الفكرة تساعد على أن يحسن من عمله المدرسي، ويمنحه الثقة السليمة في قدرته على مواجهة مسؤوليات المستقبل، حيث إن من الجدير بالذكر أن جميع الشبان لا يستطيعون الوصول إلى درجة واحدة في جميع المواد، فالقدرات العقلية تختلف كيفاً وكمّاً، وينبغي ألا يشعر المراهق بعدم الملاءمة، لأنه لا يستطيع أن يصل إلى أعلى درجات الإتقان في بعض المواد، لأن كثيراً من الأبناء حرّموا الفرصة التي تتيح لهم تطور قدراتهم الخاصة، بل لقد كان يُنتظر منهم أن يصلوا لقدراتهم إلى مستوى لا يستطيعونه، وعلينا ألا نصف المراهق بأنه «نبيه» أو «غبي» عل أساس قدرته في مجال أو أكثر من مجالات الذكاء، ويجب أن تساعد الطلبة على فهم أهمية النجاح في الدراسة، ولكن لا نغالي في هذه الأهمية، لأن النجاح في المدرسة مسألة خطيرة بالنسبة للمراهق، ويؤثر في حياته خارج المدرسة في الوقت الحاضر وفي المستقبل، حيث يؤثر ذلك أيضاً تأثيراً قوياً في اتجاهه نحو العمل ونجاحه فيه، عندها علينا أن نحاول مساعدة المراهق على أن يدرك أن القدرة العقلية ليست سوى عامل واحد في النجاح المدرسي أو المهني.



وينبغي أن نساعد المراهقين على إدراك أنهم قد يكونون عاجزين في اللغة أو الرياضيات أو علم الأحياء أو أية مادة دراسية أخرى، ولكنهم مع ذلك يتمتعون بقدرات أخرى هامة، فقد يتميز أحدهم بالتوافق الجسمي الدقيق، أو المهارة اليدوية، أو القدرة الفنية (الرسم أو الموسيقى)، وعلينا نحن الآباء والمدرسين أن نساعد أبناءنا على أن يدركوا أهمية هذه القدرات، وأن نساعدهم على أن يخططوا عملهم في المدرسة، وفي مستقبل حياتهم المهنية تخطيطاً يمكنهم من استخدام هذه القدرة.

### أهمية المدرسة الثانوية:

يرتبط النجاح المدرسي عادة بشعور المراهق نحو المواد التي يدرسها: هل يشعر بأنها هامة؟ هل يعتقد أنها سوف تفيده في عمله أو مهنته في المستقبل؟ إذا لم يستطع المراهق أن يدرك علاقة هذه المواد بنواحي الحياة الأخرى فإن اهتمامه بها يقل، ولا يحاول أن يبذل كل جهده في هذا السبيل، حيث إن المواد المدرسية التي يدرسونها حسب ما ذكره (١٠%) من المراهقين) هي بعيدة كل البعد عن الحياة اليومية، فالتعليم يتوقف عند مرحلة التعليم الثانوي بالنسبة لمعظم الفتيان والفتيات، فيبحثون عندها عن عمل، فقد كانت العملية التربوية ينبغي أن تهيئهم للحصول على عمل، فقد كانت العملية التربوية تتفق مع حاجات عدد قليل من الطلبة الذين يذهبون إلى الجامعة، ويعملون في المهن الراقية. أما في الوقت الحاضر فإن المدارس قد أدخلت إلى برامجها وخطتها الدراسية مواداً مهنية أكثر مما سبق، وعلى الرغم من أنها يجب أن تُعد المراهقين للعمل فإن أهداف التربية أوسع من هذا، وإذا استطاع الشباب أن يروا النواحي الأخرى التي يمكن أن تساعد المدرسة عليها، فما الذي تستطيع أن تقدمه للمراهقين بجانب إعدادهم لعمل...؟

أ - شغل أوقات الفراغ بطريقة مفيدة: حيث إن قيام الإنسان بعمل مشوق في أوقات العمل يؤدي إلى شعوره بالسعادة، ويزيد مقدار كفايته في العمل، وتقدم الأندية والجمعيات المدرسية مثل جمعيات طوابع البريد، وحفر الخشب، والموسيقا، والمساجلة، والطهو، وعمل الورشات الفنية للمراهق الفرصة للاشتراك في الأوجه المتعددة، وتساعد المراهق على اختيار الهويات واكتساب المهارات، فمثلاً تؤدي معرفة اللغات معرفة اللغات الأجنبية إلى إثارة السرور، وجعل هذه الهويات ممتعة إلى حد ما، وتعمق الاستمتاع بها، والواقع أن للهويات أهميتها، وأن المدرسة تساعد الطلبة على اختيارها والتفوق فيها.

ب - الإعداد لمستويات أرقى من التعليم: وينبغي أن تساعد المراهقين على إدراك قيمة المواد الدراسية في تعلمهم لأشياء أرقى فالمراهق يتعلم أين يجد المعلومات التي يرغب فيها، وكيف يجمعها وكيف يحكم على مدى صدقها، وليس البحث الذي يقوم به الطالب لكتابة المقالات وأداء الواجبات المدرسية وحتى اختيار الإجابة الصحيحة، سوى تدريب له على التفكير.

ج - المدرسة تتيح للمراهق فرصة لنمو شخصيته: فالمواد المدرسية، والحياة الاجتماعية، والعلاقة بين المراهق والمدرسين، هي فرصة للنمو ولتكوين المهارات، كما أنها فرصة لتحمل المسؤولية والاستقلال عن الآخرين، وللتعاون معهم.

د - الإعداد للحياة الديمقراطية: تعتمد الديمقراطية على الذكاء والتفكير والمواطنة المستنيرة، والتاريخ وعلم الاجتماع، والتربية الوطنية والاقتصاد والجغرافيا وسائل لجمع المعلومات المتعلقة بالمجتمع والسياسة، ودون معرفة للعلوم لا يستطيع فهم المشكلات التي تعترضه، ومواجهتها مواجهة فعالة.

## مشكلات النمو الاجتماعي:

خلال فترة المراهقة تتسع آفاق الشباب الاجتماعية فتتجاوز حدود أسرهم وجنسهم، ويؤدي هذا إلى نشأة مشكلات جديدة لهم، وفي نظر المجتمع لم يعد المراهق طفلاً، بل أصبح يُنتظر منه أن يلعب دوراً اجتماعياً مخالفاً، فهو يقابل أشخاصاً كباراً عليه أن يتعامل معهم، كما تتسع دائرة أصدقائه، وكذلك يتكون لديه الميل إلى أفراد الجنس الآخر. ويحاول المراهق أن يصل إلى النضج، فهو يرغب في أن ينغمس في أوجه النشاط المختلفة و يحاول أن يحصل على حب الآخرين ورضاهم، حيث إن (٥٤%) من الطلبة والطالبات يذكرون أنهم يودون الحصول على حب أعظم من الآخرين، و(٣٣%) منهم أيضاً يريدون لو استطاعوا التحدث بلباقة أعظم، وكذلك (٣٦%) من الطلبة والطالبات يذكرون أنهم يودون تقوية ثقتهم بأنفسهم، وهناك (٢٥%) منهم يذكرون أنهم يشعرون بالقلق في المواقف الاجتماعية.

## تعلم السلوك الاجتماعي:

يعتبر تعلم السلوك الاجتماعي تجاه الآخرين أهم المشاكل الاجتماعية التي يواجهها المراهق. أما عن كيفية تعلم المراهقين المهارات الاجتماعية، فمن المحتمل أن يكون معظم ما يتعلمه المراهق يتم عن طريق تقليد زملائه وهم يتعلمون أساليب السلوك من الطريقة التي يُعاملون بها، وهم يعجبون فترة المراهقة بالذات بسلوك أصدقائهم ويقلدونهم، وهم يتعلمون أيضاً عن طريق الخبرة، فمعاملة الآخرين تحتاج إلى شيء من المران والخبرة، فالمراهق في حاجة إلى فرص الوجود مع غيرهم وخاصة مع من يخالفونهم في السن وذلك حتى يُجربوا بأنفسهم طرق التعامل معهم. ويستطيع المراهقون أن يكتسبوا الشعور بالانتماء عن طريق أوجه النشاط الاجتماعي التي تتم في المدرسة، فالمراهق يحتاج إلى فرصة لأن يكون عضواً في الجماعة، وفي استطاعة المدرسة أن توفر هذه الفرصة، ومن الضروري في كثير من الأحيان أن نعطي المراهقين فرصة لقضاء الكثير من الوقت مع

زملائهم الذين في مثل سنهم، ويعتقد الآباء نتيجة لذلك أن حب أبنائهم لهم قد فتر، أو أنهم أصبحوا لا يتمتعون بصحبة ثللهم، فيما لا يوجد ما يسبب قلق الآباء إذا ظلت العلاقات في الأسرة طيبة قبل بدء مرحلة «الثلل» من إهمال آباءهم لهم، وأن نظرة الأبناء نحونا تصبح أكثر واقعية إذا ما نمت مستويات الحكم لديهم، وسوف يستمرون على حبنا، ويهتمون بأرائنا وأعمالنا بقدر ما نهتم بأرائهم وأعمالهم.

### الخروج من المنزل:

إلى أين، ومتى، وكم مرّة؟ وثمة مشكلة معقّدة في حياة المراهقين الاجتماعية وهي: كم مرّة ينبغي لنا أن نسمح لهم بالخروج من المنزل؟ ومتى ينبغي أن يعودوا إليه؟ إن الإجابة تتوقف على الآباء الآخرين في الحي الذي يقيم فيه المراهق.

إن أهم المسائل لدى المراهق أن يسلك كما يسلك غيره من المراهقين، ونتيجة لذلك تتجدد أوجه النشاط التي يمارسها عندما يكون خارج المنزل فقلق الوالدين يقل إذا ما عرفوا ووقفوا على أوجه النشاط التي يمارسها أبنائهم للترفيه عن أنفسهم.

إن بعض الإشراف من جانب الكبار مرغوب فيه، بل وضروري، ولكن يجب على هؤلاء المشرفين من الكبار أن يفهموا المراهقين أن يظلوا بعيداً عنهم قدر الإمكان.

ولعل من أهم المشكلات التي يواجهها المراهقون مشكلة التعرف على الجنس الآخر، إلا أن تعلم السهولة والمهارة في التعامل الاجتماعي يتم ببطء وخاصة مع الجنس الآخر وفي ألم، كما أنهم يشعرون بالخجل، وكلما كان المراهق صغيراً كانت مشكلات التعارف لديه أعظم، وإنّ بعض المشكلات الخاصة بالتعارف بين الفتيان والفتيات تصبح أقل أهمية كلما كبر المراهق، إلا أنها بوجه عام تستمر طوال فترة المراهقة.

## القواعد الخلقية:

على الرغم من أهمية مشكلات الصحة المستمرة فإن المراهقين يواجهون مشكلات أخرى غير هذه، كما يشعرون بالحاجة إلى المساعدة التي تتعلق بتحديد مستويات السلوك، وعلى الرغم من أن هذه الطريقة قد تكون فعالة في إخضاع المراهقين للنظام، فإنها تؤدي إلى نتائج ضارة تؤثر في اتجاهاتهم نحو أنفسهم وعلى تكيفهم الأسري عندما يتزوجون.

ومعظم الأبناء الذين «يتجاوزون حدودهم» إنما يشعرون بالحاجة إلى الحب في محيط الأسرة، ويؤدي الشعور بالانتماء والحب والعطف وفرص النجاح في أوجه النشاط المقبولة اجتماعياً إلى منع السلوك الجنسي غير القويم، فإن من المرجح أن ينمو معه شعور عميق بالخجل والذنب إزاء الأمور المتعلقة بالجنس.

## مشكلات المراهقين:

فيما سبق تحدثنا عن مشكلة المراهقين التي تتضمن أساليب تعاملهم مع الآخرين سواء كانوا آباءهم أم مدرسيهم أم أصدقاءهم، وقد أظهرت الدراسة التي قام بها الباحثون أن المراهقين يواجهون كثيراً من المشكلات الشخصية، فما هي إذن هذه المشكلات؟

من هذه المشكلات والتي هي أكثر شيوعاً بينهم: (٢٣%) من المراهقين يقولون إن من السهل إثارتهم، (٢٧%) منهم أيضاً يقولون إنهم عصبيون، وكذلك (٢٩%) من المراهقين يقولون إنهم غير مستقرين، بينما (٢٣%) من هؤلاء يقولون إنهم ليسوا واثقين بأنفسهم، ولما كان شعور الإنسان بقيمته عاملاً أساسياً في صحته النفسية، حيث لا يواجه الإنسان مشكلات يعسر عليه حلها كالمشكلات التي تختص به، ومساعدته على أن يجد عملاً شغل به بعض وقته قد يكون حلاً لمشكلته، ولكن من أصعب الأمور مساعدته إذ قال كما

يقول البعض: «إنني على يقين من أنني في بعض الأحيان أكون حساساً لما يقوله الناس لي، ولكن لماذا تستثيرني أشياء لا أهمية لها؟ ولماذا أكون سعيداً في لحظة؟ ومكتئباً في لحظة أخرى؟».

وقد يكون سلوك المراهق الشرير المزعج المشاكس المختلس العدواني راجعاً إلى مشكلاته الشخصية التي تمنعه من التعامل مع البيئة المحيطة به بطريقة إنشائية.

### الصحة النفسية للمراهق:

على الرغم من هذه الصعوبات، فإن هناك وسائل يستطيع بها الآباء والمدرسين أن يساعدوا على حل المشكلات المتعلقة بشعور المراهقين نحو أنفسهم، وقيماً يلي بعض النصائح التي أثبتت جدواها:

١ - ساعد المراهقين على أن ينجحوا في حياتهم: ليس ثمة أعظم جدوى من شعور المراهق بالكفاية والقيمة من النجاح .

٢ - كن حسن الإنصات للمراهقين: كن مستمعاً ينجت بعطف، ولا تكن مستجوباً أو محققاً أو قاضياً، فإذا جاءك مراهق فسهِل عليه الحديث، ولا تستعجله، ولا تستنثر مشكلته إلا بقدر الذي يراه، ولا تصدر عليه أحكاماً، ولا تدنه، ولا تلمه.

٣ - هيئ فرص المناقشات الجمعية: وهذه المناقشات تساعد الشبان على الإثم والعصبية، مشكلات شائعة بين الشبان الذين في مثل أعمارهم، وهذا ما تتيحه دراسات الصحة النفسية في المدارس وفي أندية الشباب، وتفسح المجال أمامهم للتحدث عن مشكلاتهم، لاسيما عندما يجد الشبان زملاء لهم يعانون من مشكلات شبيهة بمشكلاتهم.

٤ - درب نفسك على التعرف على ما يدل على سوء التكيف الشخصي: لا نستطيع أن نساعد الشبان على أن يحسنوا من تكيفهم الشخصي، إلا إذا كُنّا نعرف علامات التكيف.

٥- فَعَلْ دورك في مشكلات المراهق: كثيراً ما يكون الآباء والمدرسون مسؤولين إلى حد ما عن اتجاهات الشباب غير السليمة نحو أنفسهم، إزاء مشكلاتهم، ولذلك ينبغي أن نسأل أنفسنا عمّا إذا كان أيّ تغيير في اتجاهاتنا يؤدي إلى تكيف أبنائنا على نحو أفضل.

٦- تذكر حدود قدرتك على مساعدتهم: ينبغي ألا نتوقع أن نُحدث تغييراً في شخصية المراهق بين يوم وليلة نظراً لأن المشكلات الشخصية معقّدة ومرتبطة بأساليب التربية الأولى وخبرات الطفولة المبكرة، وعلاقات المراهق بغيره، ولا ينبغي أيضاً أن نتوقع دائماً أن تحدث مجهوداتنا تحسينات كبيرة فمشكلات المراهق قد تكون من العقد التّعقد والشدّة، بحيث علينا أن نحصل على مساعدة له من غيرنا.

٧- استعن بالاختصاصيين: إذا ما ظهر أن جميع المحاولات التي تقوم بها لمساعدة المراهقين للتغلب على مشكلاتهم قد فشلت، فاتجه إلى الاختصاصيين واطلب مساعدتهم، وأحياناً تقوم المدرسة بدور المرشد النفسي أو الاختصاصي النفسي حيث يمكنها أن تساعد المراهق في التغلب على مشكلاته التي يواجهها، من خلال هؤلاء المرشدين والاختصاصيين وقد يكون في استطاعتك أن تولها إلى عيادة نفسية، أو مركز لتوجيه الأطفال، وإذا لم تجد حولك هذه التسهيلات، فإن بإمكان طبيب المدرسة أو الأسرة إحالتك إلى اختصاصي اجتماعي أو نفسي يستطيع مساعدتك.

### تكيف المراهقين لعالم الكبار:

إن معظم المراهقين يفكرون تفكيراً عملياً واقعياً في مستقبلهم، وفي السعي وراء العمل والزواج واحتلال المركز اللائق بهم كمواطنين، بحيث إن (٤٢%) من المراهقين يريدون أن يعرفوا شيئاً عن ميولهم الحقيقية، ولا يعتقد المراهقون أن النجاح أمر ميسور، كما أنهم لا يريدونه سهلاً هيناً، وهم يعتقدون أن أفضل الطرق للنجاح هو العمل الدائم، والتدريب الإضافي، إنهم

يريدون الأعمال التي تتطلب منهم إصدار القرارات وتحمل المسؤوليات والتي تتيح لهم الطمأنينة الناشئة عن الحصول على معاش تقاعدي، والتي تتيح لهم أيضاً الانضمام إلى الهيئات والمؤسسات الوظيفية وقد بينت الدراسات أن ما يقرب من (٥٠%) من طلبة المدارس الثانوية يودون الالتحاق بالمهن العليا والفنية والمهنية الراقية.

ونستطيع من الأعمال التي نشغل بها بعض الوقت والمقررات الدراسية المختلفة، أن نحصل على أول قيمة فيما يتعلق بقدرات الفرد وميوله في المهن المختلفة، ويجري عدد كبير من المدارس اختبارات القدرات والميول على التلاميذ لتساعدهم على تحديد مجالات العمل الأكثر ملاءمة لهم، ولكي لا نكون السبب في فشل الشبان بالعمل يجب أن نتأكد من أن أي نصيحة نقدمها للمراهق تقوم على أساس من الحقائق وليس على أساس الهوى الخاص، وربما يكون ذلك ذا فائدة للمراهقين، إلا أن خبراتنا إنما تتأثر بما عليه قدراتنا وميولنا من تنظيم خاص بنا، وكذلك يجب أن تقوم نصائحنا لهم على أساس من الحقائق، وليس على أساس عواطفنا الشخصية، وإذا أردنا لأبنائنا حياة سعيدة ناجحة فعلياً أن نفعل كل ما في وسعنا لإقامة مثل أعلى أمامهم.

### التربية الوطنية:

لا يهتم الشبان بمشكلاتهم الشخصية والمهنية ومشكلات الزواج في المستقبل فحسب، ولكنهم يشعرون أيضاً بالمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يرثونها عندما يصلون إلى الرجولة أو الأنوثة الكاملة، وهم يودون أن يعرفوا ما يفعلونه إزاء هذه المشكلات.

ولا يشعر المراهقون الكبار بأنهم أقدر على التحدث في هذه الموضوعات فقط، بل إن ما يذكرونه يتفق إلى حد كبير مع ما يراه مختصون في العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بهذه الموضوعات نفسها، وقد كانت آراء هؤلاء



المختصين في بعض الموضوعات التي تتعارض فيها وجهات النظر وكذلك آراء طلبة المدارس الثانوية في هذه الموضوعات أيضاً متفقة، أنهم يفكرون كما نفكر، وفي الوقت الذي يزداد فيه المراهقون نضجاً، نجدهم يزدادون معرفة، ويزداد تفكيرهم وينضج فيما يتعلق بالمشكلات القومية أو الوطنية، ولكن مدى اشتراكهم في هذه المشكلات، ومعرفتهم بها واتخاذهم اتجاهاً حراً يتوقف إلى حد كبير علينا نحن آباءهم ومدرسيهم وقد أظهرت الدراسات تشابهاً باتجاهات المراهقين والكبار المحيطين بهم نحو هذه المشكلات. ومن ثم يتحدد نوع مستوى فهم المراهقين وممارستهم للحياة الوطنية والقومية في المستقبل بمستوى فهمنا وممارستنا للحياة الوطنية أو القومية.

ومع ذلك فإذا شئنا أن نرى أبنائنا يستقلون عننا في تفكيرهم، فإن علينا أن نبدأ هذا قبل أن يبلغوا سن الحادية والعشرين بمرحلة طويلة، ويعني ذلك أن من الضروري أن نعترف بحقهم في الأخذ بآراء تختلف عن آراءنا، كما أن ذلك يعني أيضاً أن نحاول إقناعهم بما لآرائنا من مميزات بأن نعرض أمامهم أدلة أقوى، وألاً نلجأ إلى أسلوب «أنك اصغر من أن تدرك ما نتحدث عنه».

### مشكلات المراهق الدينية:

خلال فترة المراهقة يبدأ شك المراهق في معتقداته الدينية، حيث إن (١٢%) من المراهقين يقولون إنهم أفكارهم في الجنة والنار تسبب لهم قلقاً، وينشأ معظم هذا الشك نتيجة لنبذ الرغبة في إعادة تقويم ما تعلمه المراهق أثناء طفولته، ويشعر كثير من الآباء أنفسهم أنهم يفشلون في تربية أبنائهم تربية دينية في مراحل الطفولة المبكرة، فشك الشباب دليل على أنه مستعد لأن يفكر لنفسه في مشكلات الحياة المعقدة والهامة، وقد تتسبب الشكوك الدينية في كثير من الاضطراب الداخلي للمراهق، وقد تتنابه الهواجس، وتتسبب لديه مشاعر الإثم، وقد يخشى أن يكتشف الناس ذنوبه، وخير الطرق لمساعدة

المراهق هو أن نشجعه على التحدث بحرية عن الصراع الداخلي الذي ينتابه حول ذلك، وأن نشجعه على طلب المساعدة من رجال الدين في توضيح أفكاره المتصارعة، والمناقشات الجماعية التي تضم زملاء المراهق الذين يمرون بالخبرات نفسها التي قد تساعد الشاب على أن يرى من يشاركه في هذه المشكلات ذاتها.

### التغلب على الصعوبات:

إن فهم مشكلات المراهقين ومساعدتهم على التغلب على هذه المشكلات مهمة كبيرة، فإننا نجد عقبات تحول دون فهم مشكلاتهم ومساعدتهم، وأولى هذه العقبات ما نراه من التزام المراهقين لجماعتهم ومقاومتهم لأي تدخل من الغرباء، ومن المحتمل أن يكون أساس المسألة هو انعدام ثقة كثير من المراهقين في قدراتنا أو في رغبتنا في فهمهم وإذا أردنا أن نحصل على ثقة الشبان فعلينا كما قلنا سابقاً أن نتقبلهم كشركاء كاملين لنا، سواء في الأسرة، أم في المدرسة، فإنهم سوف يحاولون بذل مجهود عظيم لكي يساعدونا على أن نفهمهم ونفهم مشكلاتهم.

وأخيراً: كثيراً ما تقف مشكلاتنا حائلاً أمام مساعدتنا للمراهق حتى يتغلب على مشكلاته، وإذا كنا نحن أنفسنا تعساء خائفين، فلن يكون في مقدورنا أن نساعد أبناءنا على أن يصبحوا سعداء أسوياء، والآباء والمدرسون أيضاً الذين يروون مشكلاتهم بأمانة، ويبدلون جهودهم للتغلب عليها، هم أكثر القادة أثراً في نفوس الشبان، ويجب أن نساعد أبناءنا، وأن نفهم أنفسنا فهماً واقعياً، فالشخصية كالجسم تقبل العدوى.

## سيكولوجيا المشاكل النفسية عند الطفل

توصلت العديد من الأبحاث والدراسات النفسية إلى أن الطفل معرض للمعاناة النفسية بصورها المختلفة تماماً مثل الكبار، فقد يعتبر النمو الانفعالي السليم مظهراً من التكيف والتوافق النفسي.

فالتكيف في معناه العام هو السلوك الذي يحاول به الفرد التغلب على الصعوبات أو العوائق التي تقف حيال تحقيق رغبة أو حاجة أو دافع، والتكيف هو الذي يخفض أو يزيل التوتر الناشئ عن الإحباط أو الصراع بطريقة إيجابية تعيد الاتزان أو التوافق بين الفرد وبيئته، ويحافظ على التوازن بين العمليات النفسية، وله مظاهر عدة منها القدرة على ضبط الانفعالات في حدود مقبولة بمعنى التعبير عنها تعبيراً غير متطرف، فكبتها قد يؤدي إلى التنفيس عنها بأنواع من السلوك غير السوي، وترك العنان لها قد يسيء إلى علاقات الفرد الاجتماعية، هذا مع العلم بأن بلادة الانفعال كالعصبية والهم والقلق تعتبر جميعاً مظاهر لعدم التكيف، كما يساعد الفرد على التكيف استغلال ذكائه في مواجهة المشاكل، والاعتراف بالواقع ومواجهته لا الهروب منه وعدم التمتع بعلاقات اجتماعية سليمة يتطلب من الفرد أن ينظر إلى المجتمع بروح ودئية وإلى الحياة بمنظار أبيض.

وجدير بالذكر أن أغلب المشاكل الانفعالية تنتج من الإحباط أو الصراع الذي يحدث نتيجة إعاقة حاجة أو رغبة للفرد، أي أن الإعاقة تسبب الإحباط الذي يؤدي إلى التوتر، وهذا يؤدي بدوره إلى الاستجابة التي ترمي إلى إعادة

التوافق والتكيف، وهذه السلة من العمليات كثيرة الحدوث في حياتنا اليومية، وتعتبر صمّام الأمن الذي يقي الفرد شر الانفعالات الضارة، أما إذا لم يستطع الفرد التغلب على الإحباط والصراع فكثيراً ما يلجأ إلى استجابات بديلة لحماية شخصيته وإرضاء دوافعه الانفعالية، أو محاولة تغيير الواقع حتى يصبح مقبولاً ومحتملاً، ومن هنا تظهر أنواع المشاكل والاضطرابات النفسية التي نلاحظها على الطفل في مراحل نموّه المختلفة، وهنا لا بدّ من الحديث بإيجاز عن بعض هذه المشاكل، حيث في مرحلة المهد تشكل العلاقة بين الطفل والديه مصدراً هاماً من مصادر الاضطرابات النفسية، حيث إن الوالدين هما مصدر إشباع حاجات الطفل ودوافعه، فمثلاً أثبتت الدراسات أن الحرمان العاطفي يؤدي في كثير من الأحيان إلى ظهور نزعات عدوانية عند الطفل، ولو أنها تظهر في أول الأمر في شكل وسائل دفاعية في حالات الغضب، هذه الحالة لا يمكن اعتبارها مشاكل سلوكية إلا إذا انفصلت عن حالة الغضب وظهرت دون أي سبب.

وعلى العموم فأغلب الاضطرابات تظهر في أعراض سيكوسوماتية (نفسية جسمية) تنتج عادة من سوء العلاقة بين الطفل وأمه، أو ضعف هذه العلاقة، وفي الطفولة عامة، تدل أغلب الأبحاث في موضوع الطفل المشكل أن لسوء العلاقة الوالدية أثراً هاماً، وهذا لا يعني الشدّة والقسوة في المعاملة أو رفض الطفل فقط، بل إن زيادة الحماية والتدليل المفرط كثيراً ما تؤدي إلى اضطرابات في السلوك وبخاصة في الطفولة المتأخرة، هذا وتجب الإشارة إلى أن نسبة ضئيلة من الاضطرابات النفسية ترجع إلى عوامل جسمية ناتجة عن مرض، أو إصابات في الدماغ بشرط أن تكون الحالة حادة و شديدة، ومن هنا يمكن تلخيص المشاكل النفسية في الطفولة فيما يأتي:

## ١ - الاضطرابات السلوكية:

ويقصد بها مجموعة من المظاهر غير العادية التي قد تظهر في اضطرابات أخرى كالذهان أو الحالات السيكوسوماتية، إلا أنها تعتبر ثانوية

في هذه الحالات، ويظهر هذا الاضطراب في سن مبكرة ويأخذ مظهر العدوانية وعدم الطاعة في البيت أو في المدرسة، وهذا السلوك له عدة أوجه وتتمثل في اضطراب واختلال العادات، أو الحالات العصبية، وقد تتجمع هذه الأنواع في طفل واحد، ولكن عادة يغلب أحدها على سائرها إلى درجة تجعلنا نستطيع تقسيم الأطفال الذين يعانون اضطراباً نفسياً حسب تغلب ووضوح نوع من هذه الأنواع لديه.

واضطراب العادات هو عبارة عن مشاكل سلوكية تنتج من اضطراب في القيام بالوظائف البيولوجية الهامة مثل مشاكل الأكل والإخراج والنوم، ويحدث ذلك في مرحلة المهد، ولكنها قد تستمر إلى ما بعد تلك المرحلة، وفي هذه الحالة يحدث لها تثبيت، أو قد تعود بعد اختفائها بمدة أي لها نكوص، وقد يكون استمرارها أو ظهورها ثانية في شكل مختلف عما كانت عليه في المهد، ومن أمثلة اضطراب العادات الغذائية التي قد تستمر مع الطفل مص الأصابع، أو قضم الأظافر، أو القيء، ومن أمثلة المشاكل الخاصة بالإخراج: التبول اللاإرادي و الإمساك المزمن أو الإسهال... إلخ. ومن أمثلة المشاكل التي تتعلق بالنوم عدم النوم بسرعة والأحلام المزعجة، وكذلك في الطفولة المبكرة تظهر مشاكل تتصل بعادات الأكل و الإخراج وهي عيوب النطق «التلعثم»، أما في الطفولة المتأخرة فتتخذ معظم المشكلات نمطاً عدوانياً تجاه المجتمع، وقد أسلفنا بالحديث عن المشكلات السلوكية في الطفولة عند التطرق للاضطرابات الانفعالية، وهنا لا بدّ من الكلام عن المشاكل الشائعة والتي كثيراً ما تثير قلق الوالدين.

**أولاً- التبول اللاإرادي:** وهو من أكثر المشكلات السلوكية شيوعاً وهو أكثر انتشاراً بين الذكور عنه بين الإناث، وهو لا يعتبر مشكلة سلوكية قبل سن (الثالثة أو الرابعة)، والتبول اللاإرادي يحدث عادة ليلاً، وقد يحدث نهاراً أيضاً ويكون ذلك عادة في السن المبكر، وقد يحدث في السن المبكر في أثناء النوم العميق، أما إذا استمر إلى فترة المراهقة أو بعدها فلا يشترط لحدوثه

النوم العميق، وكثيراً ما يصاحب في هذه السن بأحلام عن التبول يستيقظ بعدها الفرد ليجد فراشه مبتلاً، وهذا النوع من الأحلام يتضمن عنصراً جنسياً، والتبول اللاإرادي يختفي تدريجياً مع العمر، فهو لا يوجد بعد سن الثلاثين، هذا باستثناء حالات المرض العضوي.

ويرجع التبول اللاإرادي في جملته إلى أسباب نفسية، باستثناء حالات قليلة سببها مرض عضوي، وهذه تنتهي بالعلاج الطبي، وتشير الدراسات في هذا الموضوع إلى أن الذين يعانون من هذه المشكلة يتصفون بعدم النضج الانفعالي وبالاضطراب الانفعالي، وتختلف أسبابها عند الكبار عنها عند الأطفال، ففي الكبار كثيراً ما تكون مصاحبة لحالات عصابية، مثلاً وجد أن (٦٢%) ممن لديهم تجوال نومي يعانون من التبول اللاإرادي، وأن (٢٧%) من حالات التبول اللاإرادي لديهم تجوال نومي وظهور التبول اللاإرادي بين العصائيين يكون عادة بشكل حاد ثم يتوقف، أما الحالات المزمنة منه فإنها ترتبط بالسيكوباتية.

وتظهر حالات التبول اللاإرادي بين الصغار ممن يعانون من عدم النضج الانفعالي والاستقرار النفسي، وتوجد لديهم انحرافات سلوكية، وتلخيص أسباب التبول اللاإرادي في أنه:

- ١- تعبير غير مباشر عن القلق.
  - ٢- محاولة جذب اهتمام الوالدين، وبخاصة حين يأتي مولود جديد ويصبح مركز اهتمام الأسرة.
  - ٣- تعبير عن عداة لا شعوري للوالدين، ووسيلة انتقامية منهما.
  - ٤- عرض لعدم النضج والاضطراب الانفعالي.
  - ٥- تعلم خاطئ لعمليات الإخراج .
- وعلى العموم فإن لسوء العلاقات الأسرية، والانهيال العاطفي في الأسرة واتجاه الوالدين نحو الطفل أثراً كبيراً في تنمية هذه المشكلة.

ومشكلة التبول اللاإرادي مشكلة طبيعية في مرحلة الطفولة المبكرة ويسهل التغلب عليها إذا بدأ العلاج مبكراً، ويستخدم في العلاج عدّة طرق منها: العلاج النفسي، والتدريب، والعلاج الطبي، ولا يغيب عن الذهن أن العلاج النفسي هام في نجاح أي علاج آخر، و يعتمد العلاج النفسي على تشخيص المشكلة ومعرفة أسبابها، والتغلب على هذه الأسباب بإحدى طرق العلاج النفسي المناسبة لسن الطفل ولنوع العوامل المسببة لها، وكذلك توجيه الأسرة نحو تغيير البيئة النفسية للطفل، حتى يتحرر من الضغط النفسي الذي أدى إلى المشكلة.

أما عن استخدام التدريب في علاج مشكلة التبول اللاإرادي فقد اعتمد في أول الأمر على مبدأ العقاب الشديد، ومنع الطفل من تناول أية وسيلة لبضع ساعات قبل النوم، وقد اعترض على هذا النوع من التدريب استناداً إلى عدم صلاحية العقاب كوسيلة علاجية بجانب أضراره النفسية.

هذا ومن جهة أخرى فقد ظهر من عدّة تجارب أن إكثار الطفل من تناول السوائل نهاراً يزيد من قدرته على التحكم في عملية التبول مما ينتقل أثره إلى فترة الليل.

وبالفعل ثبت نجاح هذه الطريقة حينما استخدمت في علاج التبول اللاإرادي، وقد حاول البعض استخدام الصدمات الكهربائية بدلاً من العقاب، فكان يعرض الطفل بعد التبول اللاإرادي لصدمة كهربائية حتى يتعلم التخلي عن هذه العادة عن طريق الربط الشرطي، وفعلاً أفادت هذه الطريقة أيضاً في حالات كثيرة من حيث التغلب على هذه المشكلة و لكنها أدت - مع الحالات التي تعاني من اضطرابات انفعالية - إلى ظهور مشكلات سلوكية أخرى، وبناء عليه استبدلت الصدمات الكهربائية باستخدام «مرتبة كهربائية» مصنعة بطريقة خاصة تؤدي إلى ضرب جرس عند بدء التبول، وبهذا يستيقظ الطفل، وهذه الطريقة تعتمد أيضاً على فكرة التعلم الشرطي، وتنال قبولاً من الكثيرين

لنجاحها - أكثر من أية طريقة أخرى - في التخلص من مشكلة التبول اللاإرادي، ويلجأ بعض المعالجين - بالإضافة إلى ما ذكر - إلى الاستعانة بالأدوية وبخاصة المنبهات، ولو أن تأثيرها أقل من الطرق السابقة، مما يشير إلى أهمية متابعة الحالة مدة زمنية كافية كخطوة تكميلية لعملية العلاج.

**ثانياً- التلعثم:** ويتمثل التلعثم في عثرات تحدث للمتكلم فتعيق سلاسة الحديث، وكثيراً ما يصاحب التلعثم بحركات جسمية عصبية وتعبيرات وجه تشير إلى معاناة الفرد من حالة توتر، وتزيد حالة التلعثم إذا تحدّث أمام غرباء، أو مع من يشعر أمامه بالنقص، أو لأفراد ذوي أهمية خاصة، ويقل التلعثم إذا تحدّث الفرد لأشخاص يشعر بالتفوق عليهم، أو إذا كان منفرداً أثناء القراءة مثلاً...إلخ.

وقد دلت الأبحاث أن التلعثم أكثر حدوثاً بين الذكور عنه بين الإناث، وأكثر انتشاراً في المستويات الاجتماعية والاقتصادية المتوسطة والمرتفعة، وتشير الإحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية أن (١%) من الأفراد هناك يعانون من التلعثم.

وتوجد ثلاثة اتجاهات في تفسير أسباب التلعثم، فأصحاب الاتجاه الأول يفسرون أسبابه على أساس استعداد وراثي يجعل صاحبه معرضاً للإصابة به إذا واجه مواقف تأزم نفسي حادة، فمثلاً وجد «جونسون» عند مقارنة أطفال يتلعثمون بأطفال عاديين أن نسبة ظهور التلعثم في أسر المجموعة الأولى (غالباً كان الأب) إلى نسبتها في أسر الأطفال العاديين (٩-١) أما أصحاب الاتجاه الثاني فيرجعون التلعثم إلى أسباب نيروولوجية وإصابات المخ نتيجة الولادة العسرة أو الأمراض التي تصيب الجهاز العصبي، ذلك أن مثل هذه الأسباب تعوّق تآزر الوظائف الحركية للحديث ويستدلون على ذلك بأن بعضاً من حالات التلعثم سبقتها حالات مرضية متصلة بالأعصاب.

ويرجع أصحاب الاتجاه الثالث أسباب التلعثم إلى عوامل نفسية ولو أن وجهات النظر قد اختلفت في تفسير هذه العوامل، فيرى علماء التحليل النفسي



أن الطاقة اللبديية عند المرحلة الفمّية تؤدي إلى ظهور التلعثم كوسيلة لإشباع الحاجة إلى إطالة الطفولة، حيث إنها مظهر من مظاهر الكلام الطفلي، ويرجعها آخرون إلى صراع الإقبال والإحجام نتيجة الخوف من التحدث، وفي الوقت نفسه اعتباره ضرورة اجتماعية، وفي هذه الحالة يسير الفرد في حلقة مفرغة، فالخوف يؤدي إلى التلعثم وهذا بدوره يقلل الخوف ويخفض التوتر الناشئ عنه، وخفض التوتر هذا يؤدي إلى زيادة التلعثم كسلوك وظيفي للتخلص من الخوف.

أما الرأي الغالب فيرجع إلى خبرات الطفولة الأولى، وذلك أثناء تدريب الطفل على الكلام، ويُفَرَّق هذا الرأي بين التلعثم الأوّلي والتلعثم الثانوي، فالتلعثم الأوّلي أي ما يحدث عند بدء الطفل بالكلام أمر طبيعي يزول بتقدم الطفل في العمر، أما إذا اهتم الوالدان أثناء تعليم الطفل الكلام بتصحيحه باستمرار عند كل خطأ يصدر منه، يتحول التلعثم إلى تلعثم ثانوي ويصبح مشكلة سلوكية وتزداد الحالة سوءاً إذا استعمل الوالدان العقاب والشدة أثناء التدريب لأن ذلك يُنمّي عند الطفل الشعور بالعجز والخوف من الكلام، ويلاحظ أن هذا الرأي لا يتعارض مع سابقه وإنما يفسر أسباب صراع الإقبال والإحجام الذي يتعرض له الطفل، هذا إلى جانب أن الضغط النفسي يؤدي إلى ظهور التلعثم كسلوك دفاعي، وقد لوحظ أن كثيراً ممن يعانون من التلعثم، يعانون أيضاً من القلق والشعور بالنقص في المواقف الاجتماعية، وهو أمر متوقع حيث إنه مشكلة تعيق تكيف الاجتماعي.

وتُعالج مشكلة التلعثم عامة بأحد أمرين: أولهما العلاج، وهناك متخصصون في علاج النطق، وفي بعض الأماكن توجد عيادات خاصة بذلك، كما يُستعان أيضاً بإعطاء المهدئات التي تقلل من التوتر، وبالتالي تساعد الفرد على التغلب على التلعثم في المواقف الاجتماعية، وثانيهما تغيير البيئة حتى تصبح مقبولة ومحتملة، ويقصد بتغيير البيئة إزالة كل ما من شأنه أن يعرض الفرد للضغط النفسي أو لحالات انفعالية شديدة، وكذلك مساعدته عبر القيام بأنشطة وأعمال تشعره بالقدرة والكفاية وتقلل من القلق والشعور بالعجز.

ثالثاً- الاكتئاب النفسي: والطفل معرض أيضاً للاكتئاب الذي يمكن أن يكون سبباً لكثير من المشكلات السلوكية لدى الأطفال مثل التبول في الفراش ونوبات الغضب والهرب من المدرسة والشعور بالإرهاق والفشل المرسي والانحراف والنشاط الزائد والمشكلات الجسمية النفسية، فالانحراف كثيراً ما يظهر كوسيلة لتغطية الشعور بالوحدة واليأس، لكن أعراض هذا الاكتئاب تختلف عن الأعراض التي تصيب الكبار فليس ثمة محاولات انتحارية أو اضطراب في النوم، وقد يُعبّر الطفل عن كآبته بالصراخ أو العويل. وغالباً ما يشعر الأطفال بالقنوط والعجز بسبب اعتمادهم على الكبار والأطفال المكتئبون نادراً ما يُظهرون الفرح والسرور وغالباً ما يتحدثون بصوت رتيب خافت وتعوزهم روح الفكاهة، ونادراً ما يضحكون، وقد تظهر لديهم أنماط من التآرجح المزاجي واضطرابات في النوم، وقد يكونون سريعى البكاء متهيجين بأسيين متشبتين بالدعم الخارجي، وبعضهم يبدو لا مبالياً ومنعزلاً، بينما يبدو البعض الآخر في حالة قلق زائد، وبدلاً من الشكوى من الحزن قد يُظهر الأطفال شكاوي جسمية مثل الصداع وآلام المعدة، وقد لا يشعرون بالرغبة في عمل أي شيء، ويفقدون الاهتمام بالرياضة أو اللعب، ويأخذ عملهم المدرسي بالتدهور بشكل مفاجئ وقد يكون من الصعب إثارة اهتمامهم لأي شيء، وقد يشعرون بالنبذ وبأنهم غير محبوبين ولا يكون من السهل تنظيمهم، وغالباً ما يفضلون الأنشطة الذاتية القائمة على العزلة، على التفاعل مع الآخرين، وهم يبدون للآخرين وكأنهم جديرون جداً، وقورون، وأكبر من عمرهم، كما أنهم يقللون من قيمة أنفسهم وينظرون لأنفسهم وللعالم بمنظار أسود.

رابعاً- زهان الطفل: إن حالات الزهان بين الأطفال المشكلين نادرة وبخاصة إذا قيست بالذهانيين من الكبار، ويرى «انجلش وبيرسن» أنه إذا كان الخوف المرضي يعتبر مظهراً عادياً من المظاهر العصابية في مرحلة الطفولة المتأخرة، فإن الثورات الغضبية تعتبر مظهراً عادياً من المظاهر الذهانية في هذه المرحلة، لأنه إذا كان الزهان هو اضطراب حاد يفقد الشخص

صلته بالعالم، فإن الطفل في هذه الثورات لا يكاد يسمع ما يُقَى إليه من أوامر، أو يُدرك نتيجة ما يقوم به من صراخ وحركات عصبية.

والواقع أن تفكك الشخصية واستمراره من أهم أسباب ظهور الأعراض الذهانية، وتذكر (سكلونا) بعض الصفات المشتركة بين هذا النوع من الأطفال منها:

١ - التخلخل في نظام النمو أي عدم اتباعه النموذج العام، فقد يبدأ الطفل الكلام و فجأة يتحول إلى أكم .

٢ - اضطراب في العلاقات الشخصية الأساسية، مثل ما يحدث في حالات مشاكل التغذية والفظام وغيرها.

٣ - عدم الكفاية والقدرة، وتظهر في صعوبات النطق والكلام، الاختلال في التفكير، الانغماس الشديد في هواية معينة، عدم القدرة على الإحباط وزيادة الحساسية، كما قد يستجيب الطفل للإحباط بالغضب الشديد والانسحاب، والانغماس في أحلام اليقظة، عدم القدرة على التعلم.

ويمكن التغلب على هذه الاضطرابات إذا اكتشفت وشُخصت تشخيصاً صحيحاً وعولجت علاجاً نفسياً، ويقوم العلاج على أساس العلاقة المتبادلة بين المعالج والمريض، ويتوقف نجاح العلاج على نوع هذه العلاقة وعلى خفض التوتر الانفعالي أو إزالته، وهذا يتطلب تشخيصاً سليماً للحالة ومعرفة أسبابها، ومن أهم وسائله اللعب، لأن الأطفال باللعب يعبرون عما في أنفسهم بطريقة صريحة لا تتوفر في حالة الكلام كما هو الحال في الكبار، وكذلك بالرسم وقص القصص والسيكودراما... إلخ.

كما يمكن أن يكون العلاج غير مباشر، ويقوم على تغيير البيئة وذلك بوضع الطفل في أسرة بديلة أو في مؤسسة... إلخ، أو تعديل البيئة وذلك بإتاحة فرصة أكبر للطفل لأن يمارس خبرات اجتماعية، وذلك باشتراكه في الأندية أو المعسكرات، أو وضعه في فصول خاصة بالمدرسة كما يتطلب تعديل البيئة تغيير اتجاه معاملة الوالدين للطفل.

## ٢ - اضطرابات زيادة الحركة:

يتميز الاضطراب الشائع بقصر مدى امتداد الذكاء وسهولة تنشئته، ومن أبرز مظاهره نقص الذكاء والاندفاع والتهور والتخريب والعدوان، ويشكل هذا الاضطراب إعاقة كبيرة للطفل عند سن الدخول إلى المدرسة، كما أنه يسبب مشاكل أُسْرِيَّة جَمَّة. إننا في تعاملنا مع الطفل يجب ألا ننظر إليه كما ننظر إلى البالغ وخبراته وتجاربه السابقة ونتوقع منه السلوك الذي يرضي توقعاتنا وطموحنا ونعاقبه إنْ حَادَ عن هذا السلوك دون أن نحاول معرفة الأسباب التي أدت إليه كما يجب أن نعرف أن التدليل الكثير والحماية المفرطة التي يمارسها الأبوان كثيراً ما تؤدي إلى خلل في تكوين شخصية الطفل، فيتميز بالاتكالية والتبعية وتأخر النضج الانفعالي وإعاقة الاستقلالية. وما يقال عن البيئة الأُسْرِيَّة يقال أيضاً عن البيئة المدرسية، إذ ينبغي ألا يُعَامَلُ الطفل كحاسب آلي نغذيه بآلاف المعلومات التي قد يستفيد من بعضها ولا يستفيد من أكثرها، نرهقه بواجبات ومقررات مدرسية تهد كاهله، نضع له امتحانات عسيرة لا تقيس قدراته العقلية والاستيعابية، نعاقبه أمام أقرانه ونسخر منه إذا أخطأ، إن الشخصية في الطفولة تنمو وتزدهر في جو عائلي ومدرسي، يتقبل فيه الطفل كما هو ويمنح فيه من الحب والتشجيع ما يمكنه من تنمية استقلاليته في أسرع ما يمكن أن يسمح به نمو وتطور ثقته بنفسه.

**وخلاصة القول:** إن أسس النمو الانفعالي تبدأ من وقت مبكر نتيجة للتفاعل بين الطفل وبيئته، فهو في أول حياته يعتمد في إشباع حاجاته الأولية على الآخرين وبخاصة الأم، ومن خلال هذه العلاقة يبدأ في ممارسة الشعور بالارتياح أو الألم، وعندما يستطيع الطفل التمييز بين نفسه وبين عناصر البيئة من أفراد وأشياء يرى فيهم مصدر الإشباع أو الحرمان فينمو عنده تدريجياً الشعور بالاطمئنان نتيجة لتعدد خبرات الارتياح لإشباع حاجاته، ويزيد من هذا الشعور قدرته على التحكم في بعض الأشياء من حوله أثناء

لعبه بها، ويعتبر الشعور بالاطمئنان لدى الطفل الأساس الأول في نموه الانفعالي السليم، وقد ظهر من الدراسات العديدة أن عدم الشعور بالاطمئنان في السنوات الأولى من عمر الطفل يؤدي إلى اضطراب شخصيته وتعرضه للكثير من المشاكل الانفعالية، ويرجع عدم الشعور بالاطمئنان إلى إهمال الطفل أو حرمانه العاطفي، وبخاصة في النصف الثاني من السنة الأولى، وليس معنى ذلك أن الشعور بالاطمئنان ينمو من خلال حاجات الطفل فحسب، بل أيضاً يتوقف على مشاعر الأم واتجاهها نحو إشباع هذه الحاجات.

وهنا قد نتساءل، هل تسيء خبرات الإحباط - التي يعانيتها الطفل نتيجة عدم إشباع حاجاته أو فشله في تحقيق رغباته - إلى نموه الانفعالي؟ وتتخلص الإجابة على ذلك في أن خبرات الإحباط هامة لنمو «ذات الطفل» وتقديره لهذه الذات، وبالتالي إلى زيادة الشعور بالاطمئنان بشرط أن تكون هذه الخبرات في مستوى احتمالها، فمما لا شك فيه أن زيادة خبرات الإحباط عما يتحملة الطفل أو شدتها، قد يؤدي إلى إصابات انفعالية، وتعرض الطفل لخبرات الإحباط يُنمّي عنده القدرة على تحملها، وهذه القدرة هامة في اتزانه العاطفي.

ونمو الشعور بالاطمئنان عند الطفل يُنمّي عنده القدرة على الاعتماد على نفسه، ويساعده في ذلك نموه العضلي والحركي الذي يؤهله لممارسة بعض الخبرات الاستقلالية، ومن هنا يبدأ في ممارسة الشعور بالنجاح أو بالفشل، وما يتبع ذلك من انفعالات سارة وغير سارة، وبقدر التوازن بين خبرات النجاح والفشل، تنمو ثقته بنفسه، ويزداد تقديره لذاته، وهكذا يبدأ الطفل مرحلة الطفولة المتأخرة وقد تكونت أسس نموه الانفعالي، من حيث الشعور بالاطمئنان، وثقته بنفسه وبالأخرين، وقدرته على تحمل الإحباط، ويستطيع التحكم في استجاباته الانفعالية، ويتوقف ذلك كله على نوع المعاملة التي يتلقاها في بيئته الاجتماعية، ونوع الخبرات التي يتعرض لها، ودرجة نضجه العقلي.

ويقع على الأسرة العبء الأكبر في توفير الظروف الملائمة للنمو الانفعالي السليم حيث إنها البيئة الأولى التي تتكون فيها أسس هذا النمو، فعلى الوالدين توفير الجو الأسري المستقر انفعالياً، والذي يوفر للطفل الإشباع العاطفي والبعد عن القلق والتوتر، ويكون ذلك عن طريق تقبل الطفل وإحاطته بالعطف والحنان دون مبالغة، ومساعدته على بناء الثقة بنفسه والتغلب على مخاوفه، كما يجب على الوالدين إتاحة الفرص للطفل ليمارس النجاح والفشل وتحمل المسؤوليات، حتى يتعلم كيف يواجه الحياة دون قلق أو اضطراب، وتُنمّي عنده القدرة على تحقيق ذاته ومعرفة حدود إمكانياته، وذلك من خلال المعاملة المتزنة الخالية من التذليل والبعيدة عن القسوة والعنف.

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة تلعب دوراً لا يمكن إغفاله في النمو الانفعالي لتلاميذها، حيث إنها تتضمن مجالاً اجتماعياً أوسع مما هو عليه في الأسرة، وعليها أن تهيب كل الوسائل الممكنة لجو انفعالي سليم لتلاميذها، ويمكن ذلك عن طريق تحقيق المساواة في المعاملة بينهم، فلا تلجأ مثلاً إلى التفريق بين الأذكياء منهم والأغبياء بتقسيمهم إلى مجموعات - كما تفعل بعض المدارس - اعتقاداً بأن ذلك يتفق مع المبادئ التربوية الحديثة، وقد ظهر أن تقسيم التلاميذ إلى مجموعات تبعاً للعمر العقلي له أثره السيئ في النمو الانفعالي لما يسببه من إهدار لشعور الطفل الغبي، أو من غرور للذكي.

كما يجب أن يكون الجو المدرسي خالياً من العنف أو القسوة حتى يساعد التلميذ على التغلب على مخاوفه التي كثيراً ما يثيرها العمل المدرسي، فقط لوحظ أن كثيراً من التلاميذ يخافون من المدرسين والامتحانات، كما أن بعضهم يخشى الإجابة في الصف، والخوف من المدرسين يتوقف على الصفات التي يتمييز بها المدرس مصدر الخوف، وأكثر الأشياء لهذا النوع من الخوف هو التهكم، فالتهكم سلاح خطير يستعمله المدرس وهو في

مركز السلطة على التلميذ، فيضعف من شخصيته ويشعره بالمهانة، كما يجعله يتجنب الإجابة والقراءة وغيرها من أنواع النشاط داخل الصف وكذلك يخشى العقاب.

أما الخوف من الامتحانات فهو نتيجة حتمية لطريقة إجراء الامتحانات التعسفية، فالامتحانات لا ترمي ولم تكن ترمي في أي وقت إلى إثارة الخوف، ولكن طريقة حفظ النظام وإقامة اللجان، وكثرة المراقبين وأخذ الاحتياطات المشددة ضد الغش هو الذي يخلق الخوف، هذا بجانب الخوف من فكرة الرسوب، أما الخوف من الإجابة والقراءة في الصف فسببه أن التلميذ في أول المراهقة يبدأ صوته في التغيير، فنجده يخشى التحدث أمام المجموعة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نموه المفاجئ وما يعتريه من تغيرات في الحجم والطول وما يتبع ذلك من عدم التوافق الحركي، يثير عنده الخوف من المواقف التي تجعله موضع الأنظار من زملاءه.

ويمكن اعتبار هذه المظاهر جميعاً من المشاكل العادية في مرحلة الطفولة المتأخرة، أما في بداية المراهقة قد يظهر على الطفل أعراض عصابية أخرى مثل القلق الهستيرى، أو توهم المرض، أو الأفكار والأفعال القهرية ويرى «أكرمان» أن جميع اضطرابات السلوك الأولية تحدث كرد فعل لما يعانيه الطفل في بيئته وبخاصة حرمانه من والديه أو عدائهما له، فيلجأ إلى أنواع من السلوك تتلخص في محاولة التغلب على بيئته وإرغامها على إشباع حاجاته الأولية، ويتمثل ذلك في السلوك العدوانى أو السيكوباتى، وقد يلجأ الطفل للانسحاب من البيئة، ويتمثل ذلك في الانطواء على النفس أو ممارسة العادات السيئة، ومحاولة الطفل خفض التوتر الداخلى عن طريق بعض العادات مثل مص الأصابع وبدل على وجود عوائق انفعالية في صلته مع والديه، كما قد يستجيب الطفل للصراع بينه وبين بيئته بالقلق الزائد أو تحويل هذا الصراع إلى صراع داخلى يظهر في أعراض مَرَضِيَّة مثل الحالات العصابية أو الأعراض السيكوباتية.





## سيكولوجيا تكوين المختلفين

الصفات والخصائص موزعة لدى أي جماعة بشرية توزيعاً يجعل بعض الأفراد يختلفون اختلافاً بيئياً عن النموذج العام في الشخصية أو في السلوك فإذا كان اختلاف الفرد عن النموذج العام الواسطي اختلافاً بسيطاً لم يؤدِّ هذا الاختلاف إلى مشكلة خاصة، والأفراد الذين على هذا الغرار يتكيفون للحياة دون صعوبة كبيرة، أما إذا كان اختلاف الفرد عن النموذج العام الواسطي اختلافاً كبيراً فإنه يعتبر منحرفاً سواءً أكان انحرافه جسماً أم أخلاقياً أم انفعالياً أم عقلياً، ويصبح عندئذٍ مشكلة من مشاكل مجتمعه الخاصة.

إن توزيع الصفات لحسن الحظ يتخذ شكل التوزيع الطبيعي أي يكون عدد المنحرفين عن المتوسط قليلاً، ولكنهم يتطلبون انتباهاً واهتماماً خاصاً من المربين والأطباء وعلماء النفس «والمرشدين الاجتماعيين».

إن لهؤلاء الأشخاص الشواذ الحق، في المجتمع المتحضر، في أن يفهموا فهمًا جيداً، ويحترموا الاحترام الذي يستحقونه كأشخاص، ويُرشدوا ويُعلموا الإرشاد والتعليم اللذين يؤهلانهم للحياة النافعة بقدر الإمكان، إن مسؤولية تأمين هذا الحق لهؤلاء الأفراد تقع على عاتق الجماعة التي يعيشون بين ظهرانيها، أو الدولة التي يعيشون في ظلها، والأمة التي ينتمون إليها وهي ليست بالمسؤولية السهلة، لأنها تتطلب قسطاً كبيراً من التعاون بين البيت والمدرسة والمؤسسات الخاصة والعيادات الطبية والعمال المختصين المُدرِّبين تدريباً حسناً.

وليس يجب على الأشخاص الآخرين وحدهم أن يساعدوا المنحرفين بل يجب على المنحرفين أنفسهم أيضاً أن يساعدوا أنفسهم ضمن حدود قابلياتهم يجب على المنحرف بقدر ما يؤهله ذكاؤه ونضجه، أن يفهم طبيعة الصفات التي تميزه عن الآخرين ومداهما، يجب عليه أن يستعد نفسانياً للاستفادة من الفرص التي تقدمها له البيئة بغية مساعدته للوصول إلى تكيف أفضل، يجب أن يتعلم كيف يواجه بصورة بناءة المشاكل الخاصة الناشئة عن انحرافه.

وهنا نسلط الضوء على المنحرفين المصابين بعوائق جسمية، وعلى الأطفال ذوي السلوك المشكل الناشئ عن التكيف الاجتماعي والانفعالي السيئ.

### المقعدون:

مشاكل المقعد كثيرة، وليس أقلها شأناً ميوله التي ينميها بنتيجة نقصه الجسمي، إن عاهته تجعل من المستحيل عليه أن يشارك في بعض الفعاليات التي ترضيه من الناحيتين الانفعالية والاجتماعية، بينما تكون دوافعه ومطامحه وحاجات شخصه في نفس قوة دوافع الأشخاص العاديين ومطامحهم وحاجاتهم، وقد يكون ذا قابلية عقلية متوسطة أو عالية وعندما يتقدم نحو المراهقة تشدد مصاعبه لأن حالة عدم الاستقرار التي تمتاز بها المراهقة بصورة طبيعية، تزداد لديه ما دام محروماً من كثير من الفعاليات، فتراه يستجيب لهذه الحالة استجابة سلبية وبأنواع أخرى من السلوك الاجتماعي.

يستطيع الوالدان الذكيان أن يساعدوا كثيراً طفلهما المقعد في سبيل إنماء روح من التفاؤل والثقة بالنفس لديه، والنظر إلى نفسه وإلى الآخرين نظرة سليمة، ولكنهما يحتاجان إلى العون من أجل تزويد طفلهما بالفرص التعليمية المناسبة، وبالتدريب الخاص الذي يمكنه من مزاوله مهنة من المهن الملائمة له، وهذا يقتضي تدريبه في مدارس خاصة إذا استطاع أن يغادر البيت، أو تعليمه تعليماً خاصاً في البيت إذا لم يستطع مغادرته.

إن الحكومات والهيئات الخاصة أخذت توحد جهودها في أكثر الأقطار كخطوة نحو القيام بهذه المسؤوليات المترتبة عليها إزاء الأشخاص المصابين بعاهات جسمية، ولكن هذا العمل لا يسير في أي بلد كما ينبغي، لأنه يقتضي بذل أموال طائلة لتشييد البنايات تشييداً خاصاً ولإعداد عدد آخر من المعلمين الذين يتميزون عن المعلمين الحاليين كفاءة ومعرفة.

### العميان وذوو العمى الجزئي:

يعاني العميان وشبه العميان مشاكل كثيرة ناشئة عن تكيفهم لعاهاتهم التي تؤدي إلى تضيق خبراتهم، وإذا لم يعاملوا من قبل الأشخاص الذين يحيطون بهم معاملة تتطوي على العناية والاهتمام فإنهم قد يشعرون بأنهم غير مرغوب فيهم، وفي هذه الحالة يلجؤون إلى الذلة والانطواء، لذلك يكونون بحاجة إلى مساعدة عظيمة نفسية ومهنية، ولحسن الحظ أخذت كثير من جمعيات الإحسان وهيئات الخدمة الاجتماعية تهتم بمساعدة العميان وشبه العميان، وقطعت خطوات ممتازة في هذا السبيل، فأعدت لهم الكتب المدرسية وغيرها بحروف «بريل» وفتحت لهم صفوفاً خاصة، وصار المدرسون يتخصصون ويتدربون لتعليم هؤلاء القاصرين.

يهدف منهاج تربية هذه الفئة إلى قيمهم الأخلاقية والاجتماعية والعاطفية بالإضافة إلى المهارات المفيدة، وتعتبر الموسيقى من أكثر الفعاليات التي يستمتع بها العميان، وربما كانت تنمية الاعتماد على النفس والرضا الناشئ عن إنجاز أحد الأعمال أهم من الشعور بأنهم قد اكتسبوا مهارات مهنية من النوع الراقى، يضاف إلى ذلك أنهم بحاجة إلى الشعور بالألفة وبأنهم يقدمون للمجتمع خدمات قيمة ونحن نجد لدى كثير من العميان الذين نعرفهم والذين يمتازون بالمرح وغنى النفس والذين يعتبرون أعضاء فعالين في أسرهم وجماعاتهم، أقول نحن نجد لدى هؤلاء الدليل على أن العميان يستطيعون تحقيق هذا التكيف الجيد.

## الصم والمصابون بالصمم الجزئي:

ربما كان الأطفال الذين يصابون بعاهاات سمعية أقل حظاً في بعض الأحيان، من جميع المصابين بقصور جسمي من حيث الاستمتاع بالفرص الملائمة للتكيف الحسن، إن قصورهم يبقى مدة طويلة خافياً من دون أن ينكشف، فلا يلقون ما يحتاجونه من التفهم الرحيم لحالتهم، ولا بدّ أن تعترضهم بسبب فقدهم القدرة على السمع مشاكل أخرى، كعاهة النطق والقراءة الرديئة، والعادات الاجتماعية غير المستحبة ولكيلا يصبح الطلاب الصم والمصابون بصمم جزئي فئة منعزلة عن الناس الآخرين، يجب تعليمهم بطرق تساعدهم على التفاهم بصورة جيدة نوعاً ما مع الأشخاص الأسوياء، ويعتبر تعليمهم الكلام والقراءة قد يعينهم كثيراً على التقدم في المدرسة، وفي نفس الوقت قد تحول معالجة الأذن والأنف والحنجرة معالجة طبية دون الصمم الكلي أو الجزئي، يجب أن يتلقى هؤلاء الناس خدمات العيادات الطبية أينما أمكن دون أن يتكلف نوههم دفع نفقاتهم إذا كانوا فقراء عاجزين عن الدفع.

كل مدرس تقريباً سيجد بين طلابه نسبة معينة صغيرة مصابة بثقل السمع، قد لا يريد هؤلاء الاعتراف بأنهم لا يسمعون بصورة جيدة وتميل نتائجهم المدرسية إلى الهبوط لأنهم لا يستطيعون فهم ما يلقى في الصف، فيجب على المدرس أن يساعد مثل هؤلاء الطلاب على التكيف من دون أن يمنحهم امتيازات خاصة.

إن إعطاء الطالب كرسيّاً ملائماً يمكنه أن يسمع بصور جيدة يعتبر مساعدة عظيمة له، يجب على المعلم أن يستخدم كل وسيلة معقولة وممكنة لكي يساعد الطالب ثقيل السمع على بناء عادات جيدة، ولكي يمنعه من الاعتزال والانقطاع عن الناس ومن الشعور بالخيبة واليأس.

## المصابون بعاهاات النطق:

يفدر أطفال المدرسة الابتدائية المصابون بنوع من أنواع عيوب النطق الخطيرة التي تستدعي انتباهاً خاصاً، يقدرون ب (٥٠%) من مجموع

الأطفال، وهذا يعني أن عيوب النطق المختلفة كالتلعثم والحبسة والتأتأة وغيرها تقيم الصعوبات في وجه تكيف الشخصية، وقد نشأ علم جديد خاص بعيوب النطق وعلاجها وتطور في السنوات الأخيرة، وأخذ عدد كبير من النظم المدرسية يستخدم الأساتذة الاختصاصيين في ميدان النطق، يضاف إلى ذلك أنه صار يطلب في بعض الأحيان من جميع معلمي رياض الأطفال والمدارس الابتدائية أن يأخذوا دروساً في تحسين النطق وتصحيحه لكي يستطيعوا فهم الأطفال الذين يعانون صعوبات في النطق في أول حياتهم ويتمكنوا من معالجتهم، أما الأطفال المصابون بعاهاات خطيرة في النطق فإنهم يوضعون بين يدي مدرسين خصوصيين إذا أمكن ذلك.

### أسباب عيوب النطق:

كثيرة هي ومعقدة وتشمل عوامل جسمية وانفعالية من أنواع كثيرة، وعندما يفكر المرء في جهاز النطق المتكامل المعقد، وفي درجة الجيد يستغرب إذ يجد التوافق المعيب ليس شائعاً بين الناس أكثر مما نجده الآن، إن أجزاء هذا الجهاز تشمل:

١- جهاز الحس أو الاستقبال «الخاص برؤية رموز الكلمات، وبسماع أصواتها، وإحساسات اللمس، وحركات اليدين، وحركات الحنجرة التي تسهم في إخراج الصوت».

٢- آلية الحركة أو الإصدار «الخاصة بإخراج حركات الحنجرة واللسان والفكين والوجه والصدر والحجاب الحاجز».

٣- جهاز العقل والتداعي (الخاص بربط مراكز الحركة والإحساس والتداعي وباستعادة الكلمات وتمييزها وفهمها وتكوين الأفكار).

ومن هذا يتضح لماذا لا يستطيع كثير من الأفراد إدراك سيطرة متوافقة Coordinated على هذه العوامل المختلفة الضرورية لإخراج النطق الصحيح.

لقد جرت العادة إذا بدرت صعوبة من صعوبات النطق أن تعالج بقلة الصبر وتوبيخ الطفل، لأن الأولياء الذين يعرفون كيف يجابهون هذه المشكلة هم قليلون، ثم عندما يدخل الطفل المدرسة تصبح عاهته عبئاً أثقل عليه، فتؤثر في صلاته الاجتماعية وفي نجاحه المدرسي، إن نطقه المعيب يدفعه إلى القلق والاضطراب، وكلما ازداد اضطرابه ساء نطقه، ولا يمكن شفاؤه من هذه المشكلة إلا بالمعالجة الخاصة، ولما كانت حالته الانفعالية متصلة بعجزه عن النطق الجيد فإن أفضل علاج يقدم له هو الذي يقدم الانتباه الكافي لوجهتي مشكلته، يقول أحد علماء علم النفس: «إذا أريد تعديل النطق وتصحيحه فإن الطفل يحتاج إلى التشويق الخاص، لأن التمارين الرتبية لا تفيد كثيراً في تصحيح العيب ما لم تنيقظ رغبة الطفل في التغلب على هذا العيب وفي تحسين نطقه، يجب أن يعلم الطفل في الصفوف النظامية، ويجب أن يقتنع بأنه يستطيع علاج مشكلته وتصحيح نطقه، وبالإضافة إلى دروسه النظامية يجب أن يعطى من قبل خبير في النطق تمارين أخرى خاصة به، إلا أنه لا يجوز المبالغة في التأكيد على علته، بل يجب أن يأخذ بيد الطفل بعناية تامة أثناء تصحيح عيبه مع بقائه عضواً فعالاً في الصف، كما يجب القضاء بقدر الإمكان على جميع الصدمات لديه ولا سيما انفعالات الخوف والقلق».

إن إنماء عادات النطق الجيد لدى الأطفال والشبان ووقايتهم عيوب النطق، وعلاجها هي أهداف أساسية من أهداف التربية الحديثة، لأن نجاح كثير من الناس في مدرستهم ومهنتهم وفي تكيفهم الاجتماعي والانفعالي يتوقف إلى حد كبير على مدى تخلصهم من عيوب نطقهم الملازمة لهم.

### الأشخاص ذوو المشاكل في السلوك:

إن الطائفة الأخيرة من المنحرفين التي نود التحدث عنها هي التي تتألف من تلك الفئة من الناس الذين أصبح سلوكهم العادي قفي البيت والمدرسة والمجتمع سيئاً إلى درجة تجعلهم غير مرغوب فيهم، وغير مقبولين

من قبل الآخرين. ويدخل في هذه الفئة أولئك الأشخاص الذين يستجيبون للاضطرابات والتوترات بآليات السلوك الخطرة أو الهدامة، أما أعراض مصاعبهم الأساسية فهي إما الهجوم أو الاعتداء المتطرف أو الإسراف في التعويض أو السلبية، وقد ينتهي بهم الأمر إلى ارتكاب الآثام أو الجرائم.

إن هؤلاء المنحرفين يعتبرون من الناحية الأخلاقية خارجين على قوانين السلوك السائدة، وتجب شرعاً معاقبتهم إذا ارتكبوا أعمالاً إجرامية، ولكن العالم الاجتماعي وعالم النفس والمربي يعتبرون الصبي المنحرف قبل كل شيء شخصاً قد عانى صعوبة كبيرة جداً في التلاؤم مع بيئته، فيحتاج إلى الإسعاف، وهناك على العموم طريقتان أساسيتان لمساعدته، الطريقة الأولى: تغيير ظروف بيئته في البيت والمدرسة والمجتمع تغييراً يؤدي إلى القضاء على التوتر الذي يسبب له الانحراف، فمن المعروف والواضح أن البيت المنقسم على نفسه وغير المستقر والمزدحم، وكذلك الحي المؤلف من بيوت فقيرة يسيئان إلى تكيف الطفل ويؤديان كثيراً إلى انحرافه.

أما الآثار السيئة التي تخلفها في شخصية الطفل بعض المدارس ذات المناهج الرديئة الثقيلة فغير واضحة وضوحاً كافياً في نظر الناس، وكن يمكن مهما يكن من أمر، تحسين هذه العوامل البيئية الثلاثة بالرغم من الوقت والصبر، مع العلم أن المشاكل التي يخلقها البيت تكون أصعب المشاكل جميعها.

والطريقة الثانية لمساعدة هذه الفئة من المنحرفين تتألف من مساعدة الشخص بالتوجيه والإرشاد على فهم نفسه ودوافعه ومشاكله فهما أفضل من ذي قبل، وينتظر أن يستغرق تغيير سلوكه بهذه الطريقة مدة طويلة جداً، كما ينتظر ألا ينتهي إلى النجاح دائماً.

وقبل أن يعرف الفرد ويشعر بأن هناك سلوكاً آخر أفضل من سلوكه الحاضر لمواجهة مشكلته، لن يبدي أي تقدم أو تحسن حقيقي ثابت في سلوكه، عن هذا الأمر يقتضي استعمال طرق في الإرشاد من نوع راقٍ.

ليست عادات معظم الأطفال والأحداث ذوي المشاكل السلوكية من الثبات والقوة بحيث لا يمكن تصحيحها وجعلها مقبولة من قبل المجتمع، إنه لا يحتاج إلى عناية المصحات إلا من قبل قسم قليل منهم، أما القسم الأعظم فيبقى في بيئته المألوفة في البيت والمدرسة والمجتمع حيث يجب أن تؤمن لهم الوسائل التي تساعد على التكيف الحسن للحياة اليومية، وإذا لم تتيسر لهم هذه العناية ولم يؤمن لهم هذا العون في حوادثهم فقد يصبحون في رشدهم مجرمي المستقبل أو مرضاة العصبيين.

وأخيراً: تحدثنا آنفاً في هذا البحث عن بعض أنواع المنحرفين الذين يوجدون في كل مجتمع، وأشرنا إلى المسؤولية التي تقع على عاتق جميع الأشخاص الأسوياء لمساعدة المنحرفين من أجل الوصول بهم إلى حياة أفضل.

إن المدرس بصورة خاصة يحتل مركزاً خطيراً من هذه الناحية، إنه لا ينتظر منه أن يقوم بعلاج المنحرف علاجاً خاصاً، ولكنه يستطيع تمييزه واحترامه، ويستطيع في كثير من الأحيان أن يشجع المنحرفين على تغيير أوضاعهم وتحسين عاداتهم، وهو كمواطن يهتم بعض الاهتمام بالمصلحة العامة، يستطيع أن يستغل نفوذه لكي يؤمن العلاج والظروف الملائمة لأولئك الشواذ في عقولهم وأجسامهم وانفعالاتهم، لقد أصبحت هذه الخدمات تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الواجب المسلكي للمدرس والمربي الحديث...



## المراجع

- ١- نشأة الشخصية: ف. س. موخينا - دار التقدم موسكو ١٩٨٨م.
- ٢- علم نفس الطفل: أ. أ. لوبلييتسكايا، ترجمة: د. بدر الدين عامود، د: علي منصور - منشورات وزارة الثقافة - دمشق.
- ٣- فصول في علم النفس، د: أحمد عزت راجح.
- ٤- محاضرات علم النفس العام: د. ليلي داود - كتاب جامعي - دمشق.
- ٥- نمو الشخصية: جيروم كاغان، ترجمة صلاح الدين المقداد - مراجعة د. عبد المجيد النشواتي.
- ٦- علم النفس - الجزء الثاني، د. فاخر عاقل - دمشق ١٩٥٧.
- ٧- علم النفس التربوي: تأليف: الدكتور كمال بلان، إسماعيل ملحم، خالد عبد الرحيم - مطبوعات وزارة التربية دمشق ١٩٨٥.
- ٨- مدارس علم النفس - الدكتور فاخر عاقل.
- ٩- علم النفس الاجتماعي - مشكلات الطفولة - تأليف مارثين هيرت - ترجمة يونس عبد الحميد نشواتي .
- ١٠- مشكلات الآباء والأبناء - مختار حمزة.
- ١١- علم النفس الاجتماعي - دراسات نظرية وتطبيقات عملية للدكتورين مصطفى فهمي ومحمد على القطان.
- ١٢- الصحة النفسية - لدكتور نعيم الرفاعي.
- ١٣- التوجيه والإرشاد النفسي - الدكتور حامد عبد السلام زهران.
- ١٤- علم نفس الطفولة والمراهقة - الدكتور مالك مخول - منشورات جامعة دمشق ١٩٨١ - ١٩٨٢.

- ١٥- سلوك الطفل - ترجمة الدكتور فاخر عاقل - الطبعة الثانية ١٩٨٧ - تأليف د. فرنسيس ل. أيغود. لويز ب. أيمز.
- ١٦- علم النفس التربوي - د. علي منصور - ١٩٨٧ .
- ١٧- التعلم ونظرياته - الدكتور فاخر عاقل. ط ٥ ١٩٨١.
- ١٨- الإبداع وتربيته - الدكتور فاخر عاقل. ط ١ بيروت ١٩٧٥.
- ١٩- الإبداع - نصوص مختارة - عبد الكريم ناصيف - منشورات وزارة الثقافة.
- ٢٠- مجلة بناء الأجيال «فصلية تربوية ثقافية متنوعة» العدد ٢٢ نيسان ١٩٩٧.
- الإبداعيون: الدكتور فاخر عاقل.
- ٢١- علم النفس التربوي - أنطون حمصي.
- ٢٢- مشكلات الأطفال اليومية - للدكتور دجلال توم ترجمة الدكتور إسحاق رمزي - دار المعارف بمصر - ط ٥ - ١٩٥٣.
- ٢٣- كل شيء يبتدئ من الطفولة - سرغي مخالوف، ترجمة دار التقدم ١٩٧٨.
- ٢٤- مشكلات الأطفال و المراهقين وأساليب المساعدة فيها - تأليف شاليز شارليز - هوارد نلماد - ترجمة د. نسيمه داؤود و د. نزيه حمدي ط عمان ١٩٨٩.
- ٢٥- الصحة النفسية - دراسة فسيولوجية التكيف - نعيم رفاعي ١٩٨٤.
- ٢٦- سبعة يحتاج إليها الولد: جان أم. دريشر - دار المنهل - الحياة - لبنان ١٩٩٠.
- ٢٧- موسوعة علم النفس - إعداد: د. أسعد رزوق: د. عبد الله عبد الدايم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط ١ ١٩٧٧.
- ٢٨- Wahlrpoos. sven; Family Communication Acuide To Emotional Helth. (1974) Macmi llan. New Yor
- ٢٩- علم النفس العيادي - عطوف محمود ياسين - دار العلم للملايين ١٩٨١.
- ٣٠- الانتحار - دراسة نفسية اجتماعية في سلوك الانتحاري - ناجي الجيوش.

- ٣١- كيف نفهم سلوك الطفل - جرتروود دريسكول - ترجمة الدكتور رشدي فام -  
مراجعة محمد سيد روحة - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٣٢- مساعدة الأطفال على حل مشكلاتهم - روث سترانج - ترجمة صلاح الدين  
لظفي - إشراف الدكتور عبد العزيز الأوسي، مكتبة النهضة، القاهرة.
- ٣٣- للأطفال مشاكل نفسية - د. ملاك جرجس - كتاب أخبار اليوم الطبي،  
القاهرة ١٩٨٤ .
- ٣٤- مشكلات الطفولة والمراهقة - عبد الرحمن عيسوي - دار العلوم العربية -  
بيروت ١٩٩٣ .
- ٣٥- الأمراض النفسية والعقلية - أحمد عزت راجح - دار المعارف القاهرة ١٩٨٥ .
- ٣٦- الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية - علي الدين سيد محمد .
- ٣٧- علم النفس الاجتماعي - أوتو كلينبرغ - ترجمة حافظ الجمالي - أستاذ علم  
النفس الاجتماعي في جامعة دمشق ط/٢ ١٩٦٧ .
- ٣٨- لو تصغون لأطفالكم - عدد المؤلفين - ترجمة هيفاء طعمة - منشورات وزارة  
الثقافة - دمشق ١٩٨١ .
- ٣٩- كيف نربي أطفالنا: التنشئة الاجتماعية في الأسرة العربية - القاهرة - دار  
النهضة العربية إسماعيل، محمد عماد الدين، إبراهيم، نجيب السكندر،  
منصور، رشدي عام ١٩٧٤ .
- ٤٠- الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث - بيير داکو - ترجمة وجيه أسعد .
- ٤١- كيف تستقبل طفلك الوافد الجديد على الأسرة - جريدة تشرين العدد ٦٧٠٨ لعام  
١٩٩٧ كانون الثاني .
- ٤٢- الكذب عند الأطفال - وفيق صفوت مختار - مجلة القافلة - السعودية، آرامكو - العدد  
الثاني عشر- المجلد الخامس والأربعون ١٤١٧هـ-١٩٩٧ (نحو الحجة - أبريل).

- ٤٣- الكذب الأبيض... والكذب الأسود عند الأطفال - مجلة العربي - الكويت - العدد (٤٠٩) كانون أول ١٩٩٢ الدكتور علاء غنام.
- ٤٤- النمو الروحي والخلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب د. عبد الرحمن العيسوي.
- ٤٥- التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الانحراف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض - السعودية ١٤٠٦ د. مصطفى العوجي.
- ٤٦- القدوة ودورها في تربية النشء - بريكيان بريكي القرشي - المكتبة الفصليّة - مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م.
- ٤٧- في أصول التربية - محمد الهادي عفيفي - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة - ١٩٧٠.
- ٤٨- الصدق مقياس لرقى الذات - صحيفة القيس الكويتية العدد ٩١٦٠، الجمعة ١٩٩٨/١٢/١٨، الأستاذة: حلية عبد الجليل بولند.
- ٤٩- علم النفس التربوي - الجزء الأول - جيتس وآخرون - ترجمة عبد العزيز القوصي.
- ٥٠- دور وسائل الإعلام التربوي - الأستاذ الدكتور حامد زهران أستاذ الصحة النفسية في جامعة عين شمس - مجلة بناء الأجيال - دمشق - العدد ٢٣ لعام ١٩٩٧.
- ٥١- مجلة جامعة دمشق العدد ٣/ كانون الثاني ١٩٩٦.
- ٥٢- دراسة بعنوان وقت الفراغ في منظور علم الاجتماع - د. كامل عمران.
- ٥٣- مشكلات الشباب في التعليم والعمل والبيئة الاجتماعية - سلسلة ١٤/ - راجع بحث مشكلات الشباب مع التعليم - يمن الأعسر.
- ٥٤- مشكلات الشباب في العمل - عدنان عزارة.
- ٥٥- مشكلات الشباب بالنسبة إلى البيئة الاجتماعية والمستقبل - للباحث: أحمد إدريس.
- ٥٦- قضايا الشباب ومشكلاتهم - الندوة الفكرية الثالثة - ج ١ - دمشق.
- ٥٧- الطريق إلى قضايا الشباب - د. فايز عز الدين.

- ٥٨- سيكولوجية الإدراك - منشورات جامعة دمشق ١٩٨١ - ١٩٨٢.
- ٥٩- علم النفس الاجتماعي - ترجمة حافظ الجمالي - دمشق أتو كلينبرغ.
- ٦٠- المدرسة والمجتمع - جون ديوي - ترجمة الدكتور أحمد حسن عبد الرحيم - منشورات مكتبة الحياة ١٩٧٨ - الطبعة الثالثة.
- ٦١- سيكولوجية الإدراك - الدكتور خلدون الحكيم - منشورات وزارة التعليم العالي - دمشق ١٩٨١ - ١٩٨٢ - مرجع سابق.
- ٦٢- الأطفال مرآة المجتمع - د. محمد عماد الدين إسماعيل - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - رقم (٩٩) الصادرة في مارس آذار ١٩٨٦.
- ٦٣- مشكلات الطفولة - د. عبد الرحمن العيسوي - ط ١ - ١٩٩٣م - دار العلوم العربية - بيروت - لبنان.
- ٦٤- علم النفس - دراسة في التكيف البشري - منشورات دار العلم للملايين - الدكتور فاخر عاقل.
- ٦٥- أطفالنا كيف نفهمهم - جيروم كاغان - دار الجليل - تعريب عبد الكريم ناصيف.
- ٦٦- الموهوبون - ريمي شوفان - دار البشائر - ترجمة وجيه أسعد.
- ٦٧- دائرة المعارف السيكلوجية - دار صادر - بيروت .
- ٦٨- علم النفس الفردي - اسحق رمزي - أصوله وتطبيقه - القاهرة دار المعارف - ١٩٨١.
- ٦٩- دوافع التفوق وصقل المواهب - حسين محي الدين سباهي - مجلة القافلة - آرامكو السعودية - عدد رمضان ١٤١٩هـ - ديسمبر ٩٨ - يناير ١٩٩٩م - العدد التاسع - المجلد ٤٧.
- ٧٠- الموجز في التحليل النفسي - ترجمة سامي محمود علي - القاهرة دار المعارف - ١٩٨٠.

- ٧١- الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي - مصطفى القاضي وآخرون - دار المريخ - ١٩٨١.
- ٧٢- مدخل إلى الإرشاد التربوي والنفسي - دار إيلاف هل - بريطانيا ١٩٩٣.
- ٧٣- الصحة النفسية والتفوق الدراسي - دار النهضة - بيروت - ١٩٩٠.
- ٧٤- الطفل... والخوف - مجلة العربي - إعداد الدكتورة ليلي بيومي - العدد ٤١٥ - يونيو حزيران ١٩٩٣م - ذو الحجة ١٤١٣هـ.
- ٧٥- صحة الأطفال النفسية... ودور المدرسة في حمايتها - تأليف مجموعة من الباحثين - بإشراف البروفيسور غرومباخ. س ترجمة الدكتور عبد الله المجيد ل - دار معد للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ط ١ - ١٩٩٥.
- ٧٦- موسوعة علم النفس - إعداد: د. أسعد رزوق - مراجعة الدكتور عبد الله عبد الدايم - مرجع سابق.
- ٧٧- الطفولة ودواعي الاهتمام بها - إسماعيل الملحم - مجلة صوت المعلمين - دمشق ع - ٣٩ عام ١٩٧٩.
- ٧٨- كتاب علم النفس الطفل أ. أ لوبلينسكايا - ترجمة: د. بدر الدين عامود - د. علي منصور - مرجع سابق.
- ٧٩- كتاب كل شيء بيتدى من الطفولة - سرغي ميخالكوف - مرجع سابق.
- ٨٠- كتاب علم نفس الطفولة والمراهقة - د. مالك مخول - منشورات جامعة دمشق.
- ٨١- المجلة العربية - العدد /٢٦٠/ رمضان ١٩٩٤هـ - من أجل أصل طفولة تشرف المجتمع - سعاد العماري.
- ٨٢- النمو الروحي والخلقي - عبد الرحمن العيسوي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
- ٨٣- القرآن الكريم.

- ٨٤- الإمام البخاري صحيحه، صحيح مسلم.
- ٨٥- أضواء على التربية في الإسلام - علي القاضي - دار النصار - القاهرة  
١٩٧٩ - ١٤٠٠هـ.
- ٨٦- سيكولوجية الأطفال - وفيق العظمة - سعاد الجمالي - دار الرواد دمشق ١٩٥٦.
- ٨٧- سيكولوجية الطفل - ترجمة حافظ الجمالي - مرجع سابق.
- ٨٩- التربية ما قبل المدرسة الابتدائية - د. صالحة سنقر - جامعة دمشق - كلية التربية ١٩٨١ - ١٩٨٢.
- ٩٠- سيكولوجية اللعب - سوزانا ميللر - ترجمة: د. حسن عيسى - مراجعة: د. محمد عماد الدين إسماعيل - سلسلة عالم المعرفة - الكتاب رقم (١٢٠) ديسمبر ١٩٨٧ - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.
- ٩١- الطفولة: لعبها وألعابها - أ. الحبيب الإمام - مجلة العربي - العدد (٤١٩) - تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣.
- ٩٢- اللعب... ضرورة من ضرورات الحياة عند الطفل - بشرى عنقة - جريدة الاعتدال - العدد (٤٠٩) - ٢٣ نيسان (أبريل) ١٩٩٩.
- ٩٣- دراسة تربوية نفسية (اللعب أسطورة حب... يتمنى كل طفل أن يعيشها) حسين محي الدين سباهي - مجلة القافلة (أرامكو السعودية) العدد الرابع - المجلد السادس والأربعون - ربيع الآخر ١٤١٨هـ - آب (أغسطس) ١٩٩٧.
- ٩٤- مدخل إلى علم النفس - سمعان عسى - الطبعة الثانية - ترجمة منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٦ - تأليف آن تايلور.
- ٩٥- الصحة النفسية - نعيم الرفاعي - دراسة في سيكولوجية التكيف - الطبعة السادسة - جامعة دمشق - ١٩٨٢-١٩٨٣.
- ٩٦- تطور نفسية الطفل - جاك بوسنل - ترجمة: حافظ الجمالي - عدد خاص من مجلة المعلم العربي - دمشق - العددان (١٠-١١) لعام ١٩٧٤.

- ٩٧- التربية ووحدة الخصية القومية - إسماعيل الملح - مجلة (شؤون عربية) تصدر في تونس عن جامعة الدول العربية - العدد ٣٦ عام ١٩٨٤.
- ٩٨- الدكتور: زهير غزاوي - جامعة دمشق - كلية التربية - محاضرة بعنوان: النمو النفسي والانفعالي والعقلي عند طفل ما قبل المدرسة... طفل ما قبل المدرسة في مواجهة الحياة - أقيمت في المركز الثقافي العربي بالقامشلي - ٢٠٠ م.
- ٩٩- علم النفس التربوي - الدكتور حمصي - مطبعة زيد بن ثابت - ١٩٨٤ - دمشق - مرجع سابق.
- ١٠٠- المشاكل النفسية عند الطفل - صحيفة تشرين - للأستاذة سهام رمضان.
- ١٠١- Jersild A.T., Child Psychology Chapter xv1.
- ١٠٢- مدخل إلى علم النفس - طبعة ٢ - مطابع وزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٩٦ (ج٢ - ص ٢٥٣ وما بعد) سلسلة الدراسات النفسية - ترجمة: عيسى سمعان - تأليف آن تايلور، وليد يسلاكن ن د. ر ديفز ن وآخرون.
- ١٠٣- حسين محي الدين سباهي - دوافع التفوق وصقل المواهب - مجلة القافلة - العدد التاسع - المجلد السابع والأربعون - ربيع الأول ١٤١٩ هـ.
- ١٠٤- بهاء الدين عبد الله الزهوري - مجلة القافلة - رعاية الموهبة الثقافية عند الأطفال - العدد الثالث - المجلد السابع والأربعون - ربيع الأول ١٤١٩ هـ.
- ١٠٥- بول وبيتني: أطفالنا الموهوبون، ترجمة الدكتور صادق سمعان - مكتبة النهضة المصرية - ط٣ القاهرة ١٩٦٣ م.
- ١٠٦- الموهوبون - رومي شوفان - ترجمة وجيه أسعد - منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٦ م - مرجع سابق.
- ١٠٧- الإبداع وتربيته - الدكتور فاخر عاقل - دار العلم لملايين - ط٢ - بيروت ١٩٧٩ م - مرجع سابق.



- ١٠٨- علم النفس التربوي - الدكتور أنطون حمصي - منشورات جامعة دمشق - كلية التربية - ١٩٨٤ م - مرجع سابق.
- ١٠٩- علم النفس - دراسة في التكيف البشري - منشورات دار العلم لملايين - الدكتور فاخر عاقل - مرجع سابق.
- ١١٠- دائرة المعارف السيكولوجية - دار صادر - بيروت - مرجع سابق.
- ١١٢- الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث - بيير داکو - ترجمة وجيه أسعد - ط٢ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - الشركة المتحدة للتوزيع - مرجع سابق.
- ١١٣- مدخل إلى علم النفس - آن تايلور، وليد يسلو سلاكن - ترجمة د. ر. ديفز، ج. ت. ريزون، ر. تومسون، أ. كولمان - ترجمة عيسى سمعان - سلسلة الدراسات النفسية (٣٧) - منشورات وزارة الثقافة - سوريا - دمشق ١٩٩٦ - مرجع سابق.
- ١١٤- علم نفس الطفولة والمراهقة - منشورات جامعة دمشق - الدكتور مالك مخول - مرجع سابق.
- ١١٥- الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث - بيير داکو - ترجمة: وجيه أسعد ١٩٨٥ م - الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق - مرجع سابق.
- ١١٦- علم النفس - موضوعه ومدارسه ومناهجه - تأليف الدكتور إبراهيم وجيه محمود - دار العودة بيروت - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - مارس ١٩٧٤.
- ١١٧- سيكولوجية الطفل - تعريب: حافظ الجمالي - مطبعة الجامعة السورية - دمشق ١٩٦٥ - الطبعة الأولى.
- ١١٨- علم النفس التربوي - دور المعلمين والمعلمات - دمشق - تأليف: كمال بلان - إسماعيل ملحم - خالد عبد الرحيم - ١٩٨٥-١٩٨٦ - المؤسسة العامة للمطبوعات والكتب المدرسية.
- ١١٩- المشاكل النفسية عند الطفل - للأستاذة سهام رمضان - صحيفة تشرين السورية - مرجع سابق.

- ١٢٠- ظاهرة الاكتئاب - حسين محي الدين سباهي - مجلة التربية - الكويت -  
العدد ٣٤ - يوليو ٢٠٠٠ م.
- ١٢١- التربية وبيكولوجيا الطفل - ويلس. ن. بوتز - ترجمة أديب يوسف - المكتبة  
الأموية بدمشق.
- ١٢٢- فاعلية العلاج المتمركز حول الميل لتحسين بعض حالات الاضطرابات  
السيكوسوماتية - الدكتور محمد عيسوي الفيومي - مصر - بنها ١٩٩٥ م.
- ١٢٣- أحمد راجح عزت - أصول علم النفس - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م.
- ١٢٤- الصحة النفسية والعلاج النفسي - حامد زهران - القاهرة عالم الكتب ١٩٨٢ م.

# فهرس

## الصفحة

٥	مقدمة .....
	نشأة الشخصية عند الطفل...
٩	ونموه بين الكينونة البدئية والشخصية المكتسبة.....
	مشكلات الطفولة
٢١	وأثرها في تكوين الشخصية لدى الأبناء .....
	سلوك الطفل
٣٥	من منظور علم النفس .....
	الأطفال
٤١	وأنماط الهيبة التربوية للأسرة .....
	النمو الإبداعي
٤٩	وطرق تربيته لدى الطفل .....
	سيكولوجية الطفولة
	وأهمية التنشئة الاجتماعية في منظور علم النفس للوقاية من نوبات الغضب
٥٥	وعلاجها عند الأطفال .....
	مشكلات الطفولة
	من منظور علم النفس ظاهرة الاكتئاب وإيذاء الذات «أسبابها - طرق الوقاية -
٧١	سبل العلاج» .....
٨١	العوانية والتربية .....

## الأطفال مرآة المجتمع

النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية وظاهرة الطفل العدوانى في

البيت والمدرسة... ..... ٨٣

### سيكولوجية التنشئة الاجتماعية

وظاهرة الغيرة بين الأخوة في منظور علم النفس عندما لم يعد الطفل رقم «١» في

الأسرة... «تعريفها - أعراضها - سلبياتها - طرق معالجتها» ..... ٩٩

### سيكولوجية اضطرابات الطفولة

ظاهرة الكذب عند الأطفال «أسبابها - أنواع الكذب - طرق العلاج» ..... ١١٣

### سيكولوجية تكوين عادة الصدق عند الطفل

«رقي للذات... ربيع للقلب... شعاع للضمير... عنوان للفضيلة» ..... ١٣٣

سيكولوجية اللعب ..... ١٤٣

### سيكولوجية إدمان المشاهدة

- والآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على سلوك الطفل ..... ١٦١

سيكولوجية الفراغ ..... ١٧٥

### وقت الفراغ

من منظور علم الاجتماع وحش يتربص بمستقبل الأجيال... كيف نواجهه؟ ..... ١٧٧

### سيكولوجية أمراض الكلام

وظاهرة التأتأة لدى الأطفال ..... ١٨٩

### سيكولوجيا التفوق

ظاهرة إغناء المعارف... وصلل المواهب... واكتشاف المجهول..

«دوافعها - مشكلاتها» ..... ١٩٥

سيكولوجية التفوق

٢٠٥ ..... لدى الأطفال الموهوبين

٢١٣ ..... العوامل المحددة للتفوق الدراسي

سيكولوجيا الانفعالات

وظاهرة مخاوف الطفولة من منظور علم النفس الخوف آلية من آليات الدفاع ورد

٢١٩ ..... فعل طبيعي لما يهدد الأطفال

سيكولوجيا التربية

٢٣٧ ..... الأطفال... أزهار الحاضر... وأمل المستقبل وأثر الأسرة في تربيتهم

٢٤٣ ..... سيكولوجية المراقبة

٢٥٩ ..... سيكولوجيا المشاكل النفسية عند الطفل

٢٧٣ ..... سيكولوجيا تكوين المختلفين

٢٨١ ..... المراجع

٢٩٣ ..... فهرس



## حسين سباهي

- أديبٌ، من مواليد «الحسكة» عام ١٩٥٧م.
- حاصل على إجازة في الحقوق.

### صدر له:

- «همسة من بيداء الروح» شعر / ٢٠٠٢م.
- «تباريح من ذاكرة القمر» شعر / ٢٠٠٧م.
- «تراتيل إلى سيدة الياسمين» شعر / عام ٢٠٠٩م.
- وله تحت الطبع «المخدرات وبياء العصر».

۲۰۲۲م